الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد درايعية –أدرار–

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

إمارة ماسينا ودورها الحضاري في منطقة السودان الغربى 1818-1862م

أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في التاريخ (ألمدي)

تخصص: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء المعاصر

إعداد الطالب:

إسماعيل سعيدي

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد الله بابا

المشرف المساعد الدكتور:

الطاهر عبو

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة	الصفة
أد. مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	رئيســـــاً
أد. عبد الله بابا	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مشرفاً ومقرراً
د. الطاهر عبو	أستاذ محاضر (أ)	جامعة أدرار	مشرفاً مساعداً
أد. عبد الكريم بلبالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقـشـــاً
أد.محمد مبارك كديده	أستاذ التعليم العالي	جامعة تمنراست	مناقـشـــاً
د. فاطمة الزهراء حوتية	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة أدرار	مناقـشـــاً

السنة الجامعية: 1445-1446هـ/2024-2025م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى من حملتني وهنا على وهن، إلى أعظم حب وأكبر قلب، إلى أعز الخلق عندي ...

أمي الغالية حفظك الله

إلى من سهر الليالي الحالكات لأرى النور إلى من منحني العطاء والقوة ...

والدي العزيز رعاك الله

إلى من كانت على العهد نعم العون والسند ... زوجتي الغالية

إلى روح ابني محمد (رحمه الله)

إلى أبنائي و فلذات أكبادي وإلى من قاسموني ظلمة الرحم أخواني الكرام

إلى سندي في الحياة جدتي الكريمة وأعمامي الأعزاء وأقاربي

إلى كل من مهدوا لي طريق العلم والمعرفة ... شيوخي وأساتذتي

إلى كل أصدقائي في الدراسة والعمل والحياة، إلى كل من يحبنا في الله

إلى كل المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الإسلام في غزة وفي غيرها من بلاد الإسلام

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الإنتاج العلمي

إسماعيل

شكر وعرفان

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيد**﴾ سورة إبراهيم، الآية 7.

الحمد لله حمدا كثيرا حتى يبلغ الحمد منتهاه والصلاة والسلام على أشرف مخلوق أناره الله بنوره واصطفاه، أحمد الله تعالى أن وفقني لإتمام هذا العمل راجيا من الله عز وجل أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

اعترافا بالجميل وانطلاقا من قوله ﷺ: ((من لم يشكر الناس لم يشكر الله)) رواه الترمذي، كان لزاما عليّ أن أنسب الفضل إلى أهله، فأتقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام والشكر والعرفان بالجميل إلى الأستاذ المشرف " أد. عبد الله بابا" الذي رافقني في كل صغيرة وكبيرة في هذا البحث ليضعني على الدرب السوي، كما أتوجه بالشكر والامتنان إلى الدكتور الطاهر عبو والأستاذ الدكتور مبارك جعفري اللذّين كان لتوجيهاتهما دور أساسي في أتمام دراستي العلمية، والشكر موصول لأعضاء اللجنة الموقرة لقبولهم مناقشة هذا العمل.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان إلى الباحثين والدكاترة في التاريخ الإفريقي على مساعدتهم العلمية، وأخص منهم: الباحث علي عثمان سنكري، والدكتور محمد جاكيتي، والدكتور نوح عيسى سيديبي، والدكتور علي يعقوب، والدكتور إسماعيل طراوري، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد، جعل الله هذا العمل في ميزان حسناتهم.

إسماعيل

مقدّمة

كانت البدايات الأولى لدخول الإسلام إلى إفريقيا مع هجرة المسلمين الأوائل إلى أرض الحبشة، ثم تضافرت مجموعة من العوامل والظروف أسهمت في انتشار الإسلام في شرق إفريقيا وفي شمالها، ثم وصل إلى السودان الغربي عبر منافذ مختلفة ووسائل متنوعة، وهو ما ساهم في تأسيس ممالك إسلامية قوية بلغت أوج عطائها في عهد مملكة صنغاي، التي قيَّضَ الله لها ملوكاً عُرِفوا بالتقوى والصلاح وكان لهم دورٌ كبيرٌ في نشر الإسلام وغرس تعاليمه السمحاء في نفوس الأفارقة، لكن لم يقدّر الله لهذه المملكة أن تستمر طويلاً، وذلك أن الدولة السعدية وجهت جيوشها لبسط سيطرتها عليها فقضت بذلك على أركانها وهلهلت عُراها وأنهت دورها الحضاري في نهاية القرن السادس عشر الميلادي.

وعلى أثر هذا الغزو السعدي الذي دَكَّ أركان المنطقة، وأهان العلماء وخرّب البلاد وشتّت العباد وترك أثاراً وخيمة على الدين والدنيا، شهدت المنطقة انفلاتا أمنياً وتراجعاً فكرياً ردحا من الزمن، وفي ظل هذا الوضع المتردي، برز مجموعة من العلماء المصلحين جُلّهم من قبائل الفلان، حملوا على عاتقهم بعث الدعوة الإسلامية من جديد وتنقيتها من الشوائب والطقوس الوثنية التي علقت بها، خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ومن أشهرهم الشيخ عثمان بن فودي في منطقة الهوسا، والشيخ أحمدو لوبو في منطقة ماسينا، هذا الأخير كُلِّلت دعوته الإصلاحية بالنجاح، وتمكّن من إقامة دولةٍ إسلاميةٍ في منطقة ماسينا وما جاورها، عاشت على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ على مدى نصف قرن من الزمن، وما زال التاريخ يشهد على عظمتها وما وصلت إليه من تنظيم وحضارة، وعليه ارتأيت البحث في هذا الموضوع بدراسة جاءت تحت عنوان:" **إمارة ماسينا ودورها الحضاري في منطقة السودان الغربي 1818-1862م**".

وهو موضوع حيوي يكتسي أهمية بالغة لأنه يسلّط الضوء على الدور الكبير الذي أدّاهُ العنصر الفولاني خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وكيف استطاع أن يقود حركات إصلاحية ويؤسّس دولة، ويقارع الاستعمار الغربي في منطقة السودان الغربي، كما يمكننا من البحث في

الأوضاع التي شهدتها منطقة السودان الغربي عامة ومنطقة حوض النيجر خاصة، بالإضافة إلى إماطة اللثام عن هذه الإمارة الإسلامية المغمورة التي قامت خلال القرن التاسع عشر، وقُدِّرَ لها أن تؤدّي دوراً كبيراً في إطار تطبيق الشريعة الإسلامية والدفاع عنها بين الوثنيين، بعد سنوات من الانفلات والتسيّب الذي شهدته المنطقة، ويستهدف بالدراسة والتحليل نشأة الإمارة الماسينية وإصلاحاتها وعلاقاتها الخارجية ثم زوالها.

إما **الإطار الزماني والمكاني** للبحث فقد تم اختيار الفترة الممتدة من 1818 إلى 1862م لكونها بداية العمر الحضاري لإمارة ماسينا التي تأسست سنة 1818م على يد الشيخ أحمدو لوبو، الذي انتصر على الجيوش الوثنية وأقام دولة إسلامية في منطقة ماسينا وما جاورها، وسقطت سنة 1862م على يد الحاج عمر الفوتي عندما احتل عاصمتها وقضى على أميرها، أما الإطار المكاني فيشمل منطقة ماسينا الواقعة على حوض نهر النيجر(الجنوب الغربي لدولة مالي حاليا) والتي شهدت تحولات كبيرة خلال القرن التاسع عشر لموقعها الجغرافي المميز في منطقة السودان الغربي.

أمّا الهدف من هذا البحث فهو تتبّع مسار هذه الإمارة، ورصد تجربتها في تطبيق الشريعة الإسلامية، وإبراز الدور الحضاري الذي قامت به في منطقة السودان الغربي، وذلك بتسليط الضوء على الجوانب الحضارية للإمارة وعلاقاتها مع الممالك المتاخمة لها، كما يهدف إلى إمكانية الاقتداء بتجربة هذه الإمارة في واقعنا المعاصر وذلك بضرورة العودة إلى الإسلام، كحلٍّ لمختلف المشاكل والعوائق التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية الآن.

ويُعضّد أهداف الدراسة تراكم مجموعة من **الدوافع الذاتية والموضوعية** التي دفعتني للبحث واختيار هذا الموضوع نذكر منها:

– الرغبة الذاتية في البحث في تاريخ الطرق الصوفية والحركات الإصلاحية ودورها الحضاري في العالم الإسلامي.

– قلة الدراسات التاريخية حول منطقة ماسينا خاصة قبيل الفترة الاستعمارية، الأمر الذي دفعني إلى البحث في هذا الموضوع محاولة مني في كشف الغطاء عن منطقة مغيّبة من سجل التاريخ الإسلاميّ ومحاولة إبراز دورها الحضاري.

– محاولة الغرب المسيحيّ وأتباعه في المنطقة قطع المنطقة عن ماضيها الإسلاميّ التليد، وذلك بتشويه صورة الإسلام وطمس معالمه، وبتر التواصل بين أبناء المنطقة، وتصوير قادتها ومجاهديها في صورة سفاحين أو دراويش، فكان لزاما علينا إبراز الدور الحضاري الذي قام به هؤلاء القادة ومن بينهم الشيخ أحمدو لوبو في منطقة ماسينا.

– دعم المكتبة الوطنية ببحث أكاديمي يُسهم في التعريف بإمارة ماسينا، ويبرز دورها الحضاري في منطقة السودان الغربي.

– تشجيع الأستاذ المشرف على خوض غمار هذا الموضوع لتميّزه وجدارته بالبحث.

وتتمثّل **إشكالية** هذه الأطروحة في أن الحركة الجهادية الإصلاحية التي قادها الشيخ أحمدو لوبو في منطقة ماسينا خلال القرن التاسع عشر الميلادي كانت بمثابة الميلاد الحقيقي للحماس الديني والوعي السياسي والتضامن بين الشعوب الفلانية في تلك المنطقة، الأمر الذي مكنه من إقامة إمارة إسلامية تعتمد على تطبيق الشريعة الإسلامية بالرغم من قصر عمرها الزمني وصراعها الوجودي مع القوى الفاعلة في المنطقة (إسلامية أو وثنية) ولتوضيح هذه الإشكالية يمكن طرح التساؤلات الجزئية الآتية:

– ما هي أهم الخصائص الطبيعية والبشرية لمنطقة ماسينا؟

– كيف كانت أوضاع المنطقة قبل ظهور حركة الشيخ أحمدو لوبو الماسيني؟

– ما هي أسباب ظهور الحركات الإصلاحية والجهادية الفلانية في منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي؟

– ما هي السّبل التي حاول من خلالها الشيخ أحمدو لوبو إصلاح معتقدات مجتمعه وترسيخ العقيدة الإسلامية فيه؟

– ما هي الأسس والتنظيمات التي قامت عليها الإمارة؟ وكيف أصبحت الإمارة بعد موت مؤسسها؟
– ما العلاقات الخارجية للإمارة؟ وكيف انعكس ذلك على عمرها الحضاري؟

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على **المنهج التاريخي** الذي يعد ضروريا في فهم المادة التاريخية وطبيعتها، فقد مكّننا من تتبّع المحطّات التّاريخية للإمارة ووصفها وتحليلها وفق مجموعة من الأسس المنهجية، وصولاً إلى نقدها وتمحيصها مبتعداً عن الذاتية والأحكام الفردية.

وللإجابة على الإشكالية المقدّمة والتساؤلات الجزئية قسّمتُ هذه الدراسة إلى خمسة فصول بالإضافة إلى مقدّمة وخاتمة وملاحق وفهارس وفق **الخطة التالية:**

الفصل الأوّل الموسوم ب: "**دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة ماسينا وما جاورها**"، وقد قسّمته إلى أربعة أقسام، خصّصتُ قسمه الأول إلى التعريف بمنطقة ماسينا طبيعياً وبشرياً، وذلك بالتطرق إلى حدودها الجغرافية والتركيبة البشرية لها والمناطق المجاورة لها، وكذا أصول سكانها وامتداداتهم وإلى التمازج البشري الذي عرفته المنطقة، وركّزتُ الحديث عن المجموعات البشرية التي قامت بأدوار في مصير المنطقة المدروسة، أمّا القسم الثاني فقد تمّ فيه التعريف بقبائل الفلان لانتماء المؤسس للعنصر الفلاني، كما تمّ الحديث عن الجذور التاريخية لهذه القبيلة وفروعها وأهمّ خصائص اللغة الفلانية، ثم عرّجتُ على الأوضاع السياسية التي شهدتها منطقة ماسينا قبل نشأة الإمارة، بالإضافة إلى الممالك التي عاصرت قيام الإمارة الماسينية، ولعلّ الشيء اللافت للانتباه هو أنّ جلّ الحركات الإصلاحية في منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر ميلادي كانت فلانية، فبحثنا عن العوامل التي أسهمت في ظهورها، واستعرضنا أشهرها كحركة الشيخ عثمان بن فودي.

أمّا الفصل الثاني فقد جاء تحت عنوان " **الشيخ أحمدو لوبو حياته وجهاده**"، وقد تضمّن التعريف بالشيخ أحمدو لوبو، من خلال مولده ونشأته، ومؤثرات التفكير الإصلاحي عنده، ورحلته العلمية، مع ذكر الأسس والمرجعيات التي قامت عليها حركته الإصلاحية، ثم عرّجنا على ذكر بعض صفاته الخلقية والخلقيّة، ثم أشرنا إلى مراحل جهاده التي قسّمناها إلى مرحلتين: المرحلة السلمية، والمرحلة العسكرية التي يميّزها انتصاره في معركة نوكوما على الحكّام المحلّيين.

وقد خصصنا الفصل الثالث"**للإصلاح السياسي و الاجتماعي للإمارة**" من خلاله سلّطنا الضوء على المؤسسات التي قامت عليها الإمارة، خاصة مجلسها الكبير الذي يُعدُّ بمثابة مجلس الحل والعقد الذي يشرف على كل شؤون الإمارة، كما تم الحديث عن العاصمة " الحمد لله" والتقسيم الإداري الذي اعتمدته الإمارة في أوجّ توسّعها، ثمّ عرّجنا للحديث عن خلفاء الإمارة ونظام حكمها ونظام الاستخلاف الذي اعتمدته في تعيين أُمرائها، أمّا في الجانب الاجتماعي فكان الحديث عن النسيج الاجتماعي للمجتمع الماسيني، ومدى نجاح الإمارة في جمع شتاته، وصهره في بوتقة واحدة في ظل إمارة إسلامية موحّدة، مع حرصها على تطبيق تعاليم الدين الحنيف في جميع شؤون حياته.

وقد جاء الفصل الرابع الموسوم ب "**الإصلاح الثقافي والاقتصادي والقضائي والعسكري**" مكمّلاً للفصل الثالث من خلال ذكر الإصلاحات التي قامت عليها الإمارة، ففي الجانب الثقافي كان الحديث عن الحركة العلمية التي عرفتها الإمارة، مع ذكر العناية الكبيرة التي أولَتْها للحفاظ على الثقافة العربية الإسلامية، خاصة أنّ الشيخ أحمدو لوبو رجلُ علمٍ قبل أن يكون رجل دولة، ثم تطرّقنا إلى النظام الاقتصادي الذي تبنّته الإمارة، وكيف تمكنت من تحويل المجتمع البدوي إلى مجتمع مستقر يعتمد في اقتصاده على الزراعة، دون إهمال النشاط الرعوي والتجاري، كما تم الحديث على مصادر بيت المال وعن أهم المكاييل والموازين والعملات المستخدمة بماسينا، أما الجانب القضائي فقد حرصت الإمارة كل الحرص على أن يكون مستمداً من الكتاب والسنة النبوية الشريفة، أمّا في المجال العسكريّ فقد تمكّنت الإمارة من بناء جيش إسلامي قوي حصن الإمارة من غارات المناوئين وأدب المتمردين، وحافظ على الأمن العام في المدن والقرى.

أما الفصل الخامس فكان حول **العلاقات الخارجية للإمارة وزوالها**، حيث خصّصنا جانباً منه إلى العلاقات الكنتية الماسينية، ثم علاقات الإمارة مع الطوارق التي تميزت بالعداء الشديد، ثم تطرقنا للحديث عن العلاقة مع الخلافة السكتية في منطقة الهوسا، وأخيراً مع الممالك الوثنية المتاخمة

للإمارة، ثم أشرنا إلى العوامل التي أدّت إلى انهيار الإمارة، وأهمها صراعها مع الحاج عمر الفوتي ثم انعكاسات ذلك الصراع على الإمارة وعلى المنطقة.

وأنهيت دراستي لهذه الأطروحة بخاتمة جاءت على شكل حوصلة لأهم النتائج المتوصل إليها خلال مراحل البحث المختلفة مرفقة بمجموعة من التوصيات والاقتراحات، كما غذّيتُ ذيل هذا البحث بمجموعة من الملاحق والفهارس.

أمّا **الدراسات السابقة** لهذا الموضوع ومن خلال ما اطّلعت عليه فقد تبيّن لنا أنّ هذه الإمارة لم تحظَ باهتمام كبير من الباحثين المثقفين بالثقافة العربية الإسلامية، ومن أهم الدراسات التاريخية التي تقاطعت معها في بحثي ما يلي:

- أطروحة "دولة ماسينا الإسلامية 1818-1863م" للباحث حسن علي منيسي، وهي أطروحة دكتوراه في الفلسفة عن معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1999م، وقد قسمها الباحث إلى ستة فصول تناول فيها التعريف بالشيخ أحمدو لوبو، وعرج على تأسيس الدولة وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ثم علاقاتها الخارجية، لكن للأسف الشديد لم أستطع الحصول على كل فصول الأطروحة بسبب تعنت إدارة المكتبة التي لم تسمح بالاستعارة الخارجية للأطروحة، ووافقت على طبع إحدى و عشرين صفحة فقط، لذلك لم أطلع على كل فصولها.

- كما نجد أطروحة "الفلانيون في مالي وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنين 12هـ-13هـ/18م-19م" للباحث المالي محمد جاكيتي، التي عرّج فيها على تاريخ فلاني مالي وعن أصول هذه القبيلة وتفرّعاتها في مالي، وعن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لهذه القبيلة، لكنّه ركّز على العنصر الفلاني في التراب المالي وليس في منطقة ماسينا فقط.

- أطروحة الباحث آدب ولد سيد محمد الموسومة ب "دور علماء كنته في الحياة الإصلاحية والسياسية في موريتانيا والسودان الغربي 1759- 1864م" وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث

والمعاصر عن جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2022/2021م، قسّمها الباحث إلى ثلاثة فصول، وتحدث في الفصل الثالث على علاقة علماء كنته بالسودان الغربي، ومن خلال ذلك تطرق إلى العلاقات الكنتية الماسينية.

- رسالة ماجستير للطالب نوح عيسي سيدبي بعنوان:"تطبيق أحكام الشريعة في إمارة ماسن الإسلامية ما له وما عليه" عن الجامعة الإسلامية في النيجر، وقد قسمها صاحبها إلى أربعة فصول تناول في فصلها الثاني التعريف بالإمارة وكيفية نشأتها، وتطرق في فصلها الثالث إلى الحديث عن مظاهر تطبيق الشريعة الإسلامية في الإمارة خاصة في الجانب الاقتصادي والقضائي والعسكري، غير أن الباحث ركز على ما مدى تطبيق الإمارة للتعاليم الدين الحنيف فكان يقوم بعرض الحدث التاريخي ثم يبرز مدى موافقته للشرع الإسلاميّ.

وللإجابة عن تساؤلات هذا البحث اعتمدت على جملة من **المصادر والمراجع** الأساسية ومنها: **مصادر مخطوطة** وذلك من أجل تعضيد البحث بمعلومات أصلية تُضفي على البحث مصداقية لقربها من الحادثة التاريخية، وقد وفّقنا بإمكانياتنا البحثية في الحصول على عدد من الوثائق المخطوطة أو المخطوطات المطبوعة ومن بينها ما يلي:

- أحمدو لوبو الماسيني:"رسالة من الشيخ أحمدو لوبو إلى أمير المؤمنين محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي"، وهي وثيقة مهمة استفدت منها عند الحديث عن العلاقات الماسينية السكتية، ودواعي انسلاخ الشيخ أحمدو لوبو من البيعة للخلافة السكتية.

- أبي بكر العتيق: "مخطوط أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق عن كتاب الفقيه أحمد لبو"، تحقيق الباحث علي يعقوب، و تكمن أهميتها في تسليط الضوء على مطالبة أبو بكر العتيق الشيخ أحمدو لوبو بالبيعة للخلافة السكتية.

– أحمد البكاي: "هذا جواب أحمد البكاي للأمير أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد الفلاني في شأن النصراني"، تتضمن هذه الوثيقة السجال الفقهي الذي شهدته الإمارة بقدوم الرحالة الألماني " هنري بارث"، وقد استفدت منها في الفصل الأخير في إطار العلاقة الكنتية الماسينية.

– أحمد البكاي "رسالة من الشيخ سيد أحمد البكاي إلى أحمد أحمد الماسيني الفلاني" تحقيق الباحث إسماعيل طراوري (غير منشورة)، تحمل في طياتها معظم نقاط الخلاف بين الشيخ البكاي والأمير الماسيني حول الأوضاع في تنبكتو.

– كتاب " الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقّد من البدع وإحياء ما اندرس من السّنن" لأحمدو لوبو مؤسس الإمارة الماسينية الفلانية الإسلامية، وهو مصدر مطبوع غير محقق، وقد تحدث فيه الشيخ عن الدواعي والدوافع التي دفعت به إلى إعلان حركته الجهادية، ويُعدّ هذا هو الإنتاج الفكري الوحيد الذي تركه الشيخ.

–"فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد"، ألّفه تلميذه محمد بن على فيريج، إذ تناول فيه أخلاق الشيخ أحمدو لوبو الفعلية والقولية، فجمع فيه ما تسنّى له جمعه مما شاهده هو بنفسه، أو ما كتب عنه من شعر الشعراء ومن مرثيات الذين رثوه بعد وفاته.

–" المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب الصحراء" ليحي ولد البراء، والذي يضمّ إثني عشر جزءاً، وهو كتابٌ موسوعي ضمّ العديد من الرسائل والفتاوى التي اكتنزتها المخطوطات في منطقة غرب وجنوب الصحراء الكبرى، وقد تناول في مجلده الأول أهم الحركات الإصلاحية التي عرفتها المنطقة، كما استفدتُ من المجلد السابع الذي تضمن السجال الفكريّ بين الحاج عمر الفوتي والأمير أحمدو الثالث من خلال الرسائل التي تبادلها الطرفان.

– "كنتة الشرقيون" لبول مارتي تناول فيه الضابط الفرنسي تاريخ قبيلة كنته بأصولها وفروعها، وقد استفدت منه في الجزء الذي خصّصه للشيخ أحمد البكاي الكنتي وعلاقته بإمارة ماسينا.

– "الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا" لمحمد الحافظ التيجاني، قسّمه صاحبه إلى كتابين تناول في كتابه الأول تاريخ وجهاد الحاج عمر، وبما أنّ المؤلِف تيجاني الطريقة فقد استطرد في مدح الحاج عمر وفتوحاته، أمّا الكتاب الثاني فقد ضمّ كتاب "سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الشيخ عمر الفوتي واحمد بن احمد الماسيني" لمؤلفه الحاج عمر الفوتي، سرد فيه مؤلفه حروبه مع إمارة ماسينا، وضمّ الرسائل التي تبادلها مع الأمير أحمدو الثالث.

–" تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني)" قام الأستاذ ياسين بن روان بتحقيق مخطوط رسالة الشيخ أحمد البكاي إلى الأمير الماسيني في شأن النصراني "هنري بارث".

ومن أهم **المراجع** التي أسهمت في إثراء دراستي واستفدت من مادتها العلمية ما يلي:

–مؤلف "الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبّان القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي" لصاحبه أحمد بوعتروس، وهو من الدراسات المتخصصة يضمّ تسعة فصول، تناول فيها المؤلِف انتشار الإسلام في إفريقيا، وواصل الحديث عن الحركات الإصلاحية والجهادية التي شهدتها إفريقيا، وتحدث في فصله الرابع عن حركة الشيخ أحمدو لوبو الماسيني، كما ردّ فيه على الكتابات الاستشراقية التي تحول تحوير الحقائق إذ تعلق الأمر بالحركات الجهادية الإسلامية.

–كتاب عبد الله سيسي: " حركات الإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين"، وهو كتاب مهمٌّ خاصة أنّ صاحبه من المتخصّصين في الدراسات الإفريقية، تضمن مدخلاً عاماً حول الحركات الإصلاحية وثلاثة أبواب، تضمّن الباب الثاني المشاريع الإصلاحية التي سبقت الاستعمار الأوروبي، والباب الثالث تضمّن الحركات الإصلاحية التي عاصرت التوغل الاستعمار، وخصّص جزءاً مهمّاً لإمارة ماسينا.

–عبد القادر بن تيجان بن لالم كجيري: موسوعة تاريخ مالي، وهو كتاب ثريٌّ بالمعلومات حول تاريخ دولة مالي ضم عشرة أجزاء، غير إنّه يحتاج إلى التدقيق والتمحيص في معلوماته خاصة أنّ

صاحبه وضعه بدون تهميش، خصّص الجزء السادس للحديث عن أصول قبائل الفولان وعن أوضاع منطقة ماسينا قبل ظهور الشيخ أحمدو لوبو، وتحدث فيه عن جهاده وحروبه وعن التنظيمات التي أقامتها الإمارة وعن خلفائه من بعده، كما خصّص الجزء الخامس والسادس للحديث عن الإمارات الوثنية (سيغو—كارتا)، وتطرق في الجزء التاسع لجهاد الحاج عمر الفوتي.

– الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان دراسة وثائقية، ضمّ الكتاب ستة فصول خصّص الفصل الرابع لأبرز الشخصيات السياسية والعلمية لدى قبائل الفلان، وخصّص الفصلين الخامس والسادس لنماذج من أدب الرسائل عند ساسة وعلماء الفلان.

– "جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي" لعثمان بريما باري، قسّمه صاحبه إلى ستة فصول، وقد استفدت من فصله الرابع الذي تناول الممالك الإسلامية التي شهدها الغرب الإفريقي قبل ظهور الاستعمار الأوروبي، لكن بالرغم من تضارب أقواله مع المراجع الأخرى إلا إنّه يُعدّ مرجعاً مهمّاً خاصة عند الحديث عن قبائل الفلان.

– " الأزواد خلال القرن 13هـ/19م دراسة تاريخية واجتماعية واقتصادية" للأستاذ مبارك جعفري، جاء هذا الكتاب موسوعياً في مادته العلمية والمناطق التي شملتها الدراسة، وقد قسّمه إلى بابين يضمّان أربعة فصول، وقد استعنت ببابه الثاني الذي تطرّق فيه إلى الحياة الاقتصادية خاصة المعاملات التجارية والعملات والمكاييل والأوزان.

–آدى آجايي وآخرون:تاريخ إفريقيا العام، المجلد السادس، القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانياته، ضمّ الكتاب تسعا وعشرين فصلاً، تناول الفصل الحادي والعشرين الثورات الإسلامية في غرب إفريقيا خلال القرن التاسع عشر، وتحدث الفصل الثالث والعشرون عن مملكة ماسينا وجهاد الحاج عمر الفوتي.

ومن بين أهم **المراجع الأجنبية** التي كانت عونا لي في إعداد هذه الأطروحة نذكر:

- L' empir du peul Macina(1818-1853) "، يُعدّ هذا الكتاب من أهم الكتابات التاريخية حول الإمارة، وهو من تأليف شخصين: أحدهما من أبناء المنطقة وهو أحمد همباتي با، والآخر أوروبي هو جاك داجي والذي تناول الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بصفة جيدة، وهو مصنّف نفيسٌ لا يمكن الاستغناء عنه، خاصة أنّ مؤلفه أحمد همباتي با يُعدُّ من أهم الكُتّاب والمؤرخين في المنطقة خلال القرن العشرين، والذي عرف بالموضوعية والحياد من خلال سرده التاريخي للإمارة، وهو صاحب المثل القائل: "حين يموت شيخ في إفريقيا فكأنّما أحرقت مكتبة ".

-"Tauxiere, Louis "Moeurs et Histoire des Peules، تناول فيه الكاتب"لويس توكسير" تاريخ قبائل الفلان في منطقة ماسينا وفوتا جاولون، وهو كتاب مهمٌّ في معرفة الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الماسيني.

- Sultan, Caliph, and th Renewer of the Fatih Ahmad Lobbo, the Tarikh al-fattash and the Making of an Islamic State in West Africa قسم الباحث "ماورو نوبيلي" كتابه إلى ثلاثة أجزاء تحدث بإسهاب عن قضية تحريف كتاب "الفتاش" من طرف الشيخ ألفا نوح بن الطاهر في جزئه الأول والأخير، أما الجزء الثاني فتناول فيه علاقة إمارة ماسينا مع قبيلة كنته و الخلافة السكتية.

لا شك أنّ إنجاز أيّ بحث أكاديمي جديد ذي صبغة إفريقية تكون مادته العلمية قليلة، تقف في طريق إنجازه عدة **عوائق وصعوبات** نذكر منها:

- قلة البحوث والدراسات العربية حول الموضوع، وتشتّتها في المخطوطات والمصادر والمراجع والأطروحات التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة.

- بُعد الإقامة عن مراكز البحث في مالي وصعوبة الوصول إليها؛ بسبب الظروف الأمنية التي تعيشها المنطقة محلّ الدراسة، ممّا جعل الانتقال إليها صعباً وربّما مستحيلاً، وحدّ من إمكانية سفري إليها.
- تعنت إدارة بعض المكتبات الجامعية الخارجية التي لم تسمح بالإعارة الخارجية للرسائل الجامعية أو حتى طبعها.
- صعوبة الحصول على مخطوطات مصوّرة من الخزائن الموجودة في تنبكتو بسبب غلاء أسعارها.
- كثرة الترجمة للمراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها، وهو ما تطلب مني وقتا وجهدا مضاعفا.

ومع كل ذلك فقد بذلتُ كلّ ما في وسعي للإلمام بالموضوع، ودراسته وتحليله ومناقشته مع استنباط النتائج المتوخّاة، وتخطّي هذه الصعوبات من خلال استشارة الأستاذ المشرف ومساعدته.

وفي الأخير لا يفوتني إلا أن أحمد الله تعالى أن وفقني لإنجاز هذا البحث، كما أتوجّه بالشّكر الجزيل والثّناء الحسن للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور عبد الله بابا؛ على قبوله الإشراف على أطروحتي أوّلاً، وعلى المساعدات التي قدّمها لي من توجيهات ونصائح أو مراجع تخدم البحث، كما أشكر كلّ من علّمني في كل أطواري الدراسية من شيوخي في الكتّاب إلى أساتذتي في الدراسات العليا.

الفصل الأول: دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة ماسينا وما جاورها

- أولاً: منطقة ماسينا طبيعيا وبشريا
- ثانياً: التعريف بقبائل الفلان
- ثالثاً: الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة قبل نشأة الإمارة
- رابعاً: الحركات الإصلاحية الفلانية التي شهدها القرن التاسع عشر الميلادي

قد عُرِفَ غرب إفريقيا قديما ببلاد التكرور، ثم اشتهر بالسوان الغربي تميزا له عن السودان الأوسط والشرقي، وقد تميزت هذه المنطقة بتنوعها الطبيعي وفسيفسائها البشرية، وسنركز الحديث عن المظاهر الطبيعة والبشرية التي شهدتها منطقة ماسينا خاصة والسودان الغربي عامة، فبدأنا الحديث بالتعريف بمنطقة ماسينا والوقوف على طبيعتها الجغرافية والبشرية، ثم تقديم لمحة موجزة عن العنصر الفلاني، ثم عرجنا على الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة قبل نشأة الإمارة، دون أن ننسى الحركات الإصلاحية الفلانية التي شهدها القرن التاسع عشر الميلادي.

أولاً: منطقة ماسينا طبيعيا وبشريا:

1- الدراسة الطبيعية

أ- الموقع الجغرافي لمنطقة ماسينا:

لم تهتم الوثائق والكتب التاريخية المصدرية بالتعريف بالمنطقة من حيث الموقع والمساحة والحدود القديمة، بل اكتفت بإشارات عابرة لا تعطي تصورا واضحا عنها، إذ يقول الباحث عثمان برايما:" تقع ماسينا في الشمال الغربي لمنطقة السودان الغربي أي في جمهورية مالي حاليا في منعطف نهر النيجر"[1] ويحدد موقعها المؤرخ محمد الغربي بقوله :" ماسينا تقع في منطقة مستنقعية تكثر فيها الأنهار التي ترفد النيجر، وتمتد في أطرافها البحيرات "[2]، ويشير احد المؤرخين إلى أن ماسينا تقع في منطقة يتسع فيها مجرى نهر النيجر بفضل فرعه باني، ويبدو أن للنهر فروع كثيرة تصل بين عدد من البحيرات وتكوّن مجموعة من الجزر الصغيرة[3]، بيد أن الباحث في تاريخ المنطقة نوح عيسى سيديبي حاول أن يحدد الموقع الجغرافي للمنطقة واهم مميزاتها الطبيعة بقوله:" تمثل هذه المنطقة ما يشبه شريطا مستطيلا من

[1] عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، 2000م، ص157.

[2] محمد الغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982، ص73.

[3] عبد القادر بن تيجان بن لالم كجيري: موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كجيري للبحوث والدراسات التاريخية، مالي، 2015م، ص 441.

الأرض، ينساب من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، ضمن رقعة مكانية تحتضن المناطق المحيطة بنهر باني[1] ونهر ديكا[2] ونهر النيجر الأم، الذي يخترق المنطقة من أقصى الغرب إلى أقصى الشمال الشرقي، تاركا وراءه شبكة متداخلة من الروافد والمجاري المائية التي يصعب حصرها، حيث تتحول المنطقة في فصل الأمطار إلى ما يشبه المحيط الكبير من المياه التي تتخللها الجزر الصغيرة المتناثرة هنا وهناك، بحيث لا يتأتى التنقل إلا بالقوارب الصغيرة في كثير من الأماكن، أما في الفصل غير المطير فتجف بعض هذه الشبكات المائية مخلفة وراءها تربة غنية معطاءة، تنمو عليها الحشائش الصالحة للرعي"[3].

كان يطلق على منطقة ماسينا اسم " جي كونو" أي المستنقعات المائية، وقد أخذت هذا الاسم من أحد المستنقعات المائية المنتشرة في المنطقة[4]، أما اسم ماسينا[5] أو ماسن فقد رجح بعضهم أن تكون مأخوذة من كلمة " موسيني" أو"مويني "والتي تعنى أرضع أو رضع باللغة الفولانية، وأطلقت

[1] يقع هذا النهر الشرق من نهر النيجر الأم ويسير بمحاذاته ويلتقي معه قرب مدينة موبتي بحيث يصيران نهرا واحدا يأخذ وجهة الشمال الشرقي صوب تنبكتو، وتقع مدينة الحمد لله على ضفته الشرقية ومدينة جني على ضفته الغربية، ينظر :نوح عيسي سيدبي: تطبيق أحكام الشريعة في إمارة ماسن الإسلامية ما له وما عليه، أطروحة ماجستير في الدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية في النيجر ،2007-2008، ص60.

[2] يعد هذا النهر صغيرا مقارنة بنهر باني، كما انه يقع الغرب من نهر النيجر الأم، ويتفرع عنه قرب جفرابي ويسير بموازاته، وتقع مدينة تننغو على ضفته الغربية وهي المدينة التي أنشئت بعد العاصمة حمد الله بقليل لمراقبة تحركات قبائل البمبارا في المناطق الغربية والجنوبية الغربية ، وكانت عاصمة لإقليم ماسينا. ينظر: نفسه، ص61.

[3] نفسه، ص ص60-61.

[4] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص441.

[5] ماسنَةٌ بفتح مدينة في موريتانيا تضم مجموعة ذات أصول صنهاجية سودانية مختلطة والشرفاء أبناء عبد المؤمن والطلبة أبناء محمد مسلم، أما ماسينا بكسر السين فهي المنطقة في مالي وهي موضوع الدراسة، ويشير الباحث محمد جاكيتي أن ماسينا سرة الفلانيين وقد أعطت اسمها لمملكة أربي، ولا توجد كلمة عربية مرادفة لها فهي تعني مجموعة من الخصائص والخصال التي يتمتع بها الفلاني. ينظر محمد جاكيتي: الفلانيون في مالي وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنيين 12هـ-13هـ/18م-19م، أطروحة دكتوراه في الحضارة الإسلامية، قسم المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2006-2007م، ص37. وينظر أيضاً: حماه ولد السالم: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 2007، ص ص182-183. ينظر أيضا: محمد بن ناصر العبودي: سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض السعودية، 1999م، ص111.

على المنطقة كتعبيراً على خصوبة التربة ووفرة المراعي التي أنعم الله بها عليها، مما جعلها مناسبة لتربية الماشية وخاصة الأبقار التي يمتهنها الشعب الفلاني، إذ تتوفر على العلف والتغذية الجيدة التي تنتج غزارة الألبان وكثرتها[1]، ويبدو هذا التحليل جيداً يربط بين أصل الكلمة وموقعها الجغرافي الخصيب.

وقد تميزت هذه المنطقة بوفرة خيراتها وخصوبة أراضيها، وقد وصفها المؤرخ محمد الغربي:" ومن خيراتها فهي كثيرة وهامة، فالمزارع المعطاء في كل جهة، وشباك الصيادين تلقى في أنهر وبحيرات غنية بالأسماك، وذلك عدا منجم الذهب الذي استثمر منذ القدم بين مدينتي بانغو و بورغو (منجم بيطو)... لقد كانت ماسينا هي مزرعة السودان الأولى، وخزانته الذهبية "[2].

ب– التضاريس :

تتميز منطقة السودان الغربي ببنية طبيعية متباينة تفتقد للوحدة الفيزوغرافية[3] أطرافها متداخلة في حين أن أوساطها واضحة، وقد شهدت المنطقة عبر مختلف الأزمنة الجيولوجية تغيرات مناخية أدت إلى تشكيل هضبة قديمة عملت العوامل الطبيعية على تغيير قشرتها الخارجية، فتكونت الأودية المنخفضة والصحاري الواسعة والسهول الخصبة، ويمتد هذا المظهر التضاريسي من بحيرة التشاد إلى المحيط الأطلسي ويتشكل من منطقتين أساسيتين:

[1] عثمان برايماباري: المرجع السابق، ص157.

[2] محمد الغربي: المرجع السابق، ص ص73–74.

[3] علم دراسة الظاهرات الطبيعية لسطح الأرض من حيث العوامل التي أدت تشكيلها، والعلاقة بين بعضها البعض،، ويفرق البعض بين الفيزيوغرافيا والجيمورفولوجيا فبينما تكون الأولى وصفية تكون الثانية تحليلية وتعليلية، ينظر:يوسف توني: معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م، ص380.

المنطقة الشمالية: تصل أطرافها إلى الصحراء الكبرى شمالاً و إلى النيجر الأوسط جنوباً[1] تتخللها هضاب وسلسلة جبلية عبر طريق سيغو و أهير وجبال أورار الشرقية والغربية، وتنتشر الكثبان الرملية والواحات في أجزائها الشمالية[2].

المنطقة الوسطى: تمتد من بحيرة التشاد شرقاً إلى فوتاتور في السنغال غرباً،[3] ترتفع في وسطها هضبة بركانية يقدر ارتفاعها مابين 300م إلى 450م[4]، وتكون شريطاً زراعياً يعد من أخصب أراضي السودان الغربي، وتنتشر السهول مع الهضاب في المنطقة الوسطى من فوتاتور، أما جنوبها فنجد حشائش الاستبس وانتشار المناطق الرعوية.[5]

ج-المناخ:

يؤثر كل من الموقع الفلكي والجغرافي تأثيراً كبيراً على تنوع المناخ في هذه القارة الواسعة، حيث يخترقها خط الاستواء في وسطها والمدارين في شمالها وجنوبها، لذلك تتميز بارتفاع درجة حرارتها في جل أجزائها لتعامد أشعة الشمس على المنطقة الاستوائية[6].

---

[1] عبد الكامل عطية: الروابط التجارية والثقافية بين بلدان المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء 1494- 1894م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر، 2014-2015م، ص ص42-43.

[2] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء، الدار المصرية اللبنانية، مصر، 1999م، ص19.

[3] الهادي هارون: الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن16م 19م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، الجزائر، 2015-2016م، ص22.

[4] قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنيين 9هـ و10هـ/15م و16م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010-2011م، ص12.

[5] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص43.

[6] احمد نجم الدين فليجة: إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، بدون سنة، ص145.

إن أقصى المناطق بعداً نحو الشمال في منطقة السودان الغربي لا تتعدى مدار السرطان فتنبكتو مثلاً تقع عن درجة عرض 16,5 شمالاً، لهذا تكون الشمس دائما مرتفعة في كبد السماء عند الظهيرة، لذلك ينذر أن تكون درجة الحرارة منخفضة في النهار، فخلال صيف النصف الشمالي تكون الشمس عمودية على مدار السرطان لهذا تكون درجة الحرارة أكثر ارتفاعا في هذه المنطقة[1].

تقع المنطقة المدروسة ضمن المنطقة المدارية التي لا ينخفض المستوي الحراري الشهري فيها عن 16^0، وتدعى منطقة السفانا، ويتميز هذا الإقليم بأمطاره الصيفية التي تزداد كميتها كلما اتجهنا جنوبا في المناطق المتاخمة لخط الاستواء وتقل كلما اتجهنا شمالاً، وترفع درجة حرارته كلما اتجهنا نحو الداخل وشمال الإقليم[2]، وتقل في فصل الشتاء وفي المناطق المرتفعة وتتأثر هذه الأخيرة بالرياح الشمالية الشرقية التي تتصف بالبرودة وتدعى محلياً بالهرمتان[3] وتؤدي إلى أثارة الزوابع الرملية[4]،كما ترتفع نسبة الرطوبة خلال موسم الإمطار التي تتساقط معظمها من شهر جوان إلى شهر أكتوبر، وتزيد نسبتها كلما اقتربنا من المناطق الساحلية[5].

د– الغطاء النباتي:

يعد الغطاء النباتي نتيجة تفاعل بين المناخ والتربة، إذ يساهمان في كثافته وتنوعه، ولذلك كانت المناطق المطيرة طوال العام تظهر فيها الأشجار الدائمة الخضرة، وتتركز بشكل كبير في جنوب نيجيريا وساحل العاج(حالياً)، وإذ كانت الإمطار فصلية تتحول النباتات إلى غابات نفضية، تكون أقل

[1] أنور عبد الغني العقاد: الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ، الرياض، 1982م، ص268.

[2] احمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص170.

[3] عبارة عن رياح شمالية أو شرقية جافة تؤدي هبوب زوابع رملية قد يصل تأثيرها المناطق الساحلية ،وتؤدي التقليل من نسبة الرطوبة ، للمزيد ينظر: نفسه،ص352، وأيضا: محمد مرسي الحريري: جغرافية القارة الإفريقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م، ص167.

[4] عبد القادر مصطفى المحيشي: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 2000م، ص160.

[5] محمد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا، هنداوي، بيروت لبنان، 2015م، ص132.

حجما وطولاً من الأولى، ومع الاتجاه شمالاً تقل كمية الإمطار ويقل معها الغطاء النباتي[1]، وإقليم السفانا[2]هو إقليم العشب والمراعي وتزرع فيه الذرة والقطن[3]، وعلى هوامش جنوب الصحراء الكبرى يوجد نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق تسوده حشائش الاستبس[4] التي تنمو في فصل المطر فقط[5].

يكاد يخلو الجزء الشمالي من نهر النيجر من الغطاء النباتي بسبب الجفاف باستثناء بعض الأشجار والنباتات الشوكية، وفي جنوبه تنمو المراعي خاصة في مواسم الفيضانات،كما تنمو الأحراش والأشجار التي لا يتجاوز طولها خمسة إلى ستة أمتار[6]، مثل الطلح والهجليج والأرك والنبع والسيال والبشام، وبالنسبة للثروة الحيوانية فنجد الزواحف والنعام والغزلان والجواميس ووحيد القرن والقردة، وفي النهر نجد الأسماك والتماسيح وفرس النهر بالإضافة إلى مختلف أنواع الطيور[7].

هـ- الثروة المائية:

1- الأمطار: يعتبر المطر من أهم المظاهر الطبيعية التي تميز منطقة السودان الغربي، ويعتبر إقليما فريدا في كون نطاقات المطر تسير موازنة للدوائر العرضية[8]، فيختلف سقوطه من جهة لأخرى ومن موسم لآخر ومن سنة إلى سنة، ويسقط المطر بين شهري جوان وأكتوبر وأكثر الشهور تساقطاً

[1] الهادي هارون: المرجع السابق، ص33.

[2] الإقليم أو الغطاء النباتي الذي يطلق على الإعشاب المدارية أو دون المدارية بصفة رئيسية، ينظر: محمد عبد المجيد عامر: دراسات في جغرافية الموارد الاقتصادية في العالم، منشأة المعارف، مصر، 1982، ص49.

[3] محمد محي الدين بدق: إفريقيا وحوض النيل، ط2، مطبعة عطايا، مصر، 1934، ص47.

[4] كلمة روسية مفردها " أستب" تعني الأرض الفسيحة الخالية من الأشجار والتي تغطيها الإعشاب المعتدلة، يطلق هذا الاسم على إقليم نباتي تنمو فيه نباتات شوكية دائمة وحشائش فصلية صالحة للرعي، ويطلق عليها في أمريكا الشمالية باسم البراري، ينظر: محمد صبحي عبد الحكم: دراسات في الجغرافيا العامة، دار النهضة العربية، مصر، 1980، ص97.

[5] عبد القادر مصطفى المحيشي: المرجع السابق، ص161.

[6] Augustin Hacquard :Monographie de Tombouctou accompagnèe de nombreuses illustration et d'une carte de la règion de Tombouctou , Sociètè des ètudes coloniales et maritimes, paris ,1900 ,p16 .

[7] مبارك جعفري: الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، دار الكتاب العربي، الجزائر،2021، ص ص56-57.

[8] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص45.

جويلية وأوت، ويعود السبب في سقوط الأمطار صيفاً إلى تحرك منطقة الضغط المنخفض نحو دائرة العرض20^{0}شمالاً، وفي هذه المنطقة المدارية يلتقي الهواء المداري القاري القادم من الشمال والمداري البحري القادم من الجنوب والمحمل بالسحب[1]، وبعضه ينشأ من كثرة التبخر ومن التيارات الهوائية الصاعدة المشبعة ببخار الماء[2]، بالإضافة إلى الرياح الموسمية الصيفية المنطلقة من منطقة الضغط المرتفع المرتفع المتمركز على جزيرة سينت ألين (سانت هيلانة)[3] في المحيط الأطلسي، والتي تكون مشبعة ببخار الماء وتتسبب في سقوط الأمطار على المناطق التي تصلها،[4]ويصل تأثيرها إلى المناطق الداخلية حيث يكون الصيف ممطراً، وقد تتسبب أحياناً في ظهور الأعاصير[5].

ويبلغ معدل التساقط عند دائرتي عرض 15° شمالا إلى 18°شمالا حوالي (255ملم) في السنة منها (88ملم) في شهر جويلية، أما الجزء الممتد بين دائرتي عرض(18° و22°)شمالاً فكمية التساقط به لا تزيد عن 50ملم سنوياً، وعند سقوط المطر تكثر البحيرات وينمو الكلأ ، وتزيد نسبة الرطوبة بالقرب من نهر النيجر وتقل كلما ابتعدنا عنه[6].

2- الأنهار:

تقع منطقة فوتاجالون في الشمال الشرقي من غينيا كوناكري على الحدود المشتركة مع مالي والسنغال وتقدر مساحتها بحوالي 80الف كلم^2، ويبلغ متوسط ارتفاعها 1000م ويتجاوز ارتفاع بعض قممها 1500م كجبل لورا (1515م)، وتنحصر المنطقة بين دائرتي عرض9^0 إلى 30^{0}شمالاً

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص55.

[2] جودة حسين جودة: قارة إفريقيا دراسات في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م، ص74.

[3] وتسمى سانت هيلانة :جزيرة بركانية تقع في المحيط الأطلسي تابعة لبريطانيا، نفي إليها نابليون بونابرت سنة1815 وتوفي بها سنة1821، تبعد عن الساحل الجنوبي الغربي لإفريقيا بنحو1930 كلم، ينظر: حسام الدين إبراهيم عثمان: موسوعة دول العالم، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014، ص84.

[4] يحي ولد البراء: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب الصحراء، المجلد الأول، المكتبة الوطنية بنواكشط، موريتانيا، 2009، ص32.

[5] محمد مرسي الحريري: المرجع السابق، ص167.

[6] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص ص55-56.

ويسودها المناخ الشبه الاستوائي والمداري، وتتميز بغزارة أمطارها إذ تصل الفترة المطيرة إلى سبعة أشهر لذلك تعد خزاناً هيدروغرافياً هاماً في منطقة السودان الغربي[1]، إذ تنبع منه أهم أنهار المنطقة كنهر النيجر والسنغال وغامبيا بالإضافة إلى نهر الكازمانس ونهر الفولتا والداهومي، وسنعطي لمحة عن أهم نهرين لعبا دوراً هاماً في تاريخ وحضارة المنطقة وهما نهري النيجر والسنغال.

أ–نهر النيجر: يعد أهم مجرى مائي في المنطقة وثالث أنهار إفريقيا بعد نهر النيل والكونغو[2]، يبلغ طوله 4200كم[3]، ينبع من السفوح الشمالية لهضبة فوتاجالون في أقصى الجنوب الغربي فيتجه نحو الشمال ثم إلى الشمال الشرقي حتى يصل تنبكتو، ثم ينحرف إلى الشرق وتتحد مجاريه ويصنع ثنية عظيمة يتجه بعدها نحو الجنوب لتصب في المحيط الأطلسي، وفي هذا المسار يلتقي النهر بعدة روافد من أهمها نياتان وميلو وباني، وأهمها نهر البنوي حيث تلتحم مياههما متجهة نحو الجنوب لتصب في المحيط بدلتا واسعة متعددة الفروع[4]، ويبتدئ نهر النيجر فيضانه في منتصف جوان ويدوم ثمانين يوماً، ويغمر عند فيضانه السهول والأودية المتاخمة له، فينتقل السكان من ضفة إلى أخرى بواسطة الزوارق، ويقطع النهر كل من غينيا كوناكري ومالي والنيجر ونيجيريا[5].

أما من حيث التسمية فيشير المؤرخ الفرنسي" موريس دولافوس" أن كلمة نيجر مشتقة من الكلمة البربرية(غر) أو(غير) التي تعني الماء المتحرك، وهو نفس الاسم الذي أطلق على النهر الذي يمر بمدينة" جاو"حيث يطلق عليه اسم(يغريون) والتي حرفها التجار غير البربر إلى شكل (ينغر) التي

[1] مليكة صالحي: النظام السياسي عند قبائل الفولان: دراسة نموذجية لمنطقة الفوتاجالون 1751-1840، مشروع لنيل شهادة الماجستير في تخصص دراسات افريقية في الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2011-2012، ص ص7-12.

[2] إلهام محمد علي ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1941، دار المريخ، الرياض، 1988م، ص20. للمزيد ينظر الملحق رقم 3.

[3] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص48

[4] محمد رياض وكوثر عبد الرسول: المرجع السابق، ص104.

[5] مارمول كربخال: إفريقيا ،ج1،تر، محمد حاجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م، ص55.

تحولت إلى (نيجر)، ومن الأسماء المحلية لهذا النهر"جوليبا "وتعني بلغة الماندينغ " النهر العظيم"[1]، وقد أطلق الاستعماريون الأوائل على روافد نهر النيجر بأنهار الزيت، لأن هذه المنطقة اشتهرت بأجود أنواع الزيوت، ويعد نهر النيجر صالحاً للملاحة النهرية وهو ما جعله القلب النابض للتجارة النهرية في منطقة السودان الغربي وازدهرت على ضفافه عدة ممالك ودول[2].

وقد تضاربت الأقوال بخصوص منبع نهر النيجر واتجاهه، وأخلط الرحالة العرب بين نهر النيجر والسنغال وأطلقوا على كليهما نيل السودان أو بحر السودان، فقد قال القشتالي:"نيل السودان يجري من الشرق إلى أقصى الغرب وعليه جميع بلاد السودان أو أكثرها... ذلك أنه يخرج منه عشرة عيون فتصب خمسة أنهار منها في بطيحة وتخرج خمسة انهار أخرى فتصب في بطيحة أخرى"[3].

وفي القرن السادس عشر ميلادي قام الحسن الوزان برحلة عبر الصحراء من فاس إلى سجلماسة وتغازة حتى وصل إلى تنبكتو وجني، وأكد أن النهر يسير نحو الغرب، وفند الرأي القائل أنه ينبع من جبال تقع في الغرب ثم يسيل نحو الشرق ليتحول إلى بحيرة[4].

وظلت مشكلة منبع نهر النيجر واتجاهه قائمة حتى القرن الثامن عشر، وعند انطلاق الكشوفات الجغرافية الأوروبية لمعرفة حقيقة هذا النهر، اهتمت الجمعية الجغرافية البريطانية[5] بذلك وتمكن الرحالة" مانجو بارك"[6] أن يحل مشكلة اتجاه النهر، وأقر أنه يسير من الغرب نحو الشرق،

---

[1] نور الدين شعباني: محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، 2015م، ص ص 5-6.

[2] إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص20.

[3] أبو فارس عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972، ص166.

[4] الحسن الوزان: تاريخ السودان، مطبعة بردين، باريس، 1981، ص ص37-38.

[5] الجمعية الجغرافية البريطانية: تعرف بالجمعية الإفريقية تأسست سنة 1788م من قبل مجموعة من الباحثين البريطانيين،من أهدافها تنشيط حركة الكشف الجغرافي للأقاليم الداخلية لإفريقيا وتنشيط التجارة البريطانية مع غرب إفريقيا، ينظر: س هوراد: أشهر الرحلات في غرب إفريقيا،تر، عبد الرحمان عبد الله، الهيئة المصرية للكتاب، 1996م، ج1، ص ص63-67.

[6] مانجو بارك:طبيب اسكتلندي ولد عام 1771م تميز بحب المغامرة و الطموح وقوة الملاحظة تم إرساله من طرف الجمعية الجغرافية البريطانية افريقيا عام 1795م وصل خلالها نهر النيجر وغامبيا ورجع لندن عام 1797م وسجل رحلته في كتاب

وتثبت من منابع كل من نهر النيجر والسنغال وغامبيا وحدد الاتجاهات الرئيسية لكل نهر، وأنها ليست متصلة مع بعضها البعض كما كان يعتقد سابقاً[1]، وظل التنافس بين بريطانيا وفرنسا على اكتشاف المناطق الداخلية للنهر حيث تمكن المستكشف الفرنسي" رنيه كاييه"[2] من الوصول إلى مدينة تنبكتو سنة 1827 والعودة سالماً إلى فرنسا وحقق بذلك نصراً للجمعية الجغرافية الفرنسية الناشئة[3]، وفي الفترة الممتدة من1850-1855م أرسلت بريطانيا المستكشف هنري بارث[4] الذي تمكن من اكتشاف المناطق الداخلية للنهر[5].

ب-نهر السنغال:

يتمتع هذا النهر بشهرة كبيرة عند الرحالة العرب، بحيث أنهم عندما يتكلمون عن النيل السوداني انطلاقا من بلاد التكرور فإنهم كانوا يقصدون هذا النهر، وينبع هذا النهر من نفس المنطقة التي ينبع منها نهر النيجر من هضبة فوتاجالون، ويبلغ طوله 1700كلم ويأتي كسادس الأنهار الإفريقية طولاً وخامسها من حيث مساحته وحوضه، وقد تكون هذا النهر وبدأ يتخذ مجراه في

سماه"رحلات في الأقاليم الداخلية من إفريقيا" ثم قام برحلة أخرى في 1805 توفي خلالها سنة 1806م، يحسب له انه اكتشف مجرى النيل ومنبعه، ينظر: جوزفين كام: المستكشفون في إفريقيا، تر، يوسف نصر وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ص ص88-103.

[1] يحي جلال: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999م، ص226.

[2] رنيه كاييه (1799م-1838م): مستكشف فرنسي وصل تنبكتو. للمزيد ينظر: جوزفين كام: المرجع السابق، ص ص143-148.

[3] إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص22.

[4] هنري بارث: (1821م-1865م) مستكشف ألماني عمل تحت رعاية البعثة البريطانية لاستكشاف إفريقيا كان له الفضل في اكتشاف المناطق الداخلية لنهر النيجر. ينظر: جوزفين كام: المرجع السابق، ص175.

[5] نفسه،ص ص ص145-179-180.

منتصف الزمن الجيولوجي الثالث حيث انحسر خليج السنغال، وكان لتجمع الكثبان الرملية أثره في انحراف مجرى النهر عند مصبه ومنع من نمو سانت لويس كميناء كبير[1].

أما المسار الذي يسلكه نهر السنغال شبيه بمسار نهر النيجر إلا أنه في الاتجاه المعاكس له، فنهر السنغال يبدأ مساره شمالاً ثم غرباً نحو المحيط الأطلسي عند سانت لويس، حيث يمر فوق هضاب الماندينغ أين يشكل خطاً متوازياً مع نهر " غامبيا" الواقع بالجنوب منه، وخلال مساره على هذه الهضبة تتخلله عدة روافد تشترك معه في نفس المسار[2]، ويمتاز بانحدار مجراه في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق إذ لا يتجاوز عمقه ثلاث أمتار لمسافة تبلغ 350كلم من المصب[3]،وبالرغم من أهمية هذا النهر إلا أن القسم الأكبر منه يجري في مناطق قليلة الأمطار ما عدا القسم الأوسط منه، ويصبح صالحاً للملاحة في فصل المطر(أوت – أكتوبر) وتتجلى أهميته في فترة فيضانه حيث يسهم في ري الأرض ويخصب التربة[4].

أما بخصوص تسميته فقد سمه بذلك الأوروبيون، وسماه العرب بنيل السودان، أما السكان المحليين فكانوا يدعونه بأسماء روافده فكانت كل منطقة تسميه باسم الرافد الذي يمر بها، وعندما وصل البرتغاليون لنهر السنغال سنة 1450م أطلقوا عليه اسم "سينا " أو"ساناغا"نسبة إلى أمير من أمراء المنطقة أقاموا معه علاقات معينة، ومنذ ذلك الوقت أصبح يسمى" سينغا" ثم تحول إلى السنغال[5].

وعلى العموم لا تقتصر أهميته في كونه مصدرا هاما للماء والحياة أو عاملا أساسياً في تنشيط الحركة التجارية، أنما تتعدى أهميته ذلك إذا ما علمنا بأنه خزاناً للمعدن الأصفر بما تحتويه أرضيه من

[1] محمد عبد الغني سعودي وآخرون: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الثاني عشر، إقليم غربي إفريقيا، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1999، ص ص44-45.

[2] نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص6.

[3] أحمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص148.

[4] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص50.

[5] نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص7.

ذهب داع صيته مشرقاً و مغرباً وشغل ملوك المشرق والمغرب خلال العصور الوسطى، فوصفها الإدريسي:" ببلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة"[1].

2- التركيبة البشرية:

لا شك أنه من الصعوبة بمكان إعطاء صورة واضحة لتوزيع القبائل في منطقة السودان الغربي، من خلال المصادر العربية القديمة، لأن المؤرخين المشارقة والمغاربة لم يسجلوا المعلومات الكافية عن القبائل وتوزيعها باستثناء البعض منها كقبائل التكرور، فمثلاً عبد الرحمان السعدي في كتابه تاريخ السودان أورد معظم أسماء هذه القبائل لكن في خضم الأحداث السياسية لتلك البلاد دون إعطاء معلومات تفصيلية عنها[2].

نتيجة للموقع الهام والثراء الكبير الذي عاشته منطقة السودان الغربي جعلها موطن للتمازج البشري، إذ عمرته القبائل السودانية المحلية والقبائل الصنهاجية التي انساحت إلى المنطقة من الشمال الإفريقي منذ دهور قبل الفتح الإسلامي لا يعرف أولها، إضافة إلى الهجرات العربية التي وصلت مشارف بلاد السودان صحبة جيوش الفتح الإسلامي أواخر القرن الأول للهجرة السابع الميلادي[3]،كما تمت هجرات قبائل بني حسان بن معقل التي وصلت منطقة الشمال الإفريقي ضمن المجموعات القبلية الثلاث: بنو هلال وبنو سليم وبنو معقل أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)[4].

---

[1] الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المكتبة الثقافية الدينية، مصر، 2002م، ص24.

[2] نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009، ص103.

[3] آدب ولد سيد محمد: دور علماء كنته في الحياة الإصلاحية والسياسية في موريتانيا والسودان الغربي 1759- 1864م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2022/2021، ص151.

[4] عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج6، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000م، ص ص17-18.

تتكون التركيبة البشرية لمنطقة السودان الغربي من عدة قبائل وأجناس زنجية اختلطت دماؤها عبر التاريخ بدماء الساميين والحاميين الذين وفدوا إلى منطقة من الشمال الشرقي والغربي[1]، عن طريق هجرات متعددة نتيجة للظروف الطبيعية والمناخية فاستقرت بهذه المناطق واندمجت بالمصاهرة أو بالحماية القبلية في بعض الأحيان[2]، وتغيرت بمرور الزمن الملامح الرئيسية لهذه الأجناس حتى إننا لا نستطيع أن نميز بعضها عن بعض أو نرجعها إلى أصولها الأولى، ولا يمكننا الحصول على مجموعات مازالت محتفظة بخصائصها وبنقائها الجنسي[3]، وسنركز على أبرز المجموعات البشرية التي قامت بأدوار متعددة في مصير المنطقة المدروسة.

أ- قبائل الماندي (الماندينغ- الماندجو):

ينتشر شعوب الماندينغ في منطقة واسعة من السودان الغربي تمتد من المحيط الأطلسي حتى ثنية النيجر، خاصة في مالي والسنغال وغينيا وغامبيا[4]، ولعل كلمة الماندينغ مصطلح لغوي أكثر منه جنسي فهو يطلق على القبائل المتكلمة بلغة الماند[5]، ويتفرع الماندينغ إلى عدة فروع منها ماندينغ الشمال ويمثله شعبا (البوزو- السوننك) وماندينغ الوسط يتفرعون إلى أربع مجموعات(كاغورو، الباناما أو البمبارا، الخاسونكي، المالنكي أو الماندينغ) أما الفرع الثالث فيعرف بـ(السيفونو)[6]، وسنركز على فرعين هما:

1- البمبارا: يطلقون على أنفسهم (بامانا) أما البمبارا فقد أطلقت عليهم من لدن غيرهم، ونجد إشارة إلى الصبغة الوثنية في لفظ البامانا و التي تعني حرفياً:(الجاحد سيده)، ويقال إن سبب هذه التسمية تمييزاً لهم من بين قبائل المادينغ المسلمة، وقد قويت للبمبارا مملكتان في أواسط القرن الثامن

[1] يحي بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر،2001، ص10.
[2] عبد الرحمن قدوري: المرجع السابق، ص15.
[3] محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، بدون النشر، القاهرة، 1966، ص ص232-233.
[4] احمد نجم الدين فليجة : المرجع السابق، ص195.
[5] آدب ولد سيد محمد: المرجع السابق، ص156.
[6] نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص ص20-31.

عشر الميلادي هما مملكة سيغو ومملكة كارتا[1]، وقد اختلطوا بقبائل الفلان فتغيرت ملامحهم الجسمانية، وتعيش هذه القبائل اليوم بدولة مالي بصفة أكثر، وفي الشمال الغربي لجمهورية ساحل العاج والشمال الشرقي لجمهورية غينيا[2].

2-السوننك: يتميزون بقوة جسمانية كبيرة، اعتنقوا الإسلام في وقت مبكرا و أصبحوا من أكبر دعاته، حتى أن كلمة سوننك استخدمها الماندينغ الوثنيين مرادفة لكل داعي مما يدل على الدور الكبير الذي لعبوه في نشر الإسلام[3]، سكنوا الصحراء في البادية ثم تمركزوا على الإطراف الجنوبية لها المعروفة باسم الساحل، وامتزجوا بالبربر والفولان، ولونهم أخف سواداً من الشعوب الزنجية الأخرى، وقد أسس هؤلاء إمبراطورية غانة[4]،كما تصدوا إلى جانب البمبارا للحاج عمر أثناء زحفه على منطقة منطقة كارتا[5].

ب- قبائل التكرور:

أطلق بعض المؤرخين العرب مصطلح التكرور على جميع الزنوج في السودان الغربي، وينتشرون بالمنطقة الساحلية في دولة السنغال مع قبائل الولوف الذين يشبهونهم في الصفات والملامح، وهم خليط بين قبائل الماندينغ و الفلان مع السكان الأصليين لمنطقة فوتا السنغالية[6]، وعُرفت بلادهم

[1] محمود كعت التنبكتي: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2014م، ص98.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص17.

[3] احمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، دار النهضة، مصر، 1990، ص68.

[4] عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، 2001، ص103.

[5] الهادي هارون: المرجع السابق، ص45.

[6] محمد مولاي: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري (15م-18م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية،جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، 2018-2019، ص21.

باسم التكرور وهي مدينة عظيمة مشهورة من بلاد السودان لا سور لها وأهلها خليط بين المسلمين والكفار[1].

اعتنقوا الإسلام في وقت مبكراً منذ عهد المرابطين في منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وتشربوا بالثقافة الإسلامية وتعمقوا في فهمها وأخلصوا لها كل الإخلاص[2]، وقد لعبوا دوراً كبيراً في مقاومة الاستعمار الفرنسي للمنطقة، وشكل منهم الحاج عمر الفوتي إمبراطورية كبيرة امتدت من أعالي نهر السنغال حتى أعالي نهر النيجر[3].

ج- قبائل السنغاي:

يعيش شعب السنغاي قرب حدود الغابات الاستوائية وقد امتدت مساكنهم على طول نهر النيجر، وامتهنوا الزراعة وصيد الأسماك[4]، ويعد تاريخهم أشهر من غيرهم بفضل مؤرخيهم اللامعين، محمود كعت (ت1002هـ/1593م) وعبد الرحمن السعدي، أما عن أصولهم فلا تزال آراء المؤرخين حولها متباينة[5]، وكلمة سنغاي تطلق على البلاد وليس على الناس وهم زنوج مختلطون بالطوارق والمغاربة أي بالعناصر البربرية والعربية[6]، تأسست أول دولة لهم في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي) وعاصمتها كوكيا على نهر النيجر الأدنى[7]، وانتشر الإسلام في بلاد السنغاي نتيجة امتزاجهم مع القبائل الصنهاجية الوافدة من الشمال الإفريقي، وكونوا أحدى أقوى الممالك الإسلامية في السودان الغربي، كما ساهموا في الدفاع عن الطريقة القادرية من خلال تصديهم للحاج عمر الفوتي

[1] زكريا بن محمد المعروف بالقزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت لبنان، بدون سنة، ص26.

[2] البكري أبو عبد الله: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، ببغداد العراق، 1964، ص172.

[3] عبد الكامل عطية: المرجع السابق، ص29.

[4] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493-1592م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، دون تاريخ النشر، ص25.

[5] محمد جاكيتي : المرجع السابق، ص18.

[6] محمد عبد الغني سعودي: المرجع السابق، ص69.

[7] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص25.

عند توسعه في ماسينا وتنبكتو[1]، وتعيش قبائل السنغاي في جمهوريات مالي والنيجر ونيجيريا ويتحدثون لغة السنغاي التي تكتب بالحرف العربي[2].

د- قبائل الهوسا:

يطلق شعب الهوسا على بلادهم اسم هوسا باكواي[3]، وتمتد مابين بحيرة التشاد ونهر النيجر ،وهي لا تمثل جنساً قائماً بذاته، وإنما هي اصطلاح لغوي يطلق على الشعوب التي تتكلم هذه اللغة[4]، يشتغل الهوسا في الزراعة وصناعة الجلود والتجارة، ونتيجة علاقاتهم التجارية تركت حضارتهم طابعاً خاصاً خارج بلدانهم إذ كانت لغتهم هي لغة التجارة والعلاقات الدبلوماسية في منطقة غرب إفريقيا[5].

ويري محمد بيلو في كتابه إنفاق الميسور" أن الهوسا يتفرعون إلى سبعة أقاليم، لسانهم واحد وعلى كل إقليم أمير نظير للآخر قبل هذا الجهاد، وأوسطها كاشنة، وأوسعها زكزك، وأجدبها غوبر، وأبركها كنوا، وهي بلاد ذات انهار وأشجار ورمال وجبال وأودية وغياض، يعمرها السودانيون من مماليك البربر، من أهل برنوا، والفلاتيون، والتولركيون..."[6].

---

[1] الهادي هارون: المرجع السابق، ص ص44-45.

[2] عبد الرحمن قدوري: المرجع السابق، ص20.

[3] باكواي: تعني في لغة الهوسا سبعة والمراد بها ممالك الهوسا السبعة،وهناك من يرى أن كلمة الهوسا ذات مدلول جغرافي تعني ضفة ضفة نهر النيجر،ثم صارت ذات دلالة لغوية أكثر منها عرقية، ينظر: حسن عيسى عبد الطاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة مصر، 1991، ص61.

[4] آدب ولد سيد محمد: المرجع السابق، ص154.

[5] عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قان يونس، ليبيا، 1998، ص26. ص26.

[6] محمد بيلو بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دار ومطابع الشعب، القاهرة، 1383هـ-1964م، ص44.

اعتنقت هذه الدويلات الإسلام على الأرجح في القرن الخامس عشر الميلادي، وكان الإسلام في البداية دين الصفوة من المجتمع وكانت الوثنية هي الديانة السائدة، فاختلطت العقيدة الإسلامية بشوائب الوثنية، وظل الأمر على هذا الحال حتى ظهرت الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فودي التي خلصت الدين الإسلامي مما علق به من شوائب الوثنية[1].

هـ- قبائل الموشي(الموسي)[2]:

يسكنون المنطقة الممتدة بين نهر النيجر في الشرق ونهر فولتا العليا في الغرب، ويتكلمون لغة الجور[3]، وهم أكثر القبائل عدداً، وأشدها تعلقاً بوحدتهم أمام محيطهم البشري الزاخر حولهم[4]، فلم يتأثر الموسي بالمسلمين رغم اتصالهم بهم وتجارتهم معهم،وظل معظمهم على وثنيتهم يقدسون الأسلاف ويعبدون الشمس والقمر[5]، ويذكر عبد الرحمن السعدي بأن قبائل الموسي أقامت مملكة وثنية قوية في منحنى نهر النيجر وجاورت الممالك الإسلامية في المنطقة " مالي وصنغاي"، واستمرت على وثنيتها حتى جاهدها الحاج محمد الأسكيا في بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي[6]، ورغم ذلك بقية على وثنيتها وتأسست بها إمارتين: واغادوغو و إمارة واهيغويا، وخلال القرن 18م اتحدت الدولتان في دولة واحدة وقامت إلى جانب دولة الفلان ودولة ماسينا[7].

و-قبائل الطوارق:

[1] الهام محمد علي دهني: المرجع السابق، ص42.

[2] الموشي: وتعني طبقة المحاربين المهاجرين، ينظر: عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص104.

[3] عبد الرحمن قدوري: المرجع السابق، ص20.

[4] محمد الغربي: المرجع السابق، ص73.

[5] أحمد نجم الدين فليجة: المرجع السابق، ص195.

[6] عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص74.

[7] عبد الرحمن زكي: المرجع السابق، ص104.

لعب الطوارق دوراً كبيراً في الحياة السياسية في السودان الغربي، واختلف المؤرخون في تسميتهم فمنهم من يقول أنهم سموا بذلك نسبة إلى طارق بن زياد، وهناك من يرى أن التسمية جاءت لطرقهم الصحراء وتوغلهم فيها[1]،ولقد اختلف في نسبهم فهناك من يرجعهم إلى صنهاجة التي يرجع نسبها إلى حمير باليمن وقد عرفوا بالملثمين[2]، ويرى الباحث حسن مرموري أن التوارق ينقسمون إلى مجموعتين كبيرتين: إحداهما شمالية تدعى " اهلن ملن" تجمع اهقار و أزجر وهم أصحاب الخيمة البيضاء، وأخرى جنوبية تدعى" اهن سطفن" تجمع اضاغ وأير وهم أصحاب الخيمة السوداء[3].

ويقول بول مارتي أنها تلفظ بالتاء لا بالطاء كما في كثير من المصادر العربية[4]، ويضم الطوارق عدة قبائل تتكلم لغة واحدة تسمى لغة التماجغ (التماشق) وينقسمون عدة أقسام منهم طوارق الحجار وطوارق عسكر وطوارق أفوغاس وغيرهم، وينتشرون في مساحات واسعة في الصحراء الكبرى تمتد من توات و فزان شمالاً حتى تنبكتو وزندر(غربي بحيرة التشاد) جنوباً[5]، وقد أدى اختلاط الطوارق بالسكان الأصليين إلى تغير ملامحهم فاكتسبوا بعض الصفات الزنجية، ويعتمدون على حياة الترحال لذلك يعيشون في عدة أماكن تتقاسمهم عدة وحدات سياسية مستقلة اليوم مثل شمال مالي والنيجر و التشاد وبوركينافاسو وجنوب شرق الجزائر وجنوب غرب ليبيا وموريتانيا[6].

ز–القبائل العربية:

[1] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي ...، المرجع السابق، ص216.

[2] سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات أبحاث شؤون الصحراء، ليبيا، 1989، ط2، ص ص20-21. وينظر أيضا: ولد الحسين الناني: صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن2هـ/8م نهاية القرن 5هـ/11م، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط المغرب،2000، ص ص40 -41.

[3] حسن مرموري: التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م، ص102.

[4] بول مارتي: البرابيش، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، دار زيد بن ثابت، بيروت، 1983م، ص11.

[5] فيج. جي.دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، راجع الترجمة العربية بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص ص62-63.

[6] محمد مولاي: المرجع السابق، ص22.

لم تشكل الصحراء عائقاً أمام القبائل العربية في العبور إلى المنطقة نظراً لطبيعة بلادهم الصحراوية فهم متعودون على اجتيازها[1]، ويعتقد أنهم وصلوا إلى المنطقة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري في إطار الفتوحات الإسلامية التي قادها الفاتح عقبة بن نافع الفهري- رضى الله عنه- [2](ت63هـ/683م)[3]، وقد لعبت هذه القبائل العربية دورا مهما في نشر الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي، ومن أهم هذه القبائل الرقيبات أولاد دليم والجكاكنة والبرابيش والترارزة والبراكنة وأولاد غلان وقبائل كنته وقد لعبت هذه الأخيرة دورا كبيرا في الحياة السياسية والدينية والروحية والعلمية في منطقة السودان الغربي، وينتشر العرب في شمال مالي والنيجر و التشاد، ويمثلون النفوذ الأكبر في موريتانيا[4].

ثانياً: التعريف بقبائل الفلان

تميزت قارة إفريقيا بعظمة تاريخها الإنساني، وضمت بين أرجائها قبائل وشعوب كان لها باع في تاريخها الحضاري، وشهدت حضارات سادت ثم بادت، ومن بين هذه القبائل التي ساهمت في هذا الإرث الحضاري الإفريقي قبائل الفلان التي انتشرت في وسط وغرب إفريقيا، وكان لها دورٌ كبيرٌ في نشر الإسلام في المنطقة وتركت أثراً واضحاً الأمر الذي خلد اسمها مقارنة بالقبائل المجاورة لها، والجدير بالذكر أن القرن التاسع عشر الميلادي شهد ظهور حركات إصلاحية فُلانية جاءت كرد فعل على الأوضاع المزرية وانتشار الوثنية والتوغل الاستعماري الأوروبي في المنطقة، وقد نجحت في إنشاء إمارات إسلامية عريقة تمثلت في خلافة سوكوتو بزعامة الشيخ عثمان بن فودي، وإمارة ماسينا وأميرها الشيخ احمدو لوبو الماسيني والخلافة العمرية بقيادة الحاج عمر الفوتي.

---

[1] يوسف فضل الله : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، بحث مقدم لندوة العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربي، بيروت، 1987، ص80.

[2] عقبة بن نافع الفهري: تابعي جليل وفاتح شمال افريقيا، بنى القيروان وجامعها، استشهد بمنطقة الزاب (بسكرة) بالجزائر سنة 63هـ، ينظر: لويس معلوف: المنجد في الأعلام واللغة، ط 39، دار المشرق، لبنان، 2002م، ص376.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص20.

[4] محمد مولاي: المرجع السابق، ص23.

1- الجذور التاريخية لقبائل الفلان:

تشعبت أقوال المؤرخين والباحثين في أصول قبائل الفلان فهناك من يرجح أنهم عرب، والبعض الآخر يرى أنهم يهود أو فراعنة، غير أن جل الأقوال التي وردت في أصلهم غير مبنية على أدلة علمية مقنعة بل بعضها جنح إلى الأساطير والخرافات ليثبت صحة قوله، ولم يصل الباحثون إلى دليل علمي مقنع يزيح اللثام عما يتخبطون فيه.

1- 1الرواية العربية:

يرى العديد من علماء الفلان أنهم ينحدرون من أصول عربية، وذلك ما يرجحه الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وأبنه محمد بيلو إلى أنهم ينتسبون إلى التابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري- رضى الله عنه-، الذي تزوج ابنة ملك غانة التي تدعى(يج منقو)[1] وولدت له خمسة أبناء وبنتاً وهم عثمان تورو ومحمد فلان وابوبكر فلات وعمر دردو وعلي غردو وفاطمة شفلو، وانتشر أحفاد هؤلاء في المنطقة، كما تزوج المجاهدون الذي كانوا معه من الروميات واعتبر أبناؤهم من الفلاته لذلك يقسم الفلاته إلى أربعة أقسام :

أ-الفلاته الأصليون: هم أبناء عقبة بن نافع وأمهم رومية

ب-الفلاته بنو الروم: هم الذين صاروا فلاته بسبب التزاوج والمصاهرة ومن هؤلاء الشلفيون وهم أبناء فاطمة شلفو ابنة عقبة بن نافع الفهري.

ج- الفلاته العرب: هم أبناء المجاهدين العرب الذين تزوجوا من الروميات.

[1] اسمها مريم وتعني بج منقو بلغة الفولان البنت التي الوحيدة عند أبويها. ينظر: الطيب عبد الرحيم محمد فلاتي : الفلاته في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994، ص58.

د–الفلاته الجعفريون: ينتسبون إلى السيدة صفية بنت جعفر بن ابي طالب،[1]ويقول عن ذلك السلطان محمد بيلو :" ويقال إن الفلان من ولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ... نقلته عن الوالد، عن الشيخ جبريل ، وهو عن المرتضى..."[2].

ويقول عبد الله بن فودي في إحدى قصائده:

وعقبة جد الفولانيين من عرب ومن توردب كانت أمهم بجمع[3]

وقد عاش الفاتح عقبة بن نافع- رضى الله عنه- وأصحابه في غرب وشمال إفريقيا 41سنة وذلك مابين 22هـ و63هـ واستشهد في بمنطقة الزاب بالجزائر سنة(63هـ/683م)[4]، ويرى آخرون من المؤرخين الفلان أن الفاتح عقبة بن نافع الفهري ترك ألفي عسكري على ضفاف نهر النيجر فتزوج الألفان من السكان الأصليين، فحرفت ألفان إلى أن وصلت إلى كلمة الفلان[5]، وجاء في رسالة كتبها عبد الله بن فودي[6] تحت عنوان "أصل الفلانيين" يقول فيها :" أعلم أن أصل الفلانيين كلهم من طور سيناء، فما زالوا ينتقلون من مكان إلى مكان إلى أقصى المغرب و إلى ما شاء الله ولا جنس أكثر من الفلانيين لا نهم يوجدون في كثير من أقطار الأرض الإسلامية ...لأنهم أصحاب انتقال" [7]، وأما الشيخ باي بلعالم يرى أنهم ينتسبون إلى قبيلة حمير العربية اليمنية [8]، وجاء في التقرير

[1] الطيب عبد الرحيم محمد فلاتي: المرجع السابق، ص ص19-20.

[2] إبراهيم طرخان: امبراطورية الفلانيين الإسلامية، مجلة كلية الآداب، ع06، جامعة الرياض، السعودية، 1979، ص98.

[3] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان دراسة وثائقية، شركة الحصراء للطباعة والنشر، ط4، بنغازي ليبيا، 2009م، ص17.

[4] الطيب عبد الرحيم محمد فلاتي: المرجع السابق، ص58.

[5] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص17.

[6] عبد الله بن فودي ولد 1766م نشّأ في بيئة علمية تتلمذ على عدة شيوخ منهم أخاه عثمان، كما كان له دورا كبيرا في إنشاء هذه الإمارة، له ثقافة واسعة وعدة مؤلفات منها تزيين الورقات، ينظر: شعيب عبد الباقي آغافا: أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، مكتبة دار الأمة، نيجيريا، 2008م، ص ص35-36.

[7] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص98.

[8] باي بلعالم: قبيلة الفلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومه، الجزائر، 2004، ص12.

الرسمي الصادر عن وزارة الإعلام النيجيرية عام 1963م إلى أن الفولانيين ربما يكونوا قد جاءوا من شمال إفريقيا وسواحل البحر المتوسط[1].

غير أن المصادر لم تشر إلى هذه الهجرات ومتى كانت ولماذا، ولعل السبب في هذه الروايات هو محاولة الشعوب المسلمة في السودان الغربي ربط أصولهم بالعرب بسبب حماسهم الديني لعقيدتهم الإسلامية، وحرصهم على الانتماء إلى الأصول الشرقية العربية بصفتها مصدراً للإسلام، وكان ذلك ديدن كل الشعوب المسلمة رغبة منها في التبرك بالرسول ﷺ والتشرف بالانتساب إلى بني جلدته.

2-1 الرواية الغربية:

تضاربت آراء الغربيين حول أصول الفلانيين وتباينت ولا تكاد تشير إلى انتمائهم العربي إلا لماماً وذلك لبعدهم عن البيئة الإسلامية ومما أوردوه ما يلي:

أ- الأصل الروماني: تشير المصادر التاريخية القديمة إلى أن الإمبراطورية الرومانية بعثت جيشاً عظيماً لمعرفة ما وراء الصحراء، ولم يرجع أحد من ذلك الجيش، فاعتقدوا انه يستحيل أن يموت الجيش كله، فافترضوا أن الجيش وصل إلى منطقة السودان وانصهروا مع السكان فكان من هؤلاء قبائل الفلان[2].

ب-الأصل اليهودي: هناك من يجنح إلى أن أصولهم يهودية وكان أول من أشار إلى ذلك المستكشف ونتر بوتون(Winter Botton) وماثيو (Mathews) في نهاية القرن 18م عندما استقرا بمنطقة سيراليون،كما تبنى ذلك قريمال دوقيغوندو (Grimal de Guirandon) في 1887م الذي أكد أنهم من أصل يهودي لكنهم يتكلمون لغة السود، وذكر ذلك فدولافوس الذي اعتبرهم من يهود مصر وبرقة هاجروا إلى واحة فزان بعد ضغط الرومان ومنها إلى واحة الآير ثم إلى منطقة ماسينا ثم انتشروا في حوض نهر النيجر، ويرتكز في نظرته على نصوص من التوراة تعود إلى فترة القرنيين

[1] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص96.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص28.

السادس والسابع قبل الميلاد[1]، ويرى آخرون إلى أنهم يهود سوريين قدموا إلى إثيوبيا من مصر قبل الميلاد، ثم في القرن الثاني ميلادي اتجهوا إلى الغرب الإفريقي،[2] وهناك من يرى بأنهم يهود وحجتهم في ذلك أنهم يحبون البقر مثل حب اليهود للبقرة التي عبدوها في عهد سيدنا موسى عليه السلام، غير أن هذا القول لا يستند إلى دليل علمي ملموس لانعدام أي مصدر تاريخي لهذا القول، ثم أن حب بنو إسرائيل للبقرة خاص بأتباع السامري الذين عبدوا العجل عندما ذهب سيدنا موسى إلى ميقات ربه عز وجل وليس كل اليهود، بل كان من باب أولى إرجاع أصولهم إلى الهنود الذين أحبوا البقر حتى ألهوها يكون أفضل[3].

ج–الأصل النوبي الإثيوبي: ويشير العديد من المؤرخين أنهم من أصول النوبي الإثيوبي، ويعتبر المؤرخ موليان أول من تبناها سنة 1818م بعد أن لاحظ تشابه ملامحهم وطبيعة عاداتهم وتقاليدهم بقبائل النوبة في جنوب مصر وشمال السودان[4]، وأكد ذلك المؤرخ الألماني هنري بارث سنة 1855م الذي قال بان الفلان قدموا من شرق افريقية ومروا بالمغرب سنة 1150ق.م، ثم اتجهوا نحو السنغال مع سنة 750 ق.م واستقروا بمنطقة فوتا تور.

د–الأصل البربري: ويرى بعض المؤرخين أنهم من أصول بربرية وذلك لاستقرار عناصر بربرية في أعالي نهر السنغال فتصاهروا مع سكان المنطقة فكونوا العنصر الفلاني، ويعتبر كوغتومبغ (Cortambert) صاحب هذه النظرية جاء بها سنة(1874م–1875م)ونقلها عنه المؤرخ فيلكس

[1] نعيمة الطيب بوجمعة وأزهار غازي مطر: القبائل الفلانية ببلاد السودان الغربي التسمية والأصل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، كلية العلوم الأساسية،جامعة ديالى، العراق، بدون سنة، ص10.

[2] Tauxiere, Louis, Moeurs et Histoire des Peules (Peuls du Fouta Djallon, Peuls de Macina, Peuls d'Issa Ber). Paris: Ed Payot, 1937, P45.

[3] علي يعقوب: الفلانيون الشعب واللغة، مجلة قراءات افريقية الصادرة عن المنتدى الاسلامي، السودان، ع 24، 2015، ص17.

[4] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص15.

ديبوا (Fèlix du Bois)سنة1897م[1] الذي يرى أن الفولان من البربر انحدروا من منطقة أدرار شمال بلاد السنغال واندفعوا إلى غرب إفريقيا بعد طرد المسلمين من الأندلس واشتغلوا بالرعي والزراعة[2].

ويري داويد روبينسون أن سبب إرجاع الفولان إلى الأصول الشرقية هو شدة انبهارهم بالتنظيم السياسي المحكم الذي وجدوه عندهم في غرب إفريقيا عندما استعمروا المنطقة، واعتقدوا انه لا يوجد شعب إفريقي قادر على ابتكار هذا التنظيم الجيد، ونلمس هنا النظرة الأوروبية الإحتقارية للأفارقة التي ما فتىء الاستعمار يروج لها بأنه جلب لهم الحضارة وأخرجهم من الوحشية[3].

والملاحظ أن أصولهم ليست زنجية، وإنما هم مجموعة هاجرت إلى المنطقة واختلطت بالسكان الأصليين[4]، وذلك ما يرجحه إبراهيم طرخان بقوله :" ومن المحقق الذي لاشك فيه أنّ الفلانيين ليسوا زنوجا، ولكنهم متزنجون نتيجة الاختلاط العميق بالزنوج ...أصبح الفلانيّ يحمل طابعين مميزين:الطابع الزنجيّ من حيث اللون ، وطابع الجنس الأبيض من حيث التقاطيع "[5].

ومهما تعددت الآراء والفرضيات حول أصل الفلان فنجد أن جلها تتفق على أنهم قدموا من المشرق إلى المنطقة في مراحل زمنية معينة سواء من مصر أو الشام أو شرق إفريقيا.

1-2 اسم الفلان وصوره المختلفة لدى القبائل الإفريقية والكتابات الغربية :

هناك اختلاف كبير في لفظ كلمة فلان عند قبائل السودان الغربي وعند العرب، وفي الكتابات الغربية فقد تعددت أسماؤهم تبعاً لمقر إقامتهم، غير أن المتتبع يلاحظ انه اختلاف لفظي

[1] نعيمة الطيب بوجمعة وأزهار غازي مطر: المرجع السابق، ص11.

[2] عمر محمد ثاني مزدلفة: التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفولاني بجنوب النيل الأزرق في الفترة (1900-2006)، بحث تكميلي لايفاء درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية والأسيوية،كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم بالسودان،2007، ص16.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص29.

[4] علي يعقوب: الفلانيون...، المرجع السابق، ص19.

[5] إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص100.

وشكلي فقط وذلك لاختلاف اللهجات في غرب أفريقيا، ويشير الباحث الهادي الدالي إلى أن أسماؤهم عند قبائل المنطقة وصلت إلى مئة وأحدى عشر اسما[1].

2-2 رسم التسمية في الكتابات المحلية والعربية:

- أطلق الفلانيون على أنفسهم بوللو (pollo) للمفرد و فولبي (folbe) للجمع، وعلى لغتهم فولفولدي (Fulfulde)[2]، وقد وردت في إنفاق الميسور بصيغة الفولاني، أما الشيخ عبدالله بن فودي فقد رأى أن لفظ الفلان كلمة عربية مشتقة من لفظ فلت، فهم قوم يفلتون عندما يرون مايسوؤهم[3].

- ورد هذا الاسم عند المقريزي(1364- 1442م) [4]وعبد الرحمن السعدي(ت 1667م) في كتابه تاريخ السودان باسم الفلانيين[5]، وتناقلته الكتابات العربية من بعدهما، أما قبائل الطوارق فيطلقون على الفرد "إفولن"(Ifoulan)وللجمع "إفلان"(Ifelan)[6]، وأطلق على قسم آخر من الفولانيين في موريتانيا والسنغال لفظ "تكلور"(Toucleur)، وزعم الذين أطلقوا هذا الاسم عليهم أنهم فلانيون سود تميزاً لهم عن غيرهم من الفولانيين، ويطلق هؤلاء التكلور على أنفسهم "هال بولار إين" (Haal pulaar en) إي الناطقون باللغة الفلانية التي يسميها التكلور بـ"بولار"(Pulaar)[7].

- تستعمل قبائل الماندينغ لفظ فولا(foula)، فيقال للمفرد المذكر فولة وللجمع "فولو"(Foul-ou)، وللمفرد المؤنث" فيلة"(Fila)، وللجمع فيلو(Fila-ou)، ويطلق عليهم قبائل الهوسا[8] فولاني

---

[1] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص12.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص15.

[3] ابراهيم طرخان: المرجع السابق، ص102.

[4] Tauxiere, Louis, Op, Cit, p 13

[5] عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص185.

[6] نعيمة الطيب بوجمعة وأزهار غازي مطر: المرجع السابق، ص2.

[7] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص15.

[8] تنقسم كلمة هوسا تنقسم قسمين: "هو" وتعني(اركب) و"سا" وتعني (الثور) وينتشر الهوسا حالياً في جمهوريتي النيجر ونيجيريا، ويرى بعض المؤرخين أنهم من بيرام ويرى الآخر أنهم من باو ابن ابي يزيد. للمزيد ينظر: الطيب عبد الرحيم محمد فلاتي: المرجع السابق، ص ص309-310.

(foulani) وللجمع يقال "فولاو"(Foulaoua)، واطلق عليهم قبائل الكانوري اسم " فلاتة"(Fellata) أو" فيلالة"(Fillala) وهي التسمية المنتشرة في السودان الشرقي إلى جانب تسمية " الفلاليلت و الفلاتنغا "[1]، وبعض السنغاليين يستخدمون هال بلاري (hal polare)، ويستخدم قبائل الموسي اسم سليميغا(Silmiga)، وللمفرد سيليميزي(Silmisi)، وللجمع"سيليميزي "(Silmèsè)[2].

2-3 رسم التسمية في الكتابات الغربية:

وفد إلى منطقة السودان الغربي العديد من الرحالة والمؤرخين الغربيين خلال الفترة الممتدة ما بين القرنيين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديين رغبة منهم في كشف خبايا المنطقة لعدة أغراض استعمارية وعلمية، فقاموا بعدة أبحاث علمية لمعرفة المجتمعات الإفريقية ودراسة مكوناتها الاجتماعية و الإثنية، ومن بين القبائل التي تناولها و أسهبوا في الحديث عنها قبائل الفلان وأطلقوا عليها عدة أسماء منها ما يلي:

قدم المؤرخ البرتغالي جو دي باراس(Jeo de barras) إلى المنطقة خلال القرن 16م لوضع دراسة حول القبائل الإفريقية في منطقة السودان الغربي، وورد اسم الفولان في كتاباته باسم " فولو "(Fullos)،وذكرهم المؤرخ رينه كاييه سنة 1829م باسم "فوله"(Foulahs)، أما الجغرافي " ديشتال"(Dèchtal) سنة 1842م فأطلق عليهم اسم "فول" (Foul) أو بول (Peul) في صيغة المفرد، أما الرحالة الألماني هنري بارث (1850-1855م) يعد أول من ناقش معنى التسمية من الغربيين حيث أشار إلى أن" بول " تعني بني فاتح أحمر"، وقال هي عكس" الولوف"التي تعني الأسود، وذكر أن المفرد يقال له"بول"(Peul)والمفرد المؤنث يقال له" بيلو"(Pulo) وللجمع

[1] نعيمة الطيب بوجمعة وأزهار غازي مطر: المرجع السابق، ص2.

[2] إبراهيم طرخان : المرجع السابق، ص101.

"بولبي"(Pulbè)[1]، وأطلق الاستعمار الفرنسي على الفلان أسم" بول"(Peul)للمذكر و" بولوت" (Poulotte) للمؤنث، أما الانجليز فقد تأثروا بقبائل الهوسا وسموهم بالفولاني[2].

3- فروع الفلانيين

يعتقد العديد من الدارسين أن الموطن الأصلي للفولانيين في إفريقيا منطقة فوتا تور على نهر السنغال، ومنها بدأت هجرتهم نحو الشرق والجنوب[3]، وينتشرون بصورة مكثفة على امتداد إقليم السافانا من المحيط الأطلسي غرباً إلى سواحل البحر الأحمر شرقاً ومن الصحراء الكبرى شمالاً إلى المنطقة الاستوائية جنوباً، ويتمركزون بأعداد كبيرة في السنغال ومالي وجنوب موريتانيا وغينيا كوناكري وغينيا بيساو و بوركينافاسو والنيجر وشمال نيجيريا والكاميرون وغامبيا والتشاد وإفريقيا الوسطى وتوغو والبنين وغانا، وهاجرت أعداد منهم إلى السودان في مطلع القرن التاسع عشر[4]، وقد قُدر عدد الدول التي يتوزعون فيها حالياً بثمانية عشر دولة، يشكلون ثقلا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا في المجتمعات التي يستقرون فيها[5].

يوصف الفلانيون بأنهم شعوب مسالمة طبيعتهم هادئة وأخلاقهم طيبة، اشتهروا بالكرم إلى درجة أن القبائل المجاورة لهم تعتبر أن من نعم الله عليها أن جاورها الفلانيون[6]، يمارس معظمهم حرفة الرعي خاصة رعي الأبقار، وحمل السلاح تراث من تراثهم يعتزون ويفتخرون به، وهم كثيرو الميل إلى بعضهم البعض عند الشدائد والمحن، كما أنهم لا يرتبطون بأرض غير مؤهلة بالإسلام ويعملون على

[1] Tauxiere, Louis, Op, Cit,pp13-14

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص 14.

[3] علي يعقوب: الفلانيون...، المرجع السابق، ص19.

[4] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص9.

[5] الطاهر دوباخ: دور قبائل الفولاني في الثورة المهدية بالسودان 1899/1881، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد2، جامعة الجزائر 2، ديسمبر 2019، ص179.

[6] احمد شلبي: المرجع السابق، ص ص224-225.

تأهيلها أو الهجرة منها في حالة عجزهم عن ذلك، وهم سرعوا الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها[1].

ويشير الباحث علي يعقوب إلى أن لهم فروع كثيرة ويجملها في ستة فروع رئيسية حسب لهجتهم وأماكن تواجدهم وتتجلى فيما يلي :

أ- الفلانيون السنغاليون: يعرفون بفلان فوتا تور أو التكرور ويتوزعون في السنغال وموريتانيا وغامبيا.

ب- الفلانيون الغينيون: المعرفون بفلان فوتا جالون وينتشرون في غينيا كوناكري وغينيا بيساو وسيراليون.

ج- فلان مالي: ينتشرون في منطقة ماسينا ونيورو.

د- الفلانيون في منطقة ليبتاكو غورما وجلغوجي:وهي منطقة موزعة بين شمال وشرق بوركينافاسو وغرب وجنوب النيجر.

هـ- الفلانيون في منطقة أدماوا: ينتشر هؤلاء في جنوب شرق نيجيريا وشمال الكاميرون وفي افريقيا الوسطى و التشاد والسودان.

و- الفلانيون في شمال نيجيريا وشرق النيجر وشمال البنين.

وجل هذه الفروع تدين بالإسلام ومن أكثر الشعوب تمسكاً بتعاليمه السمحاء، وهناك فرع شبه مستقل عن الفروع التي ذكرناها وهم قبائل "برورو" التي تختلف عن الفروع الأخرى في عاداتها وتقاليدها وحتى دينها، ويقطنون في شمال شرق النيجر يمارسون الرعي ويتنقلون بمواشيهم بحثاً عن الكلأ، وقد هاجر البعض إلى الدول المهاجرة بسبب قلة الأمطار والجفاف الذي أصاب المنطقة، كما

[1] الطيب عبد الرحيم محمد فلاتي: المرجع السابق، ص24.

أعتنق البعض منهم الإسلام والبعض الآخر كان لقمة صائغة للإرساليات المسيحية التي حفرت لهم الآبار وقدمت لهم الرعاية الصحية مقابل اعتناقهم الديانة المسيحية[1].

4- أهم خصائص اللغة الفلانية:

يطلق الفلانيون على لغتهم " فولفلدي"(Fulfulde)وذلك في النيجر ومالي وبوركينافاسو والكاميرون، أما في السنغال وموريتانيا وغينيا وغامبيا فيسمونها" هالي بولار"، ولعل سعة المساحة الجغرافية التي تنتشر فيها اللغة الفلانية أدت إلى تعدد لهجتها وتباين ألفاظها[2]، ومن بين أهم خصائصها ما يلي:

- تعبر اللغة الفلانية عن الوظائف النحوية بزيادة حرف أو نقصانه فمثلاً كلمة:"أنا" يطلق عليها " مِن"، وإذا أردت أن تقول نحن فتضيف نوناً أخرى بين الميم والنون فتقول: " مِنن"، وكذلك في الأفعال مثلاً: " فعلت" تنطق بالفلانية "منطي"، وإذا قلت فعلنا فنضيف كافاً فتقول: "منكطي".

- الفاعل دائماً يأتي قبل الفعل إلا نادراً، إذ أن جل جملها أسمية مثل: "علي جنكي دفتري" أي "قرأ علي الكتاب"

- وإذا أريد تعريف كلمة توضع أداة لاحقة للتعريف، وإذا أردنا تنكيرها ننزع اللاحقة مثل: كلمة رجل تعني "غُركو" فإذا تعريفها فنضيف أداة " أُو" أي فتصبح "غُركو أُو" أي الرجل.

- ولا تتعامل هذه اللغة بالتذكير و التأنيث، بل تنظر إلى الكائنات من حيث أنها حية أو غير حية ، ومن حيث حجمها وشكلها وملمسها، وتقسمها إلى مجموعات فمثلا مجموعة الآدميين لوحدها

[1] علي يعقوب: الفلانيون الشعب واللغة...، المرجع السابق، ص20.

[2] نصر الدين البشير العربي: أثر اللغة العربية على اللغات الإفريقية اللغة الفلانية في النيجر نموذجاً، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد 03، ع 08، الجزائر ، 2020، ص328.

ومجموعة المواد السائلة ومجموعة المواد الخشنة لوحدها، وكل مجموعة لها خصائصها الصرفية والدلالية الخاصة بها[1].

ثالثاً:الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة والممالك المعاصرة للإمارة الناشئة

1-الأوضاع السياسية التي شهدتها منطقة ماسينا قبل نشأة الإمارة :

بعد سقوط مملكة غانة على يد المرابطين هاجرت العديد من قبائل السونينيك نحو الجنوب،كما هاجر بعض مسلمي وغادو القدامى إلى منطقة ماسينا وأسسوا مدينة جني، وكانت هجرتهم فراراً من مضايقات المرابطين الذين كانوا يأخذون الكفار والمسلمين الذين ليس على شاكلتهم بنفس الشدة والعنف، كما شهد القرن الحادي عشر الميلادي تدفق الهجرات الفلانية من صحراء وواحات ترمس بعد الجدب والجفاف الذي أصاب المنطقة، فاستقروا في ماسينا حول المجاري المائية والأراضي الخصبة متنقلين في أرجائها كرعاة مسالمين يبحثون عن الكلأ لأغنامهم وأبقارهم[2]، ويشير السعدي إلى أن وصول الفلانيين إلى المنطقة بسبب خلاف عائلي حيث خرج أحدهم يُدعى مغن من أرض يقال لها" قياك" أو "تُعُ وترِمسِ" ووصل إلى ربوة تسمى ماسنة وهي في أرض "باغن فاري" فوجدوا فيها الصنهاجيين، فرحب به باغن فاري وأكرمه وأمره أن يرتع في أرضه، فتوافدت القبائل الفلانية إلى تلك المنطقة تِباعاً وأسسوا ملكهم هناك[3].

تأسست مملكة ماسينا في القرن الخامس عشر الميلادي إلا أن موقعها الجغرافي والظروف التاريخية التي مرت بها المنطقة لم يجعلها تنعم بالسعادة والاستقرار، فقد تكالبت عليها الممالك والقبائل المتاخمة لها، فاحتلتها مملكة مالي ثم صنغاي فالمغاربة وأخيراً مملكة البمبارا في سيغو، وقد

[1] على يعقوب: الفلانيون...، المرجع السابق، ص ص21-22.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص442.

[3] عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص185.

تعاقب على الحكم خلال هذه الفترة أسرة "جالو" أو "ديالو" وكان أردو حمدي ديكو آخر حكام هذه الأسرة [1].

تمتعت منطقة ماسينا بنوع من الاستقلال الذاتي بالرغم من خضوعها للممالك المحلية أو القوات الغازية، ويمكننا أن نقسم هذه المرحلة من تاريخها إلى عدة مراحل حسب التبعية السياسية:

1-1 مملكة مالي : تدفقت الهجرات الفلانية في مطلع القرن الخامس عشر قادمين من منطقة قانياغا واستوطنوا في منطقة ماسينا بعد أن سمح لهم ملك مالي بالاستقرار بها ومنح لزعيمهم "ماغا جالو" لقب" أرادو" أو رئيس العائلات الفلانية وأمره عليهم فأصبح الفلانيون يتمتعون بنوع من الاستقلال الداخلي في ظل مملكة مالي[2]، وكانت هذه المنطقة في تبعية للملكة مالي منذ 1290م، وحكمهم ماغا جالو مدة اربع سنوات (1400- 1404م) ثم خلفه ابنه إبراهيم جالو لفترة عشرين سنة (1404- 1424م) وبعد وفاة إبراهيم خلفه أخاه علي مدة تسع سنوات (1424- 1433م) ثم كانلا بن إبراهيم (1433- 1466م)، ثم خلفه أخاه عليون الثاني (1466- 1480م) الذي شهد عصره انحطاط مملكة مالي وتحرش قبائل الموسي بالمنطقة، كما شن ملك صنغاي سني علي بير حملات متتالية لإخضاع المنطقة من 1473م إلى 1477م لكنه لم يفلح في ذلك وهزم أمام القائد الفلاني بيولس يورغو، ثم وصل إلى الحكم أنيا جالو الذي مكث في الحكم ثلاثون سنة (1480- 1510م) وفي عهده سقطت ماسينا تحت حكم السنغاي سنة 1496م في عهد سني أبوبكر[3].

2-1 مملكة صنغاي: تمكن القائد الصنغايي عمر كومد ياجو شقيق أسكيا محمد توري من إخضاع مملكة ماسينا و اضطرت لدفع الجزية لحكام صنغاي، بعد أن تمكنوا من القضاء على كل محاولات التمرد التي قام بها الفلانيون ضدهم، لكن على الرغم من ذلك كانت تتمتع بنوع من

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص441.

[2] Maurice delafosse: haut sènègal Niger ,Paris, Emile Larose Libraire Editeur,1912, p 223.

[3] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص ص 442-443.

الاستقلال الذاتي، وبعد وفاة أنيا جالو خلفه ابنه سودي جالو (1510-1539م) وبعده تنازع على الحكم ابنيه إيلو و حمادو سيرو فاستغل هذا الوضع الأسكيا إسحاق وثَبَّتَ أركانه في المنطقة، ثم ثار الفلانيون مرة أخرى في عهد الأسكيا داود[1] الذي شن عليهم حملة عسكرية تأديبية أخضعهم بها إلى سلطانه، ثم تمردوا عليه مرة أخرى في عهد بوبو مريم بن حمد الفلاني (1559-1583م) حيث اعتدوا على سفينته بين نهر باني و جوليبا سنة 1582م[2] وتجرؤ على اجتياح بلاد صنغاي والحقوا أضرارا بالفرقة العسكرية التي واجهتهم والتي كان يقودها محمد الحاج بن الأسكيا داود، مما دفع بالأسكيا داوود إلى تجيش أحسن فرقة لمجابهتهم فتمكن من هزيمتهم ، ثم تتبع فلولهم إلى ماسينا[3]، وألقى القبض على بوبو مريم ونُقِل إلى جاو وعرض عليه الأسكيا محمد الثاني أعادته إلى ملكه مقابل الخضوع لكنه رفض فمات في السجن سنة 1583م[4].

وبعد وفاة بوبو مريم جلس على العرش ابنه حمد آمنة الذي حكم (1583-1603م) الذي شهد عهده هزيمة ملوك السنغاي في معركة تونديبي[5] أمام الزحف السعدي المغربي سنة 1591م وطرد الأسكيا إسحاق من غاو[6].

1-3 الصراع مع المغاربة (الرماة أو الأرما):

بعد خضوع مدينة جني إلى السيادة المغربية على يد القائد مارون في بداية سنة 1592م فرضوا ضريبة من الماشية على حمد آمنة الذي انحنى أمام الأسلحة النارية المغربية التي لم يكن الأفارقة

[1] الاسكيا داوود : حكم عرش سنغاي ثلاثة وثلاثون سنة (1549م-1582م) وقد اشتهر بحنكته السياسية وقوته للمزيد ينظر: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص ص42-43.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص443.

[3] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص49.

[4] Maurice,delafosse: Op, Cit,p 227.

[5] معركة تونديبي: انتصرت فيها الدولة السعدية بقيادة جودار باشا على مملكة صنغاي بقيادة الاسكيا اسحاق الثاني في 13 مارس 1591م وسقطت بذلك مملكة صنغاي على يد المغاربة الغزاة، وتقع شمال غاو بمالي حاليا، للتفاصيل أكثر ينظر: السعدي: المصدر السابق ، ص140.

[6] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص 444.

قد رأوها من قبل، لكنه سرعان ما تمرد عليهم بعد أن رفضوا طلبه في الاستشفاع لفقهاء تنبكتو 1594م، فشكل تحالفا مع قبائل البمبارا ضد الأرما المغاربة[1]، غير أن الباشا مصطفى التركي غزاه بسبع مئة جندي سنة 1598م وهزمه وعين مكانه حمد عائشة سلطانا لماسينا وجعل تينتكون عاصمة جديدة لماسينا، لكنه لم يلبث أن مات الباشا مصطفى التركي، فرجع حمد آمنة إلى الحكم مرة أخرى سنة 1599م وشن هجوما على مدينة جني لطرد الغزاة المغاربة لكنه فشل، ومع هذا لم يتلاشى عزمه فقد تمكن من ألحاق هزيمة ساحقة بالباشا سليمان في سهل باني فاعترفوا به حاكما على ماسينا بعد أن وقع الصلح بينهما، وأصبحت مملكة ماسينا تابعة اسميا للسيادة المغربية[2].

ظلت ماسينا في تبعية صورية للحكام المغاربة في عهد بوبو عائشة بن حمد آمنة الملقب بيامي فمكث فيها عشر سنين(1603-1613م) ثم خلفه أخاه إبراهيم جالو الثاني(1613-1625م) ثم جاء من بعده سلامك عائشة فكان ذا عدل وقهر الظلمة وساعد الضعفاء والمساكين ولم يسمع بمثله في سلطنتهم، وبعد وفاته خلفه ابن أخيه حمد آمنة الثاني ابن بوبو عائشة (1627- 1663م) وكان عمره آنذاك خمسة وعشرون سنة، خلع عن نفسه التبعية الصورية للسيادة المغربية، وأصبحت ماسينا مستقلة استقلالاً تاماً، وكان في الباشاوية يومها علي بن عبد القادر (1627-1632م) الذي أرسل حملة عسكرية إلى ماسينا فشلت في القبض على حمد آمنة ورجعت إلى تنبكتو خالية الوفاض[3]، فلجأ الباشا إلى الوسائل السلمية فأرسل رسائل الصفح والصلح إلى حمد آمنة التي استقبلها بصدر رحب، وقد عاين السعدي[4] تلك المصالحة عندما كان في زيارة لماسينا سنة 1629م بطلب

[1] الحواس غربي: السيادة السعدية بالبلاد السودانية 1591م- 1660م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص84.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص444.

[3] Maurice,delafosse: Op, Cit, p229.

[4] عبد الرحمن السعدي :(1596-1655) ولد الشيخ بتنبكتو و تتلمذ على يد شيوخها، شغل منصب القضاء والإمامة في مدينة جني واشتهر بكتابه تاريخ السودان ينظر: يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص207.

من قاضي ماسينا الفقيه محمد سنب، وأتيحت له الفرصة لرؤية حمد آمنة عندما تلقى الرسالة للتو من الباشا وكيف فرح بها فرحاً عظيماً وبقيت ماسينا مستقلة عن سلطة المغاربة[1].

لكن الوضع لم يبق على حاله بعد وصول الباشا بن عثمان إلى الباشاوية (1643-1646م) فقد نظم حملة عسكرية مع أسكيا الشمال الحاج محمد الرابع في 20ماي 1644م على سلطان ماسينا الذي وصفه :"صاحب التمرد والعناد والبغي والفساد و الطغيان..."فتصدى لهم حمد آمنة لكنه هزم وتراجع إلى منطقة كيكي، وعينوا بدلا منه حمد فاطمة، غير أن حمد آمنة تمكن من قتل حمد فاطمة والرجوع إلى عرشه في 18 سبتمبر 1644م بعد عودة الجيش المغربي إلى تنبكتو، ثم أسرع إلى طلب الصلح من الباشا فقبل الصلح وأجازه فبقي مستقلا بسلطنته إلى أن وافته المنية 1663م[2].

1-4 فترة الاستقلال التام : تمكن حمد آمنة من الاستقلال بدولته عن كل الأطماع الخارجية منذ عودته إلى السلطة سنة 1644م، ثم خلفه عليون الثالث مدة عشر سنوات (1663-1673م) ومن بعده حكم غالوها جالو الثالث سنتين(1673-1675م) ثم غوروي جالو (1675-1696م) والذي خلفه غيلاجو جالو(1696-1706م) ثم وصل إلى الحكم غيدادو جالو الذي عمر فيه خمسة وخمسين سنة (1706-1761م) غير أنه لم يمض منها في الاستقلال التام إلا تسعةَ عشرَ سنة، إذ تعرضت مملكته لغزو من مملكة سيغو البمبارية الوثنية سنة 1725م[3].

1-5 التبعية لأمارة سيغو الوثنية :في سنة 1725م هاجم سلطان سيغو بيتون ماري كوليبالي ماسينا بجيش عرمرم فاحتلها وخضع له حاكمها غيدادو وأمضى بقية حكمه تحت جناحه، وبعد وفاته تولى الحكم حمدي آمنة الثالث من (1761- 1777م) الذي استغل الصراع حول السلطة

[1] عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص ص230-231.

[2] غربي الحواس: المرجع السابق،ص85.

[3] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص ص444-445.

في مملكة سيغو[1] فطرد حاميتها العسكرية، وأصبحت ماسينا في عهده مستقلة استقلالا تاماً عن سيغو، ثم تولى السلطة من بعده يورو سيلمغا (1777-1789م) وخلال عهده حاولت سيغو استعادة ماسينا فشن ملكها انغولو جارا حملات متتالية بين سنتي (1781م- 1784م) فقاومهم يورو سيلغما مقاومة باسلة طيلة هذه السنوات، غير أن ماسينا وقعت في يد انغولو الذي وصل إلى مدينة جني ونهبها، ورضي يورو بدفع الجزية لملوك سيغو، وبعد وفاته سنة 1789م تولى الحكم ياغالو الذي مكث فيه إلى سنة 1801م، ثم خلفه آخر حكام هذه الأسرة أرادو حمدي ديكو[2].

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن كل حكام ماسينا المتقدمين كانوا كفارا وثنيين بالرغم من أنهم يحملون أسماء إسلامية ، كما يعد حمدي ديكو آخر حكام أسرة جالو التي ستسقط على يد الشيخ احمدو لوبو في معركة نوكوما الشهيرة وتسقط معها سلطة سيغو على ماسينا 1818م، وتتولى الحكم أسرة إسلامية جديدة تدعى أسرة باري التي ينتمي إليها الشيخ احمدو الذي ينجح في تأسيس إمارة إسلامية بالمنطقة، بعد أن تعاقب على المنطقة أربعٌ وعشرون ملكا كانوا مسلمين بالاسم فقط[3].

ويبدو أن القول بأن كل حكام ماسينا كانوا كفاراً وثنيين قولٌ فيه نظر وتفنده بعض الدلائل التاريخية، فما الداعي الذي حملهم على حمل الأسماء الإسلامية وهم على وثنيتهم؟ كما أن هذه الأسماء التي حملوها تتبوأ مكاناً رفيعاً في القاموس الاسمي الإسلامي كحمدي (محمد) أو عليون (علي) أو فاطمة أو عائشة وغيرهم، ضف إلى ذلك أنهم خضعوا لإمارات إسلامية حملت على عتقها نشر الإسلام كمملكة مالي وعائلة الأسكيا في مملكة صنغاي ولم تكن ماسينا بعيدة عن عواصم هذه الممالك بل كانت في محيطها الإقليمي، كما أن حمدي آمنة عندما أعلن الحرب على الأرما المغاربة 1594م لرفضهم طلبه في الاستشفاع لفقهاء تنبكتو وعلى رأسهم الشيخ احمد بن بابا

[1] الصراع حول السلطة في مملكة سيغو بين أسرتي كوليبالي وجارا وآل الحكم في الأخير لأسرة جارا، ينظر، نوح عيسى سيدبي: المرجع السابق، ص57.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص ص444-446.

[3] نفسه، ص446.

التنبكتي[1]، فإذا لم يكن مسلماً فمن أين تأتيه الغيرة على الإسلام وعلمائه عندما تستباح حرمته؟ كما أن السعدي عاصر هذه الفترة ولم يشر إلى كفرهم بل زار المنطقة سنة 1629 كما ذكرنا أنفاً في ضيافة قاضيها الفقيه محمد سنب فإذا كانت إمارة وثنية فكيف يكون لها قاض مسلم؟ بل أن السعدي عندما ذهب إليها وجد القاضي عند حاكمها حمدي آمنة الثاني الذي أكرمه وقدم له العديد من الهدايا لمكانة السعدي الدينية والعلمية في المنطقة بل تكررت زيارته لها[2].

2- أهم الممالك التي عاصرت إمارة ماسينا:

بعد سقوط مملكة سنغاي، وفشل الجيش المغربي الغازي في احتواء الموقف وملء الفراغ الذي كانت تحتويه المملكة المنهارة، استيقظت طموحات مختلف القبائل المتطلعة إلى الزعامة والريادة في المنطقة مرة أخرى، بعد أن نجحت مملكة سنغاي فترة طويلة في إسكات هذه الطموحات وإطفاء شعلتها، هبت كل قبيلة تأنس في نفسها القدرة على فعل شيء، للمطالبة بحقها وحكم نفسها بنفسها، وأن تتحول من تجمعات قبلية صغيرة إلى دول وممالك قوية ونشيطة، وتخرج من حدودها القبلية إلى توسيع رقعتها على حساب جيرانها[3].

ومن أهم الدول التي سجل لها التاريخ دوراً هاماً في التأثير على مجريات الأحداث في المنطقة خلال هذه الفترة الزمنية هي:

[1] احمد بابا التنبكتي: هو العلامة ابو العباس احمد اقيت الصنهاجي الماسني، ولد في منطقة أروان شمال تنبكتو عام 1553م ونشأ بتنبكتو وتعلم بها، نبغ في علوم الفقه والحديث واللغة والمنطق والفرائض والبلاغة، قال عنه تلميذه السعدي:" انه عالم زمانه بلا منازع " (يقصد في منطقة السودان) له حوالي اربعين مؤلفا في علوم شتى، نفي إلى مراكش سنة 1593م بعد الحملة المغربية ومكث بها 13 سنة، ثم رجع مسقط رأسه وتوفي سنة 1627م، ينظر: ابي عبد الله البرتلي :فتح الشكور في معرفة أعيان وعلماء التكرور، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1981م، ص ص31-32.

[2] عبد الرحمن السعدي: المصدر السابق، ص ص231-232.

[3] احمد شلبي: المرجع السابق، ص270.

2-1 مملكة موسي: تقع هذه المملكة الوثنية في منحنى نهر النيجر على أراضي بوركينافاسو الحالية[1]، اختلفت المصادر التاريخية في ميلادها، غير أن أولى التنظيمات السياسية عند الموسي ظهرت في القرنيين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي وبلغت أوج قوتها في القرن الثالث عشر على يد الملك ياتاد[2]، وقد لعبت دوراً مهماً في المنطقة وكانت مستعصية على الممالك التي جاورتها (غانة _ مالي _ سنغاي) واستطاعت أن تحافظ على استقلالها وعلى وثنيتها فترة طويلة[3]، ويصفها البعض بأنها عبارة عن:" مجموعة من المؤسسات السياسية كانت تعيش على شكل كونفيدرالي، ولم تخضع لملوك الشمال بل حافظت على تجانسها واستقرارها، وكان الملك الأكبر سيّداً عل نهر النيجر الأعلى غنيّاً بموارده الزراعية..."[4].

ظلت هذه المملكة مصدر إزعاج وقلق لجيرانها فقد غزت تنبكتو سنة 733هـ/1333م ووولاته سنة 884هـ/1480م[5]، وكانت لا تكف عن الغارات كلما واتتها الفرصة غير أنها تخلت عن ذلك بعد وصول الحاج محمد الأسكيا إلى الحكم الذي وجه إليها ضربات موجعة بهدف تأديبها وحملها على اعتناق الإسلام ، لكنها ظلت على وثنيتها ولم يحقق الإسلام نجاحاً كبيراً رغم جهود الحاج محمد الأسكيا ومساعيه، وعند انهيار مملكة سنغاي عادة مملكة الموسي لتلعب دورها في المنطقة كدولة قوية مرهوبة الجانب شديدة البأس[6].

[1] نوح عيسى سيدبي: المرجع السابق، ص55.
[2] محمد الغربي: المرجع السابق، ص 72.
[3] احمد شلبي: المرجع السابق، ص127.
[4] محمد الغربي: المرجع السابق، ص 72.
[5] نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص102.
[6] نوح عيسى سيدبي: المرجع السابق، ص56.

2-2 مملكة سيغو:

أسس مملكة سيغو البمبارية ماري كوليبالي الشهير ببتون، الذي أسس جمعية من أقرانه وأترابه سماه جمعية الفئة العمرية أو فلانتون ديون[1]، وقد حكم من (1710-1740م)[2]، وكون جيشاً قوياً أصبح مع مرور الوقت أقوى جيش في السودان الغربي فكان يدعى قوة سيغو[3].

وقد اعتمدت مملكة سيغو في اقتصادها على الفلاحة وتجارة الرقيق، لذا كانت في حروب مستمرة مع جيرانها، وبلغت أوج قوتها في عهد أسيرين اغتصبا الحكم وهما (اينغولوا جارا) مؤسس حكم آل جارا(1180-1207هـ/1766-1792م) وابنه مونزون(1210-1223هـ/1795-1808م) فبسطت نفوذها على المناطق الممتدة من سيغو إلى حدود ماسينا و تنبكتو ردحاً من الزمن، ودفع لها فولان ماسينا وباشوات تنبكتو الجزية لقوتها، واستطاعت الحفاظ على كيانها حتى قضت عليها حركة الحاج عمر الفوتي.

2-3 ممكلة كارتا البمبارية (المساسي):

كانت مملكة وثنية شديدة البأس لكنها لم تكن في مصاف مملكتي الموسي وسيغو، غير أنها كانت في صراع دائم مع مملكة سيغو بالرغم من القرابة العائلية التي تجمع بينهما، وقد تأسست مملكة كارتا أو المساسي منذ 1670م غير أنها لم تظهر بشكل حقيقي إلا في عهد الملك سيي بامانان الذي حكم (1709-1760م) وأسس لها عاصمة جديدة سماها كيمو[4]، وزادت قوتها في عهد الملك بينا بوك كوليبالي(1767 -1788م) ويعتبر عهد بو جان موريبا كوليبالي أزهي أيام هذه

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص 23.

[2] Maurice,delafosse,Op, Cit,P 287.

[3] نور الدين شعباني: عائلة كوليبالي ودورها في مملكة البمبارا (1600-1800م)، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله، العدد، 2015م، ص105.

[4] Maurice,delafosse: Op, Cit,p p 297-298.

المملكة الذي حكم بين سنتي (1815-1832م)[1]، وقد شكلت خطراً حقيقياً على مملكة ماسينا الإسلامية، ثم انهارت بعدما قضت عليها حركة الحاج عمر الفوتي1854م[2].

2-4 مملكة كوناري الفلانية:

أصبحت كوناري مملكة شبه مستقلة عن مملكة سيغو البامبرية ابتداء من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) على يد هام بوديجو بن باتي يالا من سلالة إبادي يورو حمادي باتي الذي سكن في كوناري أثناء الهجرة الفلانية من الغرب إلى الشرق، ثم توالت الهجرات الفلانية حتى تحولت تدريجيا إلى منطقة فلانية، ولم يؤسسوا وحدة سياسية فعلية تجمعهم إلا في عهد هام بوديجو الذي كان رئيسا لمجموعة من الفرسان، فأذعن له الجميع خوفاً من اغتصاب أبقارهم، فأصبح حاكما على بانغيل بانغو التي أتخذها عاصمة له في أول أمره[3].

ويعود الفضل في تولي هام بوديجو الحكم إلى ملك سيغو (دا) الذي زوجه ابنته، فأصبح هام بوديجو ممثل سيغو في كوناري من جهة وحاكم الفلانيين من جهة أخرى، ثم توترت العلاقة بينهما وتمكن هام بوديجو من هزيمة باكري جان أعظم قادة (دا) ملك سيغو، وباءت كل محاولات سيغو لإخضاعها مرة أخرى[4].

وقد توسعت هذه المملكة في عهد جلاج بن محمد بديج المدعو (غيلاجو) الذي عاصر قيام إمارة ماسينا وبايع الشيخ احمدو لوبو بعد انتصاره في معركة نوكوما 1818م وتصبح مملكته جزء من الإمارة الإسلامية الجديدة[5].

---

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق،ص24.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق،ص 523.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق،ص32.

[4] نفسه ص33.

[5] محمد علي فييريج : فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد، منشوراتGrandvaux، فرنسا، 2011، ص7.

رابعاً: الحركات الإصلاحية الفلانية التي شهدها القرن التاسع عشر الميلادي

شهد القرن التاسع عشر حركات جهادية في منطقة السودان الغربي تهدف إلى العودة بالدين الإسلامي إلى منابعه الصافية ونبذ كل البدع والخرافات التي لصقت به، وتخليص المجتمع من العادات الوثنية المندسة في العبادات الإسلامية، بالإضافة إلى محاربة الإمارات الوثنية، بيد أن الأمر اللافت للانتباه أن جل زعماء هذه الحركات الإصلاحية ينتمون إلى العنصر الفولاني، بل تمكنوا من إنشاء دول إسلامية قوية تمثلت في خلافة سوكوتو وزعيمها الشيخ عثمان بن فودي القادري، وخلافة ماسينا وأميرها الشيخ احمدو لوبو الماسيني القادري، والخلافة العمرية وزعيمها الحاج عمر الفوتي التيجاني، وقد كان زعماء هذه الحركات الإصلاحية علماء متمسكين بالشريعة الإسلامية عاملين على نشرها، مجددين ورافضين للأوضاع التي كانت عليها المنطقة[1]، وقد غلب عليها الطابع الجهادي متخذة من العمل العسكري عاملاً أساسياً لنشر أفكارها، ومن البعد الصوفي دافعا روحيا لتوسعها.

كان زعماء هذه الحركات الإصلاحية علماء مصلحين يسعون إلى تغيير الوضع القائم الذي كانت تشهده المنطقة منتهجين الأسلوب السلمي مقتفين أثر الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[2]

---

[1] آدى آجايي وآخرون: تاريخ إفريقيا العام، المجلد السادس، القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانياته(اليونسكو)، المطبعة درغام وأولاده، لبنان، 1996، ص607.

[2] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي: ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي(ت 909هـ) واحداً من ابرز شخصيات القرن العاشر الهجري، وذلك لما عرف عنه من ثورة فكرية وإصلاحية امتد صداها الساحل الإفريقي مروراً بمنطقة توات ، درس في تلمسان و بجاية والجزائر وتوات وزار مصر والحجاز وتوات والسودان الغربي، من شيوخه الشيخ محمد بن احمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب والشيخ سعيد المقري والشيخ يحي بن يدير والشيخ عبد الرحمان الثعالبي وعنه أخد الطريقة القادرية، وتتلمذ على يده الكثير منهم الشيخ عمر بن الشيخ احمد البكاي والشيخ عبد الجبار الفجيجي، وترك بصمته واضحة في منطقة توات بمحاربته لليهود،كما انتقل إلى السودان الغربي واتصل بالاسكيا الحاج محمد ملك صنغاي و أمير كانو محمد بن يعقوب رمفا الذي اتخذه مستشاراً و ولاه القضاء، توفي بتوات سنة (909هـ/1504م)، له مؤلفات عديدة تزيد عن الأربعين منها :أجوبة المغيلي وأسئلة الاسكيا و كتاب تاج الدين فيما يجب على السلاطين ورسالة الرد على المعتزلة ومصباح الأرواح في أصول الفلاح والبدر المنير في علوم التفسير للمزيد ينظر: أحمد بن بابا التنبكتي: نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تح حماه ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971، ص540.

والشيخ المختار الكنتي الكبير[1]، ثم اضطروا في نهاية الأمر إلى العمل العسكري استجابة لأمر الله ورسوله وإعلان الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، واصطبغت هذه الحركات الجهادية بالطابع الصوفي الداعي إلى الزهد والتقشف والابتعاد عن ملذات الحياة الدنيا.

1-1 عوامل ظهور الحركات الإصلاحية الفلانية:

ويمكن أن نجمل أسباب ظهور هذه الحركات الإصلاحية بين مسلمي منطقة السودان الغربي في العوامل الآتية:

- الانتشار الواسع للبدع والخرافات وامتزاج العقيدة الإسلامية بطقوس وثنية كتقديس الموتى وتقديم القرابين لهم، والإيمان ببعض المظاهر الطبيعية وانتشار السحر و الشعوذة، ولم يتوقف الخطب عن هذا الحد بل هيمنة إمارات وثنية على المنطقة فانتشرت البدع والخرافات والعادات الوثنية التي اختلطت بتعاليم الدين الحنيف.

-الاحتكاك الثقافي بين منطقة السودان الغربي والحواضر الثقافية الكبرى كالأزهر الشريف وجامع الزيتونة وجامع القرويين، حيث انتقل العلماء وطلبة العلم إلى هذه الحواضر لتلقى العلوم والمعارف،

[1] الشيخ المختار الكنتي: (1142-1226هـ)(1730-1811م) هو الشيخ سيد المختار بن احمد بن ابي بكر الكنتي الكبير ، أخد القرآن الكريم عن أخيه الأكبر وعن جده لأمه ثم انتقل تنبكتو عند الشيخ سيد اعل بن النجيب فتبحر في علوم الفقه وأصوله والنحو والبلاغة والتفسير والحديث، فكان أعجوبة عصره، قال عنه البرتلي :" القطب الرباني والغوث الصمداني، الولي الصالح ذو البركات الشهيرة ، وشيخ أشياخ السادات..." فكان رجلاً عالماً ورعاً ورجل سياسة بارزاً لعب دوراً سياسياً واجتماعياً وفكرياً وروحياً في منطقة الأزواد وما جاورها، حيث كرس معارفه العلمية ونفوذه السياسي والروحي في تأسيس زاويته التي كانت منارة علمية ثقافية في المنطقة برمتها، وساهمت في نشر الطريقة القادرية في السودان الغربي، ومن أشهر تلاميذه ابنه الشيخ محمد والشيخ سيدي المختار بن الهيبه والشيخ القاضي بن الحاج الفغ الابجيجي والشيخ أحمدو بن اعويس وغيرهم، ضف ذلك غزارة مؤلفاته منها : كتاب المنة في اعتقاد أهل السنة ونزهة الراوي وبغية الهاوي والذهب الابريز ونفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب والبرد الموشى في تحريم الرشا للمزيد ينظر: محمد الصالح حوتية: آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008، ص ص 232-233. وينظر أيضاً: عبدالله سيسي: حركات الإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا خلال القرن الثامن والتاسع عشر الميلاديين، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1439هـ/2018م، ص ص210-211.

ولما عادوا إلى أوطانهم عقدوا العزم على نشر الإسلام في هذه الأقطار وإصلاحه وتنقيته مما علق به من أدران والعودة به إلى منابعه الصافية[1].

– كان للحج دوراً كبيراً في تكوين الدعاة والمصلحين وذلك بفضل الاتصال المباشر بكبار المصلحين من جميع أقطار العالم الإسلامي،كما كان حجاج المنطقة يمكثون مدة طويلة في البقاع المقدسة تمكنهم من التأثر بغيرهم من شعوب العالم الإسلامي، وكانوا يتوقفون في رحلتهم في مصر وحواضر المغرب العربي فيتعرفون فيها على الحضارة العربية الإسلامية وما شهدته من رقي وازدهار، وقد أدركت فرنسا خطورة هذه الفريضة فذكر بونتي– أحد حكام إفريقيا الغربية الفرنسية – :" أن هذه الفريضة تحدث تشويشاً في أذهان الأفارقة وتبدل من نفوسهم لالتقائهم بإخوانهم المسلمين فتقوّي فيهم روح التضامن الاسلامي والثورة ضد الفرنسيين"[2].

– ظهور بعض المركز الثقافية والعلمية في منطقة السودان الغربي كان لها الفضل الكبير في بلورة فكرة الجهاد الإسلامي وفضله على المسلمين وذلك مصدقا لقوله تعالى: ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3] وانتشرت هذه الأفكار الجهادية بشكل واسع في القبائل الفلانية بفضل الدعاية التي روجت لها الحركات الجهادية في منطقة سوكوتو وحمد الله.

–ومن بين الدواعي التي ألهمت حماس هذه الحركات الجهادية خلال القرن التاسع عشر انتشار حديث الرسول ﷺ القائل:((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها))[4] وقد انتشر هذا الحديث انتشارا واسعاً في منطقة السودان الغربي، وكان الناس ينتظرون بفارغ الصبر هذا

[1] احمد بوعتروس: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء أبان القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، دار الهدى،الجزائر، 2009م، ص127.

[2] إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص37.

[3] سورة النساء: الآية 95.

[4] ابو داود(الإمام الحافظ ابو داود سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود، الجزء الثالث، الحديث رقم 4291،كتاب الملاحم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1416هـ/1996م، ص113.

الإمام المجدد الذي علق الناس عليه آمالهم ورأوا فيه الحل الناجع لازمتهم، كان يرجى من هذا الرجل الصالح أن يحارب الكفر والظلم ويقيم دعائم الدين الحنيف، ولعل ارتباط هذه الحركات الإصلاحية بالصبغة الصوفية الداعية إلى الزهد والتقشف والبعد عن ملذات الدنيا سهل من مهمتهم الإصلاحية وذلك لتغلغل الفكر الصوفي في المجتمع السوداني[1].

– إذا كان الإسلام قد انتشر في إفريقيا جنوب الصحراء عن طريق قنوات متعددة ووسائل مختلفة، فلا شك أن للطرق الصوفية الدور البارز في توسيع رقعته وتصحيح مفاهيمه بفضل المدارس التي أسسوها والآثار العلمية التي خلفوها، فقد كانت منطقة السودان الغربي مسرحاً للطريقة القادرية والتيجانية والسنوسية، وقد قام أتباع ومريدو هذه الطرق بدور كبير في نشر الإسلام كما وقفوا في وجه الغزو الأوروبي الصليبي للمنطقة، رافعين راية الجهاد عازمين على استخدام القوة في وجه المحتل الغاصب مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[2]وفي هذا السياق يقول أحد المؤرخين:" إن انتشار الإسلام في السنغال ومالي والنيجر و غينيا و غانا ونيجيريا و التشاد... إنما يرجع الشطر الأكبر من الفضل فيه إلى الطرق الصوفية...فكانت الزوايا و الرباطات التي أسسها شيوخ هذه الطرق الصوفية بؤر لنشر الدعوة الإسلامية بين الشعوب الوثنية في غربي القارة الإفريقية وقلبها، ومردّ هذا خصوصاً إلى اختلاط الصوفية بالطبقات الشعبية في هذه البلاد، وعيشهم بين العامة والفقراء مما أبدى لهؤلاء نماذج حية تتصف بالتقوى"[3].

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص ص608-609.

[2] سورة الأنفال: الآية 60.

[3] أسعد السحمراني: التصوف منشؤه و مصطلحاته، دار النفائس، بيروت لبنان، 1987، ص163.

1-2 دولة الشيخ عثمان بن فودي

أسسها الشيخ المصلح عثمان بن فودي[1] (1754-1817م)ينحدر من عائلة علمية ورثت العلم أب عن جد[2]، حفظ القرءان الكريم على يد والده الشيخ محمد فودي ثم درس العلوم العربية والإسلامية على يد العديد من الشيوخ من أبرزهم الشيخ جبريل بن عمر[3] الذي تأثر به في علمه وسلوكه[4]، ويمكننا أن نقسم حركة الشيخ عثمان إلى ثلاثة أدوار رئيسية لكل منها ما يميزها:

الدور الأول: يبدأ من(1775- 1803م) اهتم الشيخ خلال هذه المرحلة بالوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و تصحيح العقيدة الإسلامية ونبذ البدع والخرافات، والاهتمام بالتعليم والتفقه في الدين وحظ على تعليم النساء لان هن لبنة المجتمع المسلم، وقام خلال ذلك بعدة رحلات في بلاد الهوسا لإقناع الناس بدعوته الصحيحة، وابتعد عن الشؤون السياسية حتى لا يصطدم بحكام المنطقة، وقد لاقت دعوته قبولا كبيرا والتف حوله العديد من الأتباع، الأمر الذي تضايق منه أمراء قوبير الوثنية وأصبحوا يكيدون له المكائد[5].

اتبع أمراء قوبير سياسة الاضطهاد في حق أتباع الشيخ فقتلوا العلماء وحرقوا المصاحف وصادروا الأموال، الأمر الذي اضطر الشيخ إلى إعلان الجهاد ضدهم وأصدر وثيقة لأهل السودان عام 1802م دعا فيها السودانيين إلى إعلان الجهاد ضد أمراء قوبير ومحاربة الطغاة والأمر بالمعروف

[1] فودي تعني باللغة الفولانية الفقيه، ينظر: أحمد محمد كاني: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1987م، ص59.

[2] أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص130.

[3] جبريل بن عمر: ولد بمنطقة أغدس بإقليم آهير ويعد من أبرز العلماء المنطقة ،أشتهر بعلمه وتقواه وبعد نظره، رحل البقاع المقدسة مرتين ومكث في أحداها عشر سنيين تعلم على يد شيوخ الحرمين كما تتلمذ على يد الشيخ محمد مرتضى الزبيدي بالقاهرة تلميذ الشيخ ابو العباس المرسي، فكان عالماً مالكياً صوفياً قادرياً، وقد تخرج على يده العديد من علماء السودان الغربي .ينظر أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص28-29، وينظر أيضا: أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص ص98-99 .

[4] بشار أكرم جميل الملاح: تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، الأردن، 2014، ص213.

[5] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص119.

والنهي عن المنكر والهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام وقد تضمنت الوثيقة سبعة وعشرين بنداً هي خلاصة المبادئ والتعاليم التي نادى بها الشيخ في الفترة الأولى من جهاده[1].

الدور الثاني(1803-1810م): تمكن الشيخ من تأسيس دولته خلال هذه الفترة، فكان أول عمل قام به هو الهجرة من منطقة دعل إلى منطقة غل، وراسل أمراء الهوسا وأمرهم بالدخول تحت طاعته وإعلان الجهاد على الكفار، واتخذ من مدينة "سوكوتو"عاصمة لدولته الناشئة، واستمر هذه الدور في محاربة الكفار الوثنيين ومن ناصرهم من المسلمين إلى عام 1810م[2].

الدور الثالث (1810- 1817م): تتميز بالعمل على توطيد أركان دولته في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، فوضع لها نظاما أداريا إسلامياً، وجعل من اللغة العربية اللغة الرسمية، وبعد استقرار الأوضاع واطمئنان الشيخ على دولته الجديدة، تخلى عن العمل السياسي والتفرغ للدعوة والتدريس، ووضع شؤون الدولة في يد أخيه عبد الله وأبنه محمد بيلو[3] فقسمها بينهما، فعين أخاه على غربها وابنه على شرقها وكان ذلك عام 1813م، واستقر الشيخ عثمان في سوكوتو مصلحاً ومربياً ومرشداً إلى أن وافته المنية 1817م.

لقد تمكن الشيخ المصلح عثمان بن فودي خلال خمسة عشر سنة من فتح بلاد الهوسا بمختلف أقاليمها، وتأسيس دولة إسلامية نموذجية في غرب إفريقيا لا زالت آثارها ومعالمها عالقة في أدهان الناس إلى يوم الناس هذا، عاشت قرناً كاملاً من (1804-1904م) حتى غزاها الاستعمار الأوروبي واحتلها ومزقها، وتمكن الشيخ عثمان من أحداث حركة فكرية وسياسية في ربوع السودان

[1] عبد الله عبد الرزاق وشوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الاسكندرية، مصر، 1998م، ص ص 138-139.

[2] أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص84.

[3] ابن الشيخ عثمان بن فودي(1781-1837م) سلطان سوكوتو(1817-1837م) تتلمذ على يد والده وله عدة مؤلفات أشهرها: إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور- الترجمان عن كيفية وعظ الشيخ عثمان، ينظر: احمد محمد كاني: المرجع السابق، ص136.

الغربي أسهمت في ظهور بعض الحركات الإصلاحية مثل حركة الشيخ احمدو لوبو الماسيني القادري وحركة الشيخ عمر الفوتي التيجاني[1].

1-3 الدولة الأمامية (1776- 1881م)

وصل الإسلام إلى منطقة فوتاتور[2] قبل فتح المرابطين، وتشير الروايات المتداولة بين السنغالين أن الإسلام وصل إليها مع جيش عقبة بن نافع- رضى الله عنه- وتغلغل بصفة تامة خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي.

قاد الشيخ سليمان بال[3] حركة إسلامية إصلاحية ضد دولة دينيان كوبي، وأسس إمارة إسلامية يحكمها العلماء باسم (الإمام) وكانت أول إمارة إسلامية تطبق الشريعة الإسلامية في منطقة فوتاتور، وخلال رحلته العلمية وصل إلى بلدة أبيري في محضرة الشيخ القاضي عمر فال وهناك التقى بإحدى عشر طالباً فولانياً كانوا النواة الأولى للحركة الإصلاحية الجديدة ومن أشهرهم: عبد القادر كن(إمام الدولة بعد سليمان) وجيرنو سعيد عثمان تال(والد الحاج عمر) وفي هذه المحضرة وضعوا مبادئ الدولة الإسلامية الجديدة والتي تتلخص في:

- التخلص من حكم دينيان كوبي المجافي لقواعد الإسلام.

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص 122-123.

[2] فوتاتور : تقع في الشمال الشرقي لجمهورية السنغال وجنوب غرب موريتانيا ويشقها نهر السنغال الذي يعد الحد الفاصل بين السنغال وموريتانيا، وكانت قبل الاستعمار منطقة واحدة، ويقال أن أصل كلمة فوتاتور تعني (اترك عبادة الأصنام) ولهذا الاسم معاني آخرى للمزيد ينظر: المختار بن حامد: حياة موريتانيا، مطبعة النجاح، الدار البيضاء المغرب، 2009م، ص ص236-237.

[3] الشيخ سليمان بال: هو سليمان بن راسين من قبيلة وطابي الفلانية ولد ونشأ في قريته عام 1721م بودي حفظ القرآن الكريم وأتقن اللغة العربية ثم التحق بجامعة بير ثم التحق بفوتاجالون ثم شنقيط، وبعد رحلته العلمية بدأ مرحلته الجهادية التي تمكن خلالها من تأسيس الدولة الأمامية ومات شهيداً عام 1870. ينظر: علي يعقوب: الدولة الإمامية في فوتاتور ودورها في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، مجلة قراءات افريقية الصادرة عن المنتدى الاسلامي، السودان، ع 9، 2011، ص10.

– إقامة دولة إسلامية تستمد تعاليمها من الكتاب والسنة ويتولى شؤونها العلماء والفقهاء[1].

ثم سافر الشيخ سليمان إلى فوتا جالون لمعرفة مبادئ الحركة الإصلاحية التي قادها ألفا إبراهيم جالو، ثم انتقل إلى شنقيط[2] ونهل من علماءها، وقد تأثر بحركة ناصر الدين حيث تغذى بالفكر الجهادي، ثم رجع إلى مسقط رأسه فأسس مدارس قرآنية تدرس العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى مرحلة الوعظ والإرشاد فكان ينتقل إلى القرى المجاورة يعظ الناس ويرغبهم في دين الله والجهاد في سبيل الله يحارب بيع العبيد المسلمين، وفي فترة وجيزة التف حوله العديد من الإتباع[3].

وبسبب ظلم حكومة دينيان كوبي وطغيانهم واستعبادهم لسكان فوتاتور حيث فرضوا الضرائب الباهظة على المزارعين عرفت "بمد الحرمة" كانوا يعطونها إلى إمارات قبائل البيضان من الترارزة[4] والبراكنة[5]، بالإضافة إلى الاتفاقيات غير المشرفة مع الفرنسيين التي تخول لهم ممارسة النخاسة (بيع العبيد) في المنطقة[6]، الأمر الذي جعل الشيخ يعلن الحرب عليهم وتمكن من الانتصار عليهم بعد

[1] علي يعقوب: الدولة الإمامية...، المرجع السابق، ص9.

[2] شنقيط: كلمة تعني عيون الخيل بلغة السكان، وهي نسبة قرية كانت سوقاً للخيل تعرف بهذا الاسم تخرج منها الكثير من علماء المسلمين، ثم عمم الاسم على الإقليم كله، وأستبدل الفرنسيون هذا الاسم فصار موريتانيا نسبة سكان المور وهي تحريف من Mahur بمعنى سكان المرتفعات عند الرومان.ينظر: أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص49.

[3] علي يعقوب :الدولة الإمامية ...، المرجع السابق ص10.

[4] الترارزة: تنتسب تروز بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن هدي بن حسان، ظهرت في بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي،سيطرت على المنطقة الممتدة من أركين في الشمال حتى نهر السنغال في الجنوب للمزيد ينظر: المختار بن حامد: المرجع السابق، ص52.

[5] البراكنة: تنتسب بركني بن هداج بن عمران بن عثمان بن مغفر بن هدي بن حسان،ظهرت في بداية القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي،سطع نجم هذه الامارة مع بكار بن علي الملقب بالغول(ت1092هـ/1728م) كانت في صراع مع الترارزة وإدوعيش. للمزيد ينظر:المختار بن حامد: المرجع السابق، ص ص27-28.

[6] يحي ولد البراء: المصدر السابق، ص135.

تحالفه مع قبيلة ابدوكل الصنهاجية[1] وكان ذلك سنة 1776م، وتمكن من إسقاط هذه الضريبة المجحفة في حق الفولانيين فالتفوا حوله وتغنوا به في أغنيتهم الشهيرة: " بالو سليمان بال ... إلى أخرها" وترجمتها: " ما أعظم سليمان بال، فلنقدم له الأجر والشكر، ما أعظم سليمان بال الداعي إلى حكم الله، الذي أزال البدعة في البلاد وأقام منار الدين الاسلامي، وكسر كيل الذهب المقوم بالصاع المفروض على كل فرد"[2]، ثم لقي الشيخ سليمان ربه شهيداً في إحدى مطاردته للأعداء في عام 1780م، وكانت وصيته لشعبه بقوله :" فإن مت فانظروا إماماً عادلاً زاهداً ورعاً لا يجمع الدنيا لنفسه ولا لعقبه"[3].

تم اختيار الشيخ عبد القادر كن[4] للإمامة بعد الشيخ سليمان بال من طرف مجلس الشورى، ويعد الشيخ عبد القادر المنظم الحقيقي للدولة الإمامية، فقد قام بعدة إصلاحات في شتى المجالات:

ففي مجال السياسة نظم الحكم والإدارة وفقا للشريعة الإسلامية واستتب الأمن ونظم المدن ووطن البدو الرحل ومنع تجارة الرقيق، واختار ستة من العلماء يتولون حل المشاكل الأمنية والاجتماعية ويشرفون على مسائل الحرب والسلم[5]، واصطدم مع الفرنسيين المتمركزين في (سانت

[1] ابدوكل:هي من الإمارات الصنهاجية التي بقيت بعد الدولة المرابطية ، وقد قامت في حدود 630-700هـ على أيدي أسرة لمتونية ، ومعنى كلمة أبدوكل بالصنهاجية التجمع والتحالف .ينظر : ولد السالم حماه الله: تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017، ص168.

[2] بن محنضن الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، موريتانيا، 2010، ص ص37-39.

[3] علي يعقوب: الدولة الإمامية ...، المرجع السابق، ص ص10-11.

[4] عبد القادر كن: ولد في فوتا تور عام 1726م ،وهو من أصل عربي قدم أبوه أوجده من دمشق ثم أستقر مع الفلان في هذه المنطقة، وتلقى تعليمه الأول بها ثم انتقل كوكي ليواصل تحصيله العلمي على يد العالم المختار اندومبي جوب وقد أدن له هذا الاخير بالالتحاق بمحضرة أهل (همري فال) بأبيري كما درس بقبيلة أولاد ديمان على يد العالمة خديجة بنت محمد العاقل مع زميليه العالمين المختار بن بونه الجنكي وأخيها أحمد بن محمد العاقل ،وتولى الإمامة من 1776 1881م ،ينظر: بن محنضن الحسين: المرجع السابق، ص40.

[5] علي يعقوب: الدولة الإمامية ...، المرجع السابق، ص11.

لويس)[1] وكتب إليهم سنة 1203هـ/1789م يحذرهم من استرقاق رعاياه بقوله:" نحن نحذركم بأن كل أولئك الذين في أيديكم ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[2]نحن لا نريدكم أبداً أن تشتروا المسلمين لا من قريب ولا من بعيد، ونجدد لكم القول بأنه إذا كان هدفكم هو شراء المسلمين فعليكم أن تبقوا في بلادكم ولا تعودوا إلى بلادنا، وليعلم كل الذين يأتون إلى بلدنا لهذا الغرض بأنهم سيقتلون"[3].

وفي مجال الثقافة: بنى قرابة أربعين مسجداً جامعاً وعين لكل مسجداً أماماً وبجانب المسجد مدرستين إحداهما لتعليم الصغار كتاب الله والثانية لتعليم العلوم الشرعية واللغوية وانتشرت هذه المدارس حتى أصبح من الصعب حصرها، وأسس مدينة جولون التي أصبحت مدرستها من أشهر المدارس الإمامية في الدراسات الأدبية واللغوية، وازدهرت الثقافة الإسلامية ازدهاراً واسعاً، وأصبح إتقان في اللغة العربية والتعمق في علومها محل فخر للأسر والعائلات، وانتزعت راية العلم والدين من جل بلدان السودان الغربي، وصارت قبلة لطلاب العلم، وتوافد عليها العلماء لنشر ما عندهم من العلوم الشرعية واللغوية وغيرها[4].

قامت الدولة الإمامية بحركة اجتماعية ودينية وسياسية في منطقة فوتاتور وما جاورها خلال القرن التاسع عشر نجحت في نشر الإسلام واللغة العربية ووحدت شعوب المنطقة تحت راية الإسلام[5]، وتعاقب عليها خمسون إماماً، ثم سقطت على يد الاستعمار الفرنسي عام 1881م[1].

---

[1] سانت لويس : هي مدينة أندر سماها الفرنسيون بهذا الاسم عندما استعمروها وحولها مركز تجاري سنة 1638م، تقع على الساحل الشمالي الغربي للسنغال عند مصب نهر السنغال، انتزعه منهم الانجليز مرتين أبان تنازع الطرفين على المنطقة، استعاده الفرنسيون سنة 1817م جعله فيديرب عاصمة مستعمرة السنغال وظل كذلك حتى اختيرت داكار بدلاً منه سنة 1903، وظل الفرنسيون يحكمون موريتانيا منه حتى سنة 1958، ينظر: النقيب غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17-1920، تعريب المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، مكتبة القرنين21/15، موريتانيا، 2012، ص45.

[2] سورة الحجرات: الآية12.

[3] بن محنضن الحسين: المرجع السابق، ص41.

[4] علي يعقوب: الدولة الإمامية ...، المرجع السابق، ص11.

[5] المختار بن حامد: المرجع السابق، ص ص237-239.

1-4 حركة الحاج عمر الفوتي:

ولد الحاج عمر الفوتي عام 1212هـ الموافق 1797م بقرية حلوار قرب بودور في إقليم فوتاتور بقطر السنغال، تربى في كنف أبويه وحفظ القرآن الكريم على يد والده الشيخ سعيد بن عثمان، ثم أجتهد في تحصيل العلوم الشرعية حتى أشير إليه بالبنان في المنقول والمعقول، أخد مبادئ الطريقة التيجانية[2] على يد الشيخ مولود فال الشنقيطي، ثم على الشيخ عبد الكريم بن أحمد النقيل[3].

وفي 1826م قام برحلة إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج عبر عواصم المغرب والمشرق فزار فاس وتلمسان والقيروان وبرقة والقاهرة ومكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبيت المقدس، ولا شك أن مروره بهذه الحواضر والتقائه بعلمائها قد زاد من علمه واتساع مداركه، وخلال إقامته بالبقاع المقدسة التقى بخليفة الطريقة التيجانية الشيخ محمد الغالي ولازمه ثلاث سنوات ترسخت في ذهنه تعاليم الطريقة وعينه خليفة للطريقة التيجانية في منطقة السودان الغربي، ثم عاد إلى السودان الغربي

---

[1] علي يعقوب: الفلانيون...، المرجع السابق، ص23.

[2] تنتسب الطريقة التيجانية مؤسسها الشيخ أبي العباس سيدي أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم الحسني الملقب بالتجاني ولد الشيخ بعين ماضي سنة 1737 في صحراء الجزائر وقد أشتغل الشيخ بالعلوم العقلية و النقلية و توج فيها بتاج الرئاسة،ورحل في طلب العلم فزار مختلف البلدان وتعرف على العديد من مشائخ الطرق الصوفية داخل البلاد وخارجها ، وفي سنة 1196هـ الموافق 1782م في قرية أبي سمغون جنوب غرب ولاية البيض حدث له الفتح الاكبر، غير أن طريقته لم ترق للحكام الأتراك في الجزائر فهاجر الشيخ المغرب الاقصى 1798م وحط الرحال بمدينة فاس إين أستقبله سلطان المغرب وأكرم وفادته وأهداه داراً ليستقر بها، و بنى زاويته بفاس سنة1801م، ومما صح عنه قوله " كل كلام يبلغكم عني وعن غيري زنوه بميزان الشرع فإن وافق اعملوا به وان خالف اتركوه، وبسير زمانكم سيروا..." ومن مآثر الشيخ رسالة هامة ومتنوعة لشرح قصيدتي البردة و الهمزية ومؤلفين هامين وهما (جواهر المعاني الذي أملاه الشيخ على تلميذه الشيخ علي حرازم وكتابه الجامع الذي كتبه تلميذه سيدي محمد ابن المشري الجزائري وهذه المؤلفات من المراجع الأساسية للطريقة التيجانية، وفي يوم الخميس 17شوال 1230هـ الموافق 1815م توفي الشيخ رحمه الله وعمره ثمانون سنة، وحضر جنازته جمع غفير وصلى عليه أمام ومفتي فاس العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الدكالي، ودفن في زاويته بفاس القديمة ، وبناء على وصيته انتقلت الخلافة الشيخ سيدي الحاج علي التماسيني للمزيد ينظر: علي حرازم بن العربي برادة المغربي الفاسي: جواهر المعاني وبلوغ الاماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني – رضي الله عنه–،ضبطه وصححه وخرج آياته عبد اللطيف، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1979، ص ص23-25.

[3] عمر عبد الماجد :حياة الحاج عمر الفوتي، مجلة دراسات افريقية الصادرة عن المركز الاسلامي الإفريقي، السودان، ع الأول، افريل 1985م، ص 142.

سنة 1833م استقر بدولة البرنو[1] عند الشيخ محمد الأمين الكانيمي[2] ثلاث سنوات واختلف معه[3]، فغادر برنو إلى سوكوتو وأقام بها سبع سنوات لدى سلطانها محمد بيلو بن الشيخ عثمان بن فودي، وتزوج ابنته الأميرة عائشة، وعندما توفى السلطان بيلو سنة1837م[4]، غادرها إلى ماسينا عند الأمير احمدو لوبو ومكث بها مدة، ثم انتقل إلى سيغو فلم يرحب به أميرها بل طرده، فرجع إلى منطقة كانكان بفوتاجالون وأسس بها رباطاً قضى به سبع سنوات يعلم ويرشد وينشر مبادئ الطريقة التيجانية، وانطوى تحت لواءه أنصار كثيرون آمنوا بدعوته وطريقته التيجانية، وتسلحوا بالأسلحة الحديثة التي كانت يشترونها من الأوروبيين[5].

أسس الحاج عمر قاعدة عسكرية في مدينة دانقير سنة 1849م[6] فحصنها وأعد جيشاً مسلحاً بالأسلحة النارية والبنادق الحديثة التي اشتراها من الأوروبيين، ثم أعلن منها الجهاد في سبيل الله ضد الإمارات الوثنية فغزا كارتا والمناطق المحيطة بها وأخضعها سنة 1854م، وسرعان ما شعر الفرنسيون بخطر المشروع العمري فحرموا بيع الأسلحة لأنصاره في جميع المحطات التجارية التابعة لهم، وبعد عدة معارك حامية الوطيس مع الحاميات الفرنسية خاصة في أعالي السنغال وعدم تكافؤ الفرص

---

[1] تدعى مملكة الكانم برنو، وتقع كانم شمال شرقي بحيرة التشاد تمتد من النيجر غرباً الوادي شرقاً وجزء من بلاد الهوسا، وتوسعت حدودها بعد دخول الإسلام إليها منطقة جنوب غرب بحيرة التشاد أو ما يعرف ببلاد برنو وقد دخلها الإسلام مبكراً في القرن الأول الهجري ، وتشمل ما يسمى بالسودان الأوسط أو دولة التشاد حالياً، وامتدت هذه المملكة من (479-1262هـ/1086-1846م). للمزيد ينظر: محمود شاكر: التشاد، وزارة المعارف للمملكة العربية السعودية، 1972م، ص38. ،وأيضاًMaurice Delafoss :Les noir L Afrique , Edition Payot ,paris,1941,p100

[2] ولد بفزان شمال شرق ليبيا تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل الأزهر والعواصم الإسلامية فوسع معارفه وتضلع في العلوم الإسلامية ، ثم اتجه نحو بحيرة التشاد في منطقة برنو ليقوم بحركة إصلاحية ، ثم تمكن من افتكاك السلطة لنفسه دون إراقة للدماء وكان ذلك سنة 1242هـ-1826م وبنى لنفسه عاصمة جديدة (كوكيا) للمزيد، ينظر: محمد سعيد القشاط: أعلام من الصحراء، دار الملتقى، بيروت لبنان، 1997، ص153. وأيضا: أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص1810.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص137.

[4] محمد الحافظ التيجاني: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب افريقيا، مطبعة الزاوية التيجانية ، مصر، 1383هـ، ص ص12-13.

[5] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص137.

[6] عبد الله عبد الرزاق ابراهيم: اضواء على الطرق الصوفية، مكتبة مدبولي، 1989م، ص68.

بينها وبين الحاج عمر ارتأى هذا الأخير مهادنة القوات الفرنسية سنة 1859م لاعتبارات تكتيكية[1]، والتوجه نحو الشرق لإسقاط أمارة سيغو الوثنية وتمكن من ذلك سنة 1861م، غير أن توسعه نحو أعالي نهر النيجر جعله يصطدم بإمارة ماسينا الإسلامية حليفة سيغو وبالشيخ أحمد البكاي القادري زعيم قبيلة كنته[2]، وتمكن من إسقاط إمارة ماسينا سنة1862، ودخل في مواجهة مباشرة مع الشيخ أحمد البكاي الذي تمكن من محاصرته في مدينة "حمد الله" عاصمة ماسينا وعلى أثر ذلك توفي الحاج عمر سنة 1864م قبل أن يكمل بناء دولته الإسلامية، وكان قدر هذا الزعيم الإسلامي أن يستشهد في خضم الصراع الصوفي القادري التيجاني وليس على يد القوات الفرنسية[3].

لقد استطاع الحاج عمر بث دعوته ونشر الإسلام بين القبائل الوثنية بمختلف طوائفها، ومكن للطريقة التيجانية في منطقة السودان الغربي فانتشرت مبادئها ولقيت استجابة في النفوس السكان[4]، واستطاعت الطريقة التيجانية أن تلعب دورا مهما في المجالين الروحي والسياسي خلال النصف الثاني من القرن التاسع وان تكتسب مكانة مرموقة في نفوس الأفارقة، ولعل دورها الجهادي ومقارعتها للاستعمار أكسبها سمعة كبيرة في غرب إفريقيا[5].

ويمكننا أن نلاحظ مما سبق أن الخالق المبدع سبحانه وتعالى حبا هذه البقعة من الأرض الكثير من مقومات التقدم والازدهار، فإلى جانب السهول الخصبة والإمطار الغزيرة نجد شبكة هيدروغرافية كبيرة تتمثل في الأنهار والبحيرات التي شكلت عامل استقطاب بشري ساهم في الرقي الحضاري للمنطقة.

[1] يحي ولد البراء: المرجع السابق، ص140.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص400.

[3] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص 138.

[4] أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص341.

[5] محمد الامين شرويك : الطريقة التيجانية ودورها في المجتمعات الإفريقية الإسلامية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015، ص160.

تقاسمت مختلف القبائل والافخاد في منطقة السودان الغربي السيطرة والنفوذ والأدوار الحضارية، إلا أن هناك قبائل تميزت عن غيرها في هذا المجال بما قامت به من جهود وما بدلته من تضحيات في نشر الإسلام وترسيخ معتقداته في ساكنة المنطقة، ولعل أبرزها العنصر الفلاني الذي كان له الدور الأبرز في النهضة الحضارية التي شهدتها المنطقة خاصة خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

بالرغم من أن مملكة ماسينا تأسست خلال القرن الخامس عشر الميلادي، إلا أنها عجزت عن القيام بدور حضاري يخلد ذكرها، وذلك بسبب قوة الممالك الإسلامية والقبائل الوثنية المتاخمة لها، لذلك لم تنعم بالأمن والاستقرار مما عطل دورها الحضاري، الذي سينبعث بولادة إمارة ماسينا الإسلامية بقيادة احمدو لوبو بعد أفول تلك الممالك.

كانت منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي عبارة عن خلية عمل متواصل من خلال النشاط الذؤوب الذي قامت به الحركات الإصلاحية الفلانية، حيث قامت بنشر الإسلام في أوساط المجتمعات الوثنية وأسست دولاً وقارعت الاستعمار الغربي، كما يعد ظهور الشيخ احمدو لوبو في منطقة ماسينا بداية لمرحلة جديدة في تاريخ الإسلام في المنطقة، إذ أسهم في إحياء العقيدة الإسلامية وبعثها من جديد من خلال جهوده الإصلاحية لإقامة دولة إسلامية تضاهي دولة الشيخ عثمان بن فودي في منطقة الهوسا.

الفصل الثاني: الشيخ أحمدو لوبو (حياته وجهاده)

- أولاً: مـــولده ونشـــأته
- ثانياً: ثانياً: صفاته الخَلقية والخُلقية
- ثالثاً: مراحل جهاد الشيخ أحمدو لوبو

انتشر الدين الإسلامي في ربوع واسعة من القارة الإفريقية، لم يقتصر على شمالها بل تجاوزها إلى ما وراء الصحراء الكبرى، وتغلغل في نفوس سكانها، وبُنيت دول وممالك إسلامية على أنقاض الإمارات الوثنية التي كانت قائمة هناك، كما عرفت هذه المنطقة خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي حركات إصلاحية فُلانية أحدثت تحولا جذريا ومنعطفا حاسما في توجيه المجتمعات الإفريقية في منطقة السودان الغربي بما أحدثته من ثورة دينية وفكرية واجتماعية وسياسية قاد خطاها علماء مقتدرون ودعاة مخلصون أسهموا في نشر الإسلام بين المجتمعات الوثنية وتمكنوا من تأسيس دول إسلامية ما زال التاريخ يشهد على عظمتها وشموخها كالتي قادها الشيخ أحمدو لوبو في منطقة ماسينا القرن التاسع عشر الميلادي، وسنحاول في هذا الفصل التعريف بالشيخ أحمدو لوبو مع ذكر بعض صفاته الخلقية والخلقية، و الوقوف على مراحل جهاده السلمية والعسكرية.

أولاً: الشيخ أحمدو لوبو مولده ونشأته

1- مولـده ونشأته:

أ- مـولده ونسبه:

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعيد بن الحاج بن مودي بن حم نقارك بن هارون بن موسى بن أبّ بن جاجي بن محمود بن بوبكر مودو(أي الكبير) القاضي الإمام بفوتاتور[1]، ينتمي الشيخ إلى عشيرة "باري" أحدى عشائر الفلان التي نزحت من فوتاتور إلى منحى نهر النيجر مع الهجرات الفلانية المتلاحقة، واشتهر أجداده بين علماء الفلان بالتقوى والورع، وكان والده يدعى ألفا محمد بن أبي بكر بن سعيد عرف بورعه وتقواه وكان دائم التنقل و الترحال[2]، ويعرف الشيخ أحمدو

[1] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص4. للمزيد ينظر: الملحق رقم7.

[2] عبد الله عبد الرازق: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر، نشر معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1983، ص74.

عند الفلانيين بآمادو حمادي بوبو، أو آمادو لوبو، أو آمادو بري أو سيكو آمادو، ولعل أشهرها أحمدو لوبو أو أحمدو لُبُ(لبو) أو الشيخ احمد الماسيني[1].

ولد أحمدو (لوبو) سنة 1189هـ الموافق 1775م في قرية ملنغال الواقعة على بعد حوالي 20كيلومتر شمال مدينة تننغو في منطقة ماسينا(ماسن)، وأمه تسمى فاطمة الفاغور غطاط من قرية تمور بإقليم سبرا،[2] وكان والده قد استقر في تلك القرية بعد نزوحه من إقليم فِتُّغَ الذي هاجر إليه جده السابع بعد عملية القتل الجماعي الذي تعرضت له قبيلة فوينا في منطقة ورونغيا موطنها الأصلي، على يد أحد ملوك البمبارا حيث تنبأ كاهنهم بظهور مولود من تلك العشيرة يكون سبباً في نهاية ملكهم في ماسينا، وتشير الروايات أنه هو الشخص المتنبأ به لكن احتياطات ملوك البمبارا وحذرهم لم تغن عنهم من الله شيئا[3].

والملاحظ أن هذه التنبؤات و البشارات هي عبارة عن إرهاصات تسهم بدور كبير في نشر الثقة بالشيخ والتفاف الناس حوله، وقد تكررت هذه البشارات مع الشيخ عثمان إذ يقول أبنه محمد بيلو ما روي عن أم هانئ الصالحة الفولبية أنها قالت:" يظهر في هذا القطر السوداني ولي من أولياء الله، يجدد الدين، ويحي السنة، ويقيم الملة، ويتبعه الموفقون، ويشتهر في الآفاق ذكره، ويقتدي العام

[1] كلمة آمادو بالفلانية تعني أحمد، أما لوبو تعني الجميل وقيل تعني الرمح أي احمد الجميل أو أحمد الرمح باللغة الفلانية، وبري Ahmadouفرع من فروع القبائل الفلانية التي ينتمي إليها الشيخ احمد، وهجاءات هذا الاسم باللاتينية: Boubou/Ahmadou Lobbo/Sèkou Ahmado ويقع أحيانا خلط بين هذه الشخصيات في تاريخ الإسلام ببلاد السودان الغربي، مثل ابنه وحفيده اسمهما احمد، وكذلك شيخو أحمدو بن الحاج عمر تال، وقد عاش هؤلاء في فترة زمنية واحدة مما يزيد في فرص الخلط بين أسمائهم وتواريخهم، ينظر علي يعقوب: حياة الشيخ أحمد حمدي لبو ودولته الاسلامية في ماسينا، مجلة قراءات إفريقية، ع08، المنتدى الاسلامي، الخرطوم السودان، 1432هـ/2011م، ص5، وينظر أيضا Maurice,delafosse, Op, Cit p 232.

[2] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص4.

[3] Ba Amadou Ampate et Daget,Jacques : L empir peul du Macina(1818-1853) Editions de Hautes en Sciences Sociales, Paris, 1975, p15.

والخاص بأمره، ويشتهر المنتسبون إليه بالجماعة، ومن علامتهم أنهم لا يعتنون برعي البقر كعادة الفلاتيين، ومن أدرك ذلك الزمان فليتبعه.[1]"

ب– نشـــأته :

توفي والده بعد سنتين من ولادته فكفله جدُّهُ لأمه الشيخ ألفا غورو الساكن في قرية تونمورا، فقام بتربيته تربية إسلامية صحيحة، حيث شرع في تلقينه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومبادئ اللغة العربية وعلم الحساب، وكان يأخذه بالشدة ويراه بطيئاً في تصرفاته وفي حركاته ولم يكن بطأ أحمدو إلا رغبة منه في إتقان عمله، وكان ألفا غور يمازح حفيده وينناديه:" يا كسلان "غير أن هذا الحفيد كان مولعاً بالتأمل والتفكر الدائم في جميع حركاته[2].

ولما بلغ السابعة من عمره أرسله جدُّهُ إلى صديقه العالم التقي الحازم الشيخ ألفا حمابرك سنغري (ألفا حَمَّ) من قرية" لردي بال" مكث عنده أربع سنوات الطلب وبعد وفاته انتقل إلى الشيخ القاضي "ألفا سمبا حمدي بما" في قرية "تيديري كالي"، وعنده أتم حفظ القرءان الكريم وعمره أثنا عشر سنة[3]، ولم تشر الروايات إلى المدة التي قضاها عند هذا الشيخ، لكن نجده ينتقل بعده إلى شيخ آخر يدعى "ألمامي سُنُ" في قرية سونو وتعمق عند هذا الشيخ في الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن واللغة، ومكث عند هذا الشيخ ما لا يقل عن عشر سنوات، كان يمتهن خلالها حرفة الرعي لتوفير حاجياته الأساسية وتسديد مصاريف الدراسة دون الاتكال على أحد، وخلال هذه الفترة تزوج من ابنة خاله "أدي" وهو في الثامنة عشر من عمره[4].

[1] محمد بيلو: المصدر السابق، ص57

[2] محمد بن على فييريج: المصدر السابق، ص4.

[3] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص5.

[4] Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p16.

وفي هذا الجو المفعم بالجدية والعمل في التحصيل العلمي والانتقال من شيخ إلى شيخ تمكن من ناصية العلوم الإسلامية في الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية وآدابها وعلم الفلك والنجوم، ولم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره، غير أن شغفه العلمي لم يقنعه بالزاد اليسير من العلم، فقرر الالتحاق بمدينة " جني" لحضور حلقاتها العلمية ومجالسة علمائها والارتشاف من معينهم.

توجه أحمدو لوبو إلى مدينة "جني" برفقة تلاميذه الصغار وقطعان أبقاره ومواشيه التي كان يصطحبها معه للاعتماد عليها في معاشه هو وتلاميذه، صوناً لكرامته وحفظاً لماء وجهه من أن يراق في سبيل لقمة العيش، وحط الرحال في قرية "رُنْدي سِرُ" القريبة من "جني" فأصبح يدّرس التلاميذ في الليل، ويغدو صباحاً إلى المدينة لأخذ العلم من علمائها وكبار مشائخها[1].

2- مؤثرات التفكير الإصلاحي للشيخ أحمدو لوبو:

أ- الرحلات العلمية:

وخلال رحلته العلمية التقى الشيخ أحمدو لوبو بالعديد من العلماء والزهاد ظهرت بصمتهم واضحة في صقل شخصيته العلمية والدينية، ويعتبر الشيخ"كبرا فرما "من أهم الشخصيات التي التقى بها في مدينة جني، فكان هذا الشيخ عالماً زاهداً متصوفاً متواضعاً من أتباع الطريقة القادرية، وقد أعجبه من أحمدو شفافيته وبساطته وحبه للعلم فاهتم به وقربه إليه، فكان مواظباً على دروسه ويصلى معه الصلوات الخمس في المسجد الجامع بمدينة جني، وهناك التقى بطالبين عزيزين سيكون لهما دوراً كبيراً في تأسيس إمارة ماسينا الإسلامية وهما الشيخ عثمان بوبكر سنكري والشيخ ألفا حامد سيسي[2].

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص83.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص302.

وبعد أن توطدت العلاقة بين أحمدو لوبو والشيخ" كبرا فرما" أعاره كتابا حول الشيخ عبد القادر الجيلاني[1] وطريقته في التصوف، وطلب منه قراءته بتمعن وتمحيص والرجوع إليه في كل ما أشكل عليه، وبعد قراءة الكتاب والتمعن في أفكاره ومعانيه، قرر أحمدو ضرورة إعادة النظر في قائمة أولوياته المشوشة، وعقد العزم على تكريس وقته لتطبيق التعاليم والإرشادات الروحية الواردة في الكتاب، والتي كانت تدعوا إلى الزهد والتقشف والابتعاد عن ملذات الدنيا وزخارفها، وأخذ النفس بالمشقة وفطمها عن الملذات، ومحاولة صقل الروح و تخليتها من الشوائب والكدورات وتزكيتها بمكارم الأخلاق بالإكثار من النوافل والقربات حتى تصل إلى سموها الروحي[2] وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3].

وكانت نفس أحمدو لوبو تركن إلى الإكثار من قيام الليل باعتباره دأب الصالحين وتجارة المؤمنين وعمل الفائزين[4]، ففي الليل يخلوا المؤمنون بربهم فيشكون إليه أحوالهم ويسألونه من فضله ويزدادون قرباً من مولاهم وخالقهم فيصلون بذلك إلى درجة القرب والوصال، وذلك مصداقاً لقولهﷺفي الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة–رضي الله عنه –: ((إن الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويداه التي يبطش بها ورجلاه التي يمشي بها وإن سألني لا أعطينه وإن استعاذني لأعيذنه))[5].

---

[1] الشيخ عبد القادر الجيلاني: هو الإمام العالم أبو محمد عبد القادر الجيلي الحنبلي ولد سنة 471هـ بجيلان بالعراق، يعد من كبار رجال التصوف ومؤسس الطريقة القادرية توفى سنة 56هـ، له عدة مؤلفات منها: الفتح الرباني، الغنية، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية وغيرها. ينظر، عبد الجليل عبد السلام: السفينة القادرية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002، ص ص5 –6.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p17.

[3] سورة الرعد: الآية 28.

[4] Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p17.

[5] الإمام البخاري(أبي عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، الحديث رقم 6502،كتاب الرقاق الباب:38، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1419هـ/1998م، ص ص243-244.

ولإتمام نموه الروحي انتقل إلى تنبكتو عند شيخها الشيخ المختار الكنتي وابنه الشيخ محمد الخليفة[1] ،ومكث هناك ثلاث سنوات في خدمة شيخه وأخذ عنه الورد القادري، وعن ذلك قال الشيخ احمد البكاي الكنتي:" فقد كان الشيخ احمد يتعلم على أبي وأبنه على أخي..."، وقد لقبه الشيخ محمد الخليفة الكنتي بالسميدع[2] النحرير في جواب له على مجموعة من الأسئلة إذ يقول له:" وقد وردت علينا من لدنك أيها الأمير السميدع النحرير مسائل مفيدة التحصيل"[3]، ثم رجع إلى مسقط رأسه سنة 1809م شيخاً صوفياً ومقدماً للطريقة القادرية في منطقة ماسينا، وقد توطدت علاقته بالزاوية الكنتية فكان يرجع إليهم في كل ما أشكل عليه من الأمور الدينية والسياسية[4].

وبعد وصول أحمدو إلى درجة إيمانية متقدمة زاهداً في متاع الدنيا مبتعداً عن ملذاتها، كان بإمكانه أن يعيش حياة هادئة يقصده الناس لقضاء حوائجهم على شاكلة بعض المتصوفة، غير أن روحه المتقدة أبت عليه أن لا يعيش حياة الانعزال، فقرر القيام بجولات علمية وروحية في المنطقة الواقعة في منحى نهر النيجر لاكتشاف العالم والتعرف على طبائع الناس والأهم من ذلك التعرف على العلماء والصالحين والاستفادة منهم والاستعانة بأفكارهم وتجاربهم[5].

[1] الشيخ محمد بن المختار الكنتي :ولد سنة 1765م بمنطقة الأزواد لقب بالخليفة، تلقى تعليمه على يد والده فنبغ في شتى العلوم مما جعل والده يعتمد عليه في التدريس والإفتاء وحل النزاعات بين الأفراد والجماعات، وبعد وفاة والده سنة 1811م خلفه في القيادة العامة الدينية والسياسية والتربوية للطريقة القادرية الكنتية، وتوفي رحمه الله سنة 1826م، وخلف ثروة علمية تزيد عن خمسين كتابا في شتى العلوم منها: الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد وإرشاد السالك إلى أقوم المسالك والأجوبة الفقهية والأجوبة الفلانية وغيرها، وللمزيد ينظر: فردوس حناني: محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جامعة وهران الجزائر، رمضان 1437هـ/جوان2016م، ص ص487-488.

[2] معنى السميدع بالفتح الكريم السيد الجميل الجسيم الموطأ الأكناف، وقيل هو الشجاع. للمزيد، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله على الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، بدون سنة، ص2090.

[3] آدب ولد سيد أمحمد: المرجع السابق، ص ص191-192.

[4] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص447.

[5] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص304.

ويشير بعض المؤرخين إلى أنه وصل في رحلته إلى سوكوتو عاصمة الخلافة الفودية وجاهد مع الشيخ عثمان ضد الوثنيين وقد نصبه أميراً على منطقة ماسينا[1]، غير أن أوثق كُتَّاب تاريخ هذه الإمارة لم يشيروا إلى هذا الأمر ولم يتطرقوا إليه ويعتبرون ذلك من المغالطات التاريخية التي وقع فيها المؤرخين الأجانب عن المنطقة، ومن أهم المصادر التي نفت هذا الخبر كتاب" إمبراطورية ماسينا " للكاتب المالي امادو همباتي، حتى تلميذه محمد بن على فييريج الذي ألف كتاباً حول مناقب شيخه لم يشر إلى ذلك، بالإضافة إلى "إنفاق الميسور" للشيخ محمد بيلو ابن الشيخ عثمان الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا ذكرها في ما يخص الجهاد في منطقة الهوسا،كما أن الروايات الشفوية ذات قيمة كبيرة في تاريخ المنطقة لم تتطرق إلى شيء من هذا القبيل، كما أن الشيخ يرو أسكلا[2] الذي سجل العديد من الدروس الشفوية في ذكر مناقب أحمدو لوبو وفتوحاته لم يتحدث عن ذلك[3]، لكن يبقى تأثير الجهاد الفودي على الماسنيين ملموساً بسبب القرب الجغرافي والانتماء العرقي.

ب- عوامل التفكير الإصلاحي:

1- العامل الاجتماعي: كان الوضع في منطقة ماسينا مترديا، فالظلم منتشرا في المجتمع والضرائب تفرض على الناس بلا هوادة، واعتمد الحكام والولاة على جيوشهم لإخضاع المجتمع الذي لا حول له ولا قوة، فقد كانت المنطقة تحت مضلة الحكام الفلانيين الجائرين والمغاربة (الأرما)[4] الفاسدين والملوك الوثنيين الغاصبين، وانقسم الشعب إلى سادة وعبيد، فالسادة عمادهم الظلم والإرهاب وجباية الضرائب، بينما أفراد الشعب سواء كانوا رعاة أو مزارعين فقد عانوا من الضرائب الباهظة التي كانت

[1] حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1407 هـ/1987م، ص377.

[2] يرو أسكلا :مؤرخ تقليدي في ماسينا له اسطوانات مسموعة بلغة الفولان "الفولفودية " تتحدث عن حياة و مناقب أحمدو لوبو وحروبه، يوجد البعض منها على شبكة الانترنت.

[3] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص87.

[4] هم سلالة هجينة نتيجة تزاوج الجيش السعدي المغربي مع السودانيات غلبت عليهم اللغة السنغائية انقطعت صلتهم بالدولة السعدية منذ 1660م، وحكموا تنبكتو وما جاورها من(1660-1780) حافظوا على نظام حكم الباشوات، ولا تعتبر هذه الفترة من الحكم المغربي في تاريخ تنبكتو.للمزيد ينظر: عبد القادر زبادية: الحضارة العربية...، المرجع السابق، ص158.

تثقل كاهلهم، الأمر الذي انعكس على المنطقة فانعدم الأمن والاستقرار وانتشرت الفوضى في المنطقة[1].

2-العامل الديني: انتشر الإسلام في المنطقة بفضل الممالك الإسلامية التي تعاقبت عليها، على الرغم من بقاء بعض جيوب الوثنية وبعض العادات القديمة المنتشرة، مما أدى إلى اختلاط الوثنية بالإسلام، وانقسم المجتمع إلى ثلاثة أقسام كما وصف الشيخ عثمان بن فودي مجتمعه في منطقة الهوسا، ولعل نفس الشاكلة نجدها في منطقة ماسينا، فقد قال الشيخ عثمان في كتابه (نور الألباب): " اعلم يا أخي أن الناس في هذه البلاد على ثلاثة أقسام:

الأول: قسم منهم يعمل أعمال الإسلام، ولا يظهر منه شيء من أعمال الكفر، ولا يسمع من قوله مما يناقض الإسلام، فهؤلاء مسلمون قطعاً تجري عليهم أحكام الإسلام.

الثاني: قسم مخلِّط، يعمل أعمال الإسلام، ويظهر منه أعمال الكفر أو يسمع من قوله ما يناقض الإسلام، فهؤلاء كافرون قطعاً لا تجري عليهم أحكام الإسلام.

الثالث:قسم منهم ما شمّ رائحة الإسلام قطّ ولا يدّعيه، فهؤلاء لا يلتبس حكمهم على أحد"[2]

ويبدو مما سبق أن الحالة الاجتماعية والدينية والسياسية كانت في مرحلة الانحطاط الأمر الذي هيأ الجو للمشروع الإصلاحي الذي قاده الشيخ أحمدو لوبو.

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص ص617-618.

[2] عثمان بن فودي: نور الألباب أو نور الألباب في ذكر الأمور التي عمت البلوى بها في بلاد الحوس (مخطوط)، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 240، ص3. وينظر أيضا: محمد المنصور إبراهيم: تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب، مركز الصحابة، نيجيريا، 1433 هـ/2012م، ص19.

ج- الأسس المرجعية للإصلاح عند الشيخ أحمدو لوبو:

كان الهدف من الدعوة الإصلاحية للشيخ أحمدو لوبو هو العودة بالمنطقة إلى منابع الإسلام الصافية، وتصحيح العقيدة الإسلامية وتطهيرها مما علق بها من أدران البدع والخرافات، ونشر الإسلام بين القبائل الوثنية، وإقامة مجتمع إسلامي متكامل يؤمن بالإسلام عقيدة وعبادة ومنهج حياة، واعتمد الشيخ في مشروعه الإصلاحي على الأسس والمرجعيات التالية:

1-المرجعية القرآنية: لكونه المصدر الأول للتشريع الإسلامي، فقد اتخذه الشيخ أحمدو المرجع الأول لمشروعه الإصلاحي، ويظهر هذا الاهتمام بالقرآن الكريم لأنه حفظه وضبط أحكامه منذ صغره، وانبرى إلى تعليمه وهو لا يزال في مرحلة الطلب فكان التعليم القرآني اللبنة الأولى في مشروعه الإصلاحي.

2-المرجعية السنية: هي المصدر الثاني في التشريع الإسلامي والمرتبة الثانية في التسلسل الإصلاحي الماسيني، فقد درس الحديث عند العديد من العلماء أمثال الشيخ "ألفا سمبا حمدي بما" والشيخ" كبرا فرما"، ويظهر هذا الاهتمام بالأحاديث النبوية من خلال كتابه (الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء ما اندرس من السنن) فقد استدل بالعديد من الأحاديث النبوية لإثبات الحجة وإقامة البرهان[1].

3-المذهب المالكي والطريقة القادرية: انبرى الشيخ تحت لواء المذهب المالكي المنتشر في المنطقة ، وأخذ أوراد الطريقة القادرية التي أدخلها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي إلى المنطقة وعملت قبيلة كنته على نشرها حتى أصبحت تدعى بالطريقة الكنتية البكائية، وأخذ الورد القادري على الشيخ سيدي المختار الكنتي وتتلمذ على يده وعلى يد ابنه الشيخ محمد الخليفة الكنتي ومكث هناك ثلاث

[1] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص5.

سنوات حتى أصبح مقدماً في الطريقة القادرية في منطقة ماسينا وذلك سنة 1809م[1]، لذلك كان الشيخ مريداً مطيعاً للكنتين بالرغم من بعض الوشائج التي ستعكر صفو الود بينهما.

ثانيا: جوانب من شخصية الشيخ أحمدو لوبو

أ- الصفات الخَلقية والخلقية للشيخ أحمدو لوبو :

كان الشيخ برونزي اللون، عالي الجبهة، مستقيم الأنف، وسيماً نحيلاً، أليفاً حيياً، ربعة لا بالطويل المشتهر ولا بالقصير المحتقر، يرسل شعر رأسه ويحافظ عليه تأسياً بالرسول ﷺ وكان يتعمم بعمامة على نحو ما أثر على الرسول ﷺ ويفضل عند الجلوس التمايل يسرة ويمينا أو خلفا و أماماً، وكان كثير جلوسه القرفصاء، وزهداً في حطام الدنيا بل أن جميع ملابسه من عمامة ورداء وقميص و إزار ونعل لا يساوي سبعة دنانير مع ما أعطاه الله من خزائن الأرض، ويقول تلميذه محمد بن علي فيريج: "ورأيته مراراً مضطجعا في المسجد ويده وإزاره تحت رأسه يعلم الناس فيجيء الرجل فيجلس إليه ثم الأخر كأنه أحدهم فيقوم وأثر الحصباء على جنبه، وكان لا يأكل إلا مثل ما يأكل ضعيف الناس قلة وخشونة وكان يقول الجوع انفع لي من الشبع فإذا شبعت آنسُ في جسدي ألماً "[2].

أما عن علمه فقد فاز بعلوم الظاهر والباطن، وكان رحمه الله لا يقرأ علوم الظاهر إلا استخرج منها علم الآخرة لاسيما التفسير والحديث النبوي الشريف لما احتوى عليه باطنه من خوف الله تعالى، ومراقبته لسلوكه وعدم التفاته لزخارف الدنيا فكأنه يشاهد الآخرة بين يديه، وإذا قرأ علوم الظاهر أرجعها كلها علوما باطنة إذ صدق فيه قول الله تعالى:﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]، وقد حبب إليه قيام الليل بالذكر والمناجاة، ويستعين بالقيلولة على قيام الليل، وقد

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص447.

[2] محمد بن علي فيريج: المصدر السابق، ص31.

[3] سورة البقرة: الآية 282.

عوتب يوما في قلة نومه فقال:" مالي وللنوم إن نمت نهاراً ضاعت الرعية وإن نمت ليلاً ضيعت نفسي فكيف بالنوم معهما" وكان رحمه الله إذا قام للصلاة أصبح كأنه عودا مقطوع للخشوع الذي يعتريه[1].

كما عرف بقوة شخصيته وهدوء طبعه، ولين جانبه ولا يتشبث برأيه، كان كلامه موزونا ومدعما في كثير من الأحيان بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكان بارعا في أقناع جالسيه لسعة علمه وقوة اطلاعه ومعرفته بالواقع المعاش، صابرا على النقاش لا يصخب فيه ولا يغضب مُلماً بأساليب الحوار والمناظرة، ولا يفتح بابا إلا بعد أن يكون واثقا من أن الحق بجانبه وقادر على إقناع الآخر به بشكل جيد[2].

ومن أقواله الشيخ أحمدو لوبو:"من جُني عليه فليغفر ومن قُوطع فليصل ومن أُسيء إليه فليحسن ومن اعتدي عليه فليتأول لأخيه أحسن المحامل" وكان يقول:"ما كنت أظن أن بالغاً يكذب في كلامه" ومن كلامه:"لولا معاشرة أهل العلم لا نقلب أمرنا هذا ملكاً فعضوا عليه بالنواجذ" ومن أقواله :" إذا دخل العبد العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله حتى يفارق تلك الزينة " وكان رضي الله عنه يقول :" من خاف الله لم يشف غيظه، ومن اتقاه لم يضيع ما يريبه" نستشف من هذه الأقوال أن الرجل كان من أهل الله الصديقين لان هذا الكلام لا يخرج إلا من رجل وصل إلى درجة كبيرة من التقوى والخوف من الله سبحانه وتعالى[3].

ومن الدلائل التي تذل على علو كعبه وقيمته بين قومه وتلاميذه ومحبيه ما مدح به من أشعار في حياته وبعد مماته ونذكر منها ما مدحه به الشيخ المختار بن وديعة الله في نونيته :

أقول قول صدق وصدقه بائنا وعن ســـواه صراط الحق مـــا بانا

هذا الجواب هــو الحـق المبين ونهجــه القـــــويم الـــــذي تبيانا

[1] محمد بن علي فيريج: المصدر السابق، ص31.

[2] نوح عيسى سيدبي: المرجع السابق، ص ص100-101.

[3] محمد بن علي فيريج: المصدر السابق، ص33.

لا اعدم الله إسلامـــا وملته حياتكـم تظهـرون الـــــــدين أزمانا

واسم الخليفة محصور عليك فكا نت في سواك من أهل العصر بهتنا

أنت الإمام الذي مازالت تطلعه تهـــــدي إلى النهج الميمون عميانا

أنت الخليفة حقا ليس ينكر ذا إلا الـــــذي لم يزل بالجهل سكرانا[1]

تزوج الشيخ أحمدو لوبو زوجة واحدة وهي "أدي" أبنت خاله التي تزوجها في مرحلة الدراسة، وقد أنجبت له آمنة وأحمد وعبد الله ومحمود وحامد، ولم يتزوج عليها حتى توفي أخوه ابوبكر، فتزوج أرملته كما تقتضيه تقاليد الفلان وأنجب منها عبد السلام[2].

أما عن الجواري والإماء فلم يحفظ التاريخ سوي واحدة منهن هي "ولحوري" كانت حافظة لكتاب الله ومسؤولة عن مكتبته الخاصة وعن طعامه، ولم يكن له عبيد، وكان عندما يحصل عليهم كغنائم في الحرب يعتقهم بعد إسلامهم، وكثيرا ما يسند إليهم بعضهم الوظائف في الدولة إذا صدق إسلامهم وأظهروا حسن طويتهم للدين.

كان الشيخ يمتلك فرسا واحدا في تنقلاته ورحلاته، ويربي الحيوانات الأليفة، وكان يمتلك الأسلحة المتعارف عليها ولكنه لا يحملها إلا في حالة الخوف والضرورة ، ولم يكن له حاجبا ولا حارسا خاصا، بل بقي كأي فرد من المسلمين مثله مثل بقية أعضاء المجلس الشورى، وغيرهم من أمراء الأقاليم وقادة الجيوش لم يكن لأحد منهم حارس ولا حاجب[3].

كما كان الشيخ زاهدا متواضعا لا يأكل إلا من عمل يده ولم تكن له أرض خاصة إلا في موضعين، أحدهما يدعى " توغري كويني" والثاني موقع مدينة "حمد الله" التي أهداها إليه غيلاجو

[1] محمد بن علي فيريج: المصدر السابق، ص37.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص365.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p p53-55.

أمير كوناري، وكان يحصل على حاجته من الحبوب من ابن عمه " حمبركي سمتات" الذي كان مزارعا كبيرا، وكان يقوم شخصيا بزراعة بعض المحاصيل في أرضه "توغري كويني" التي يشرف عليها تلاميذه[1]،كما كان يفتل الحبال يصنع منها عقال للأبقار والخيول التي تباع في الأسواق لتلبية حاجياته الأسرية، لأنه كان حريصا ألا يدخل في جوفه أكل من حرام، ولا يأكل حتى يجوع، وقد أخبر عن ذلك تلميذه محمد بن علي بقوله:" كان لا يأكل إلا إذا بلغ من الجوع مبلغا تحل له الميتة فيه" مع أن بيت المال في يده ولكن خوفه من الخالق منع يده أن تصل إلى مخازن بيت المال المسلمين، حتى أنه أمر مولاته "ولحوري" أن لا تستخدم في بيته شيئا لم يعطها إياه يدا بيد وذلك حرصا منه أن لا يدخل في جوفه أو إلى بيته شيئا من حرام[2].

ب– مدة إمارته :

يقال إن التاريخ ليس أعمى فهو يعرف من يكتب، فلا يكتب إلا العظماء الذين كانت لهم بصمة في هذه الحياة ولقد منح الله هذا الشيخ ما لم يوهب لغيره من العظماء إذ تمكن من قطف ثماره اليانعة من الشجرة التي غرسها بيده وربّها بتوجيهاته، فقد أكرمه الله برؤية نتيجة كفاحه في الدنيا قبل الآخرة، ومكث في الإمارة ثمانية وعشرون سنة، حقق خلالها طموحاته وآماله وما كانت تصبو إليه نفسه من برامج إصلاحية بنى بها للإسلام مجدا في المنطقة، وشيد خلالها دولة إسلامية قوية متماسكة مرهوبة الجانب وافرة الحظ[3].

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص365.

[2] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص8.

[3] علي عثمان سنكري: علي عثمان سنكري: تعليم العلوم الشرعية في ماسنة الواقع والآفاق، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية، معهد ابن عباس للدراسات الإسلامية، مالي، 1435هـ/2014م، ص16.

ج- وفاته :

انتقل الشيخ إلى رحمة ربه صبيحة يوم الجمعة 12ربيع الأول 1261هـ الموافق21مارس 1845م، عن عمر يناهز واحداً وسبعين عاماً[1]، قضى منها أربعون سنة في الجهاد في سبيل الله ولم الشتات وجمع الكلمة، وقد شرفه الله بالوفاة يوم الجمعة وهو سيد الأيام في الإسلام، وفي يوم مولد سيد الانام ﷺ ولهذا اليوم مكانة خاصة في قلوب المسلمين، وقد ترك بموته ثلمة في الإسلام لا تسد أو كما قال رسول الله ﷺ: ((إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة))[2] فكيف برجل جمع بين العلم والجهاد في سبيل الله وسعى لنشر دين الله و إقامة شريعته في أرضه، فترك بموته فراغاً كبيراً وشرخاً عميقاً فكثرت مراثيه التي عددت صفاته ونوهت إلى نبل أخلاقه ومن بينها ما نظمه تلميذه محمد بن علي صاحب كتاب فتح الصمد إذ يقول :

حق البكاء بدم كالودق منسجم لفقد من فاق في علم وفي كـــرم

وفي جهـاد وفي حـلم وفي ورع وفي تصرف أمـــوال إلى الأمم

وفي صلاة وفي إنفاق أرمـــلة وفي حياء وفي تأمين ذي رحـم

وفي لزوم كتاب الله والحديث معا بلا سئـــام وفي صدق وفي همم

أعني به أحمـدا من نجـل سيدنا محمد بن أبي بكـر ذوي الحـرم

بحر العلوم ونبراس الهداية محمود المسامـع والهمـام المـاجد القـــرم

حياته الـزهد والإخلاص ملبسه وقـوته الـذكر لم يسأم ولم ينـــم

[1] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص41.

[2] أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الرومي الحنفي: نجاح القاري لصحيح البخاري،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2021م، ص266.

والعفو شيمته والتسليم حـــرفته وكـفه أبدا في الجـود والكـــرم

يا سيد العلماء يا أعدل الأمراء ياباسط الكف للأعراب والعجم[1]

د- بعض وصاياه الاخيرة :

وقد أوصى في آخر حياته ببعض الوصايا منها:

- أن يتولى الشيخ " ألفا نوح الطاهر" عميد مجلس الشورى، غسله وتكفينه والصلاة عليه، وأن يتزوج أرملته "أدي" من بعده.

- أن يدفن في المكان الذي يموت فيه.

- أن يدفن أبنه أحمد والشيخ ألفا نوح طاهر إلى جانبه بعد موتهما[2].

وعرضت هذه الوصايا على المجلس الشوري ووافق عليها نزولا عند رغبة الشيخ واخبر الشعب بها[3].

هـ- بعض المغالطات التاريخية التي لحقت بأحمدو لوبو:

نجح الشيخ أحمدو لوبو بمشروعه الإصلاحي من إقامة دولة إسلامية طبقت الشريعة الإسلامية وحافظت على الهوية الإفريقية، غير أنه لم يسلم تاريخه الحافل من بعض المغالطات نحاول إزاحة اللثام عنها ومحاولة تصحيحها:

الأولى:ما ورد انه تلقب بأمير المؤمنين بعد أن استتب له الأمر، حيث أورد بعضهم ما نصه:" ولما اشتد نفوذ الداعية(إي الشيخ) وشعر بقوة الدعوة وتمكنها من النفوس حمل لقب أمير المؤمنين"[4] وسار على شاكلته العديد من المؤرخين الأجانب عن المنطقة، وتفنيد ذلك انه لم يرد في مراسلات

[1] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص41.

[2] ينظر: الملحقين رقم 5-6.

[3] نوح عيسى سيدبي: المرجع السابق، ص104.

[4] احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص203.

الشيخ احمد ما يشير إلى انه كان يتلقب بأمير المؤمنين، بل كان الجميع ينادونه سيكو(الشيخ) وهذا اللقب لم يكن من ابتداعه الشخصي ولا من أتباعه بل سماه به عليه الشيخ عثمان بن فودي، أما هو فكان يتسمى باسمه واسم أبيه المجردين إذ يقول في استهلال كتابه الاضطرار :" قال العبد الفقير إلى الله الغني: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن سعيد غفر الله له ولوالديه ولأتباعه ولجميع أمة الإجابة آمين..."[1] ضف إلى ذلك أن تلميذه محمد بن علي فييريج سماه بالشيخ احمد في عنوان كتابه الذي ذكرناه آنفاً، كما أن الشيخ محمد الخليفة الكنتي ذكره في رسالته " أوثق عرى الاعتصام " بقوله:" أخينا في الله الحق الداعي إلى تحلية الحقيقة بالحق الشيخ احمد بن محمد نضر الله أيامه ونصر أعلامه"[2]، غير أننا نجد في بعض رسائله لقب أمير المؤمنين منها:" بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فرد السلام بتمامه من الشيخ أمير المؤمنين أحمد بن محمد إلى الأخ الناصح في الله إن شاء الله أحمد بن حمى الله"[3].

الثانية: كونه ادعى المهدية والانتساب إلى البيت النبوي الشريف، وهذه أخطر من الأولى، فقد أورد بعضهم قوله:" ولكن أحمدو لوبو لم يقنع بأن يكون داعية عادياً، بل أدعى الانتساب إلى البيت النبوي، ثم أدعى المهدية"[4].

أما إدعاءه المهدية فأمر جلل وخطير على الشيخ في حدداته وعلى مساره الإصلاحي، فقد أشار إلى ذلك بعض المؤرخين الأجانب عن المنطقة معتبرين بان الشيخ ادعى بأنه آخر الأئمة الإثني عشر وهو الخليفة المجدد المنتظر في القرن الثالث عشر للهجرة[5]، وذلك انطلاقا من أثر للرسول ﷺ أنه سيأتي بعده اثنا عشر خليفة ثم يعم فساد يؤذن بقيام الساعة، وقد ذكر ذلك الإمام السيوطي في

[1] أحمد بن محمد بن ابي بكر الماسيني: الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء ما اندرس من السنن، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج ابوبكر صو، بامكو مالي، 1998، ص10.

[2] محمد فرقاني: المرجع السابق، ص21.

[3] يحي ولد البراء: المصدر السابق، المجلد الأول، ص137.

[4] احمد شلبي: المرجع السابق، ص230.

[5] عبد الله عبد الرزاق: احمدو لوبو...، المرجع السابق، ص74.

كتابه " تاريخ الخلفاء" وعدد عشر منهم وقال: " بقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت النبي ﷺ[1]، وقالوا أن الأئمة كلهم ظهروا بالمشرق، وأن الشيخ أحمدو لوبو هو آخر الخلفاء الاثني عشر[2].

واتهم الرجل الثاني في إمارة ماسينا ألفا نوح بن الطاهر الفولاني بتحريف تاريخ الفتاش، ودس فيه رسالة سماها (رسالة في ظهور الخليفة الثاني عشر) وأكد فيها ظهور الخليفة المجدد في القرن الثالث عشر الهجري وأن الشيخ أحمدو لوبو هو الخليفة الثاني عشر الذي بشر به الرسولﷺ قبل ظهور المهدي المنتظر، وأن الأسكيا الحاج محمد ملك سنغاي هو الخليفة الحادي عشر،[3] ويقول ألفا نوح بن الطاهر أن الأسكيا الحاج محمد وقد اجمع على ذلك علماء عصره كالشيخ السيوطي والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وشمهروش الجني ومولاى العباس أمير مكة، وأن الشيخ أحمدو لوبو هو وريثه الروحي[4].

وهذا كلام غريب ويزداد غرابة أن يصدر من ألفا نوح بن الطاهر، ولعل الدواعي التي جعلته يجنح إلى هذا الاختلاق أن الشيح أحمدو لوبو كان يعاني من صراع فكري وخاصة من علماء جني الذين وصفوه بقلة العلم، فأراد ألفا نوح بن الطاهر أن يزرع له مكانة روحية في سكان المنطقة يتغلب بها على الطاعنين في أحقيته بالإمارة [5].

وعلى أية حال فان الباحث في تاريخ الإمارة نوح عيسى سيدبي ينفى هذا الكلام على الشيخ أحمدو لوبو ويرى أنه شخصية غير مغمورة حتى تلفق حولها كل هذه المغالطات، وسلسلة نسبه

[1] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1423هـ/2003م، ص ص14-15.

[2] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص609.

[3] محمود كعت: المصدر السابق، ص ص55-56.

[4] Mauro Nobili: Sultan, Caliph, and th Renewer of the Fatih Ahmad Lobbo, the Tarikh al-fattash and the Making of an Islamic State in West Africa, university of Illinois, Urbana-champaign, university printing House, Cambridge, United Kingdom, 2020, p81.

[5] محمود كعت: المصدر السابق، ص57.

معروفة ومشهورة بين عشائر الفلان منذ نزوح أجداده من فوتا تور إلى منطقة ماسينا، ولازال أحفاده موجودين في منطقة ماسينا إلى اليوم[1].

ومهما يكن من الأمر فإن حكاية المهدية فكرة دخيلة على تاريخ الرجل وعلى مشروعه الإصلاحي وهي فكرة شيعية أكثر منها سنية،كما أن المد الشيعي لم يتسرب إلى المنطقة حتى تنتشر هذه الأفكار، بل حافظت هذه المنطقة على مذهبها السني ومنهجها الصوفي، وعليه فان كل هذه الأفكار التي ذكرناها سالفا جاءت من خارج المنطقة، ولم تذكرها المصادر والمراجع المحلية، ضف إلى ذلك أن التاريخ الذي نتحدث عنه ليس ببعيد حتى تحاك حوله الأساطير، بل هو تاريخ حديث تفصلنا عنه الحقبة الاستعمارية فقط.

ثالثا: مراحل جهاد الشيخ أحمدو لوبو

1- مرحلة الجهاد السلمي:

أ-مرحلة الدعوة الفردية :

لما أكمل الشيخ دراسته في مدينة جني رجع إلى قرية تسمى "رودي"، بدأ يعظ الناس وينذرهم ويدعوهم إلى التمسك بالسنة النبوية الشريفة ونبذ الشرك والبدع والخرافات، راغباً في إصلاح البلاد والعباد، مستنهضاً الهمم الفاترة والقلوب الغافلة والرجوع بالإسلام إلى منابعه الصافية وإخراجه من قالب الطقوس التقليدية الخاوية، وكان مجتمعه يعج بالفساد وبالعادات السيئة المخالفة للشريعة الإسلامية وسكوت العلماء عنها، بحيث لم يبق للإسلام وجود إلا في بعض العبادات كالصلاة، دون أن يكون له حضور في المسائل المصيرية الكبرى للأمة كحال الأمة اليوم[2].

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص107.

[2] علي يعقوب: حياة الشيخ...، المرجع السابق، ص6.

وبعد عودته من رحلته في المنطقة انطلق في مرحلته الدعوية شرع يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحاول التحبب إليهم والتعرف عليهم واستعطافهم وإقناعهم بفكرته الوحيدة المتمثلة في ضرورة التغيير، ولا يتأتى هذا الأمر إلا إذا أنطلق من دواتهم وأنسته عقولهم[1]، ويبدو أن الشيخ قد تأثر بالتيارات الفكرية الإصلاحية في المنطقة خاصة حركة الشيخ عثمان بن فودي وأخاه عبد الله[2].

ب- نقطة التحول الكبرى في الدعوة :

كان الشيخ أحمدو لوبو يرتب نفسه للقيام بالدور الإصلاحي الذي يغير المنطقة ويرجعها إلى أحضان الإسلام الصحيح، بيد أنه كان متردداً ولم تتضح له الصورة بكل تفاصيلها، إلى أن حدثت حادثة أدت به إلى الخروج من طور المتردد الغامض إلى طور العازم الصادق، وتتلخص هذه الحادثة في رؤيا منامية رآها هو وزميله في الدراسة عثمان بوبكر سنكري من مكانين مختلفين في ليلة واحدة وبالكيفية نفسها، دون أن يعلم أحدهما بالآخر، وفحوى هذه الرؤيا أن كل واحد منهما رأى أصنام دولة سيغو تتحطم وجيوش البمبارا بكامل عدتها وعتادها تنهزم أمام حفنة صغيرة من الفرسان المسلمين مع هاتف رباني يقول:" لقد سطع النور الأزلي إن دولة إلهية سَتُأسسُ في منحنى نهر النيجر"[3].

وقد جاءت هذه الرؤيا واضحة جلية لم يشك أحد منهما في إمكانية تحقيقها، وأصبح الأهم من ذلك عند كل منهما من هو الشخص الذي سيقع عليه الاصطفاء الرباني للقيام بهذه المهمة الثقيلة وفي صباح الرؤيا هرع أحمدو من قرية روندى سيرو وعثمان من قرية نغيمو صوب قرية غمتوغو حيث يقيم الشيخ إسماعيل جاكتي المشهور بتعبير الرؤى في المنطقة، وكان عثمان هو السباق في الوصول إلى الشيخ الجليل، وقد فوجيء بأن الشيخ المعبر على علم بالرؤيا، وازداد ذهوله لما اخبره بأن الشيخ أحمدو رأى الرؤيا نفسها بكل تفاصيلها في نفس الليلة وأنه في طريقه الآن إليهم لمعرفة

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص86 -87.

[2] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص168.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p19.

الشخص الذي يضطلع بهذه المهمة العظيمة، ثم أخبره بأن الله سبحانه وتعالى لم يختره إلى هذه المهمة رغم كثرة علمه وصلاحه وإنما أختار لها أحمدو لوبو وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأمره أن يعود لمقابلة أحمدو في الطريق وأن يبايعه على الكتاب والسنة، وأن يخبره بأنه هو الآخر(أي الشيخ إسماعيل) يبايعه على ذلك[1].

وفي طريق عودته التقى عثمان بأحمدو لوبو في مكان قرب مدينة جني يدعى" توغري سيتي" في طريقه لمقابلة الشيخ إسماعيل جاكتي المعبر، ولم يكن ذهوله بأقل من ذهول عثمان لما فوجيء بأن هذا الأخير على علم بالرؤيا ليس هو فقط بل حتى الشيخ المعبر واخبره بكل ما جرى بينهما وأنه هو الشخص المعني بهذا الهاتف الرباني[2].

وبعد سماعه هذه الكلمات وعلم بأنه هو الشخص المؤهل لتحمل هذه المهمة العظيمة، تبدد التردد في نفسه ووجد ثقة كبيرة في القيام بهذه المهمة الإصلاحية التي كان يتشوف إليها لتغيير الأوضاع في المنطقة، فأمر صديقه عثمان بالرجوع إلى قريته نغيمو بعد أن أخذ منه البيعة على السمع والطاعة وأمره بالقيام بما يلي:

– البدء ببث روح الإخاء والمحبة والتسامح بين أفراد المجتمع لان هذا هو أول عمل قام به النبي ﷺ حينما هاجر إلى المدينة وقبل أن يؤسس دولته الميمونة، لأن المجتمع الذي لا تسوده المحبة والإخاء والتعاون لا يمكن أن ينطلق نحو البناء والتقدم والاستقرار.

– الرغبة في إصلاح الجوانب السياسة وإقامة دولة على الأسس الإسلامية الصحيحة، لأن الدولة في الإسلام هي رسالة سماوية عالمية تسعى لبسط العدل بين الناس ونشر قيمه النبيلة لتحقيق الأمن والرخاء[3].

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص307.

[2] Ba Amadou et Daget :Op, Cit,p p 19 -20

[3] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص308.

وبعد هذه الإشارات رأى أحمدو أن الأمر أصبح اخطر وأكبر من أن يقحم فيه نفسه دون الحصول على أذن سماوي واضح يكفل له النجاح، لأن إقامة دولة إسلامية تحكم بشرع الله في المنطقة سيواجه الكثير من العقبات والعراقيل وستراق دماء وتزهق أرواح، وهو ليس مستعد لتحمل كل هذه التبعات أمام الله لمجرد رؤيا منامية مهما كانت درجة صدقها، ولزيادة الاحتياط والتثبت قرر أحمدو لوبو أن يختلي بربه وبنفسه ليرتب أفكاره ويكمل استعداداته الروحية والنفسية، قبل أن يقرر أي شيء، فاختلى خلوة روحية[1] لمدة أربعة أشهر كاملة متواصلة منقطعا عن العالم الخارجي[2].

ونلاحظ مما سبق أن هذه الرؤيا المنامية ما هي الإرهاصات غيبية تهيأ القبيلة إلى ظهور الشيخ أحمدو لوبو كمصلح ديني واجتماعي وتمهد الطريق له في قلوب الناس، وخاصة أنه خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر انتشرت الأفكار التجديدية بين القبائل الفلانية، التي كانت تأمل في ظهور عالم مصلح يجدد لها دينها وينتشلها من براثين الوثنية.

كما أن للرؤيا المنامية أهمية بالغة في الإسلام فقد روى أبو هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال:((إذا اقْتَرَبَ الزَّمانُ لَمْ تَكَدْ تَكْذِبُ رُؤْيا المؤْمِنِ، ورُؤْيا المؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[3]. ويستفيد الكثير من الصالحين ممن ألهمهم الله القدرة على تعبيرها في استشفاف المستقبل والتنبؤ

[1] تعتبر الخلوة عملاً محبباً للسادة الصوفية فهي بمثابة تغذية روحية للمريد يحقق فيها قفزة كبيرة في تنوير قلبه وصفاء فكره وجودة قراراته، فهي مرحلة من مراحل التربية ولازمة من لوازم الطريق إلى الله ولها شروط وآداب، وقال السهروردي:" الدليل على الخلوات الصوفية هو ما رواه البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه" وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة –رضي الله عنها – فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال:إقرأ "ويقول السهروردي : فهذا الحديث المنبئ عن بدء رسول الله ﷺ هو الأصل في إيثار المشائخ الخلوة للمريد من الطالبين فإنهم إذا أخلصوا لله تعالى خلواتهم يفتح الله عليهم بما يؤنسهم في خلواتهم تعويضاً من الله تعالى إياهم". للمزيد ينظر:الحاج عمر بن سعيد الفوتي: رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، دار التجاني، الجزائر، 2009م، ص417.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص90.

[3] الإمام البخاري(أبي عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، رقم الحديث 7017، حديث صحيح، كتاب التعبير، دار بن كثير، دمشق بيروت،1423هـ/2002م، ص1738.

بالكثير من الحوادث التي لم تقع، وكان هذا الأمر معروفاً ومتبعاً منذ عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا.

ج- الدعوة الجهرية:

وما إن خرج أحمدو لوبو من خلوته الطويلة وحصل له الاطمئنان الروحي والنفسي بأنه يسير في الاتجاه الصحيح، قرر الذهاب إلى جده ألفا غورو وأخبره بالأمر، غير أن هذا الأخير طلب منه إحضار عثمان ليسمع منه الرؤيا وتفسيرها، وعندما حضر عثمان وقص عليه رؤياه، أخذ منهما العهد أن لا يتصرف أحدٌ منهما بمفرده دون إخبار الآخر، وشدد الوعيد على الشيخ أحمدو أن لا يتصرف تصرفاً غير عادل مع عثمان أو أحد من أفراد أسرته، وبمباركة أسرتيهما عقد تحالف بينهما على التعاون والتعاضد في كل المواقف مهما كانت الظروف[1].

وخلال خلوته كان صديقه الشيخ عثمان قد حقق شيئا من النجاح في أقناع أهل قريته والقرى المجاورة بالمشاركة في هذا المشروع الإصلاحي تحت إمرة الشيخ أحمدو لوبو، فكان الجو مهيئاً لاستقبال هذا الحدث خاصة عند فولاني منطقة ماسينا، فقد كانوا يترقبون هذا الأمر ويتحينونه منذ أمد بعيد، لذلك بادروا في أعطاء البيعة والولاء منذ اللحظات الأولى، أما الشيخ عثمان فقد تمكن من جمع وجهاء قبائل الفلان في المنطقة وكان عددهم ستة وأقنعهم بضرورة الاتحاد لإقامة دولة إسلامية في المنطقة،وقرروا مبايعة الشيخ أحمدو لوبو ومساعدته نيابة عن مجموعاتهم في تأسيس هذه الإمارة الإسلامية المنشودة[2].

وعلى أثر ذلك تم توزيع الأدوار والشروع في العمل الجاد بدون كلل ولا ملل، وغدا أتباع الفكرة الجديدة يتكاثرون يوماً بعد يوم، وكونوا خلايا سرية في أماكن كثيرة تتحرك بدقة وانتظام

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص309-310.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p p 20-21

وخاصة في إقليم "ماسينا" و"سيبيرا" و"جني"، حيث كان ينتقل الشيخ أحمدو مع تلاميذه بين هذه المناطق[1].

د- الجهاد ضد جماعة الديكو:

بعد أن خضعت منطقة ماسينا لإمارة سيغو الوثنية ورضي حكامها بدفع الجزية لملوكها سنة 1784م في عهد يورو سيلغما، وتواصل خضوع الفلانيين في عهد ياغالو(1789-1801م) وخلفه أردو حمدي ديكو(1801-1818م) خضوعاً تاماً لملوك سيغو[2]، فجمعوا الضرائب من مناطق الفولان، وأصبحت لهم السيادة على قبائل الفلان، وانضموا إلى جيش سيغو وتزاوجوا مع قبائل الديارا الوثنية بالرغم من اعتناق بعضهم الإسلام الذي لم يحترموا شعائره ولم يطبقوا شرائعه، فكانوا يغيرون على القبائل ويجبون الضرائب وخاصة على بني جلدتهم الفلانيين مما ولد الكراهية العامة ضدهم[3].

ولما انتشرت دعوته الإصلاحية بفضل جهده وإخلاصه وكثر أتباعه ومؤيدوه، أدى ذلك غضب أمراء ماسينا الفولانيون " أرَينَى"[4] وخاصة كبيرهم "أردو حمدي ديكو"[5] الذي بعث رسولاً إلى الشيخ أحمدو لوبو يأمره بالخروج من أرض "ماسينا" فوراً، فأذعن الشيخ إلى طلبه وأمر تلاميذه وأتباعه بالخروج، وذهب معهم إلى إقليم "سيبيرا" لكن بعد سنة رجع إلى ماسينا مع جماعته إلى نفس المكان الذي كان فيه لمواصلة نشر دعوته الإصلاحية[6].

---

[1] محمد علي فييريج: المصدر السابق، ص5. للمزيد ينظر الملحق رقم1.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص446.

[3] عبد الله عبد الرازق: احمدو لوبو...، المرجع السابق، ص73.

[4] أريني: مفرده أردو من اللغة الفلانية وتعني أبطال الأمة الفلانية وقد تحالف هؤلاء مع سلاطين البمبارا الوثنيين في سيغو

[5] أردو حمدي ديكو أونغورور أو غطاطو: آخر حاكم فلاني على منطقة ماسينا من قبيلة ديالو موالي لمملكة سيغو الوثنية حكم (1801-1818م)، ينظر: عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص446.

[6] محمد علي فييريج: المصدر السابق، ص ص5-6.

وعندما سمع "أردو حمدي ديكو" بعودته ذهب إليه بنفسه وقال له:" ألم أطلب منك أن تخرج من بلادي منذ سنة؟ فأجابه الشيخ قائلاً: حسبما بلغني طلبت مني أن أخرج منها، وقد خرجت في حينه ولم تطلب مني أن لا ارجع إليها لذلك رجعت بعد سنة"، فلما أمعن أردو حمدي ديكو النظر إليه وإلى جوابه كلَّمَهُ بكلام فيه غلظة وقال له أسمع قولي جيداً يا أحمدو لوبو: " أعلم أن بلادي ماسينا ستبقى دائما تحت سيطرتنا نحن الارامطة ليست لنا آذاناً تسمع قولك ولا ألسنة تلبي دعوتك، وأنصحك أن تخرج من بلادي ماسينا بسرعة وتذهب إلى "جنيز"(جني) وهنالك ربما ستجد آذاناً صاغية لك"[1].

هـ– انتقاله إلى مدينة جني

انتقل الشيخ مع جماعته إلى "جني" في غابة تدعى" روندي سرو" قريبة جداً من المدينة، وبقي الشيخ ينتقل بين جني وسيبيرا مستمراً في دعوته الإصلاحية ووعظه للناس، كما كان يتردد على مدينة جني ويلاحظ بعض التصرفات الدينية المليئة بالبدع والخرافات والتي سكت عنها علماؤها، فكان ينكرها مرة بقلبه وأحياناً بلسانه، وأتباعه يزدادون يوما بعد يوم، وخبر دعوته ينتقل من منطقة إلى أخرى[2]، ثم بدأت المواجهة بينه وبين الأمراء الفلانيين الذين تجبروا وصاروا يعدّون كل من في أرض ماسينا عبداً لهم، يأخذون أموالهم قهراً وجبراً، وكل من أنكر عليهم يهدرون دمه، ويسيئون معاملة الشيخ وأتباعه وطلابه، ولما كثر الإيذاء من الأمراء الفلانيين، امتنع الشيخ من إرسال الجزية التي كانت ترسل إلى حكام سيغو[3].

ثم قرر الشيخ أحمدو لوبو أن يرتفع بسقف العمل إلى أفق أعلى وأرحب، فبدأ بمحاربة بعض العادات السلبية المتبعة في مسجد جني كتقسيم الصفوف في المسجد على أساس طبقي، بحيث

[1] محمد بن على فييريج: المصدر السابق، ص6.
[2] نفسه، ص ص4-6.
[3] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص6.

يكون لكل شخص مقام معلوم لا يمكن له أن يتجاوزه، وكان الشيخ أحمدو يجد نفسه دائماً في الصف الثالث على حسب مكانته الاجتماعية.

وفي يوم من الأيام ترك الشيخ أحمدو مكانه في الصف الثالث وتقدم إلى الصف الثاني، وفي اليوم التالي تقدم إلى الصف الأول ووقف في المكان المخصص للمؤذن، وبعد الصلاة اجتمع وجهاء المسجد الذين أجمعوا على أن هذا التصرف غير لائق ويجب وضع حد له حتى لا يتسرب إلى جميع المصلين الآخرين[1].

وتم استدعاء الشيخ أحمدو في جلسة خاصة لم تتح له الفرصة لتبرير تصرفاته أو إبداء رأيه، وبعد معاتبته قرروا حرمانه من ارتياد المسجد بصفة نهائية، فعاد إلى قريته "روندي سرو" وأعد مكاناً للصلاة مع تلاميذه، وهدأت الأوضاع فترة من الزمن، وعندما حلَّ الصيف بنى سقيفة يتقي بها حر الشمس، وتم تأويل ذلك من وجهاء جني بأنها خطوة نحو بناء مسجد ضرار لبث الفرقة بين أفراد المجتمع، وتدخل علماء المدينة وطلبوا من الحاكم هدم السقيفة، وكاد هذا التصرف أن يؤدي إلى مواجهة بالأسلحة البيضاء عندما رفض تلاميذه هدم السقيفة، إلا أنه تدخل وكفهم عن مواجهتهم[2].

وبعد هذه الأحداث أصبح الشيخ أحمدو حديث العام والخاص، فالبعض يستغرب من جرأته على علماء المسجد الجامع في جني التي لا يجرؤ على مثلها حتى سلاطين المنطقة وذلك لمكانتهم الاجتماعية والحظوة الكبيرة التي يتمتعون بها في قلوب العامة، والبعض منكر لها ويري فيها فتنة لا تؤول إلى خير، والأكثرية مشجع لها ومتعاطف معها ويرى فيها حق طالما سكت العلماء عنه[3].

ج- حادثة سوق سيماي:

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص92-93.
[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص311.
[3] نفسه، ص312.

زادت شعبية الشيخ وكثر أتباعه بفضل مواقفه وجرأته ورغبته في تغيير الوضع القائم، حتى أصبح طلابه لا يخافون من الحكام ولا يأبهون بهم، وخاصة أن الشيخ أحمدو يحمل فكرة الجهاد في سبيل الله وربى طلبته على هذه الفكرة، الأمر الذي أزعج علماء جني وحكام الديكو الذين كانوا يتحينون الفرصة للانقضاض عليه والقضاء على ثورته، وفي يوم من الأيام في سوق سيماي أحد أكبر أسواق المنطقة في قرية "ديراري" التي لا تبعد كثيراً عن مسكن الشيخ في قرية "روندي سرو" قرب مدينة جني، كان غيدادو ابن أردو حمدي ديكو حاكم ماسينا جالس في السوق فرأى بعض طلاب الشيخ بهيئتهم الحسنة منتشرين في أنحاء السوق، فاستشاط غضبا منهم وقال: "آه إن الطريقة التي يكثر بها سلطة شيخ روندي سيرو لا تعجبني قط ... ثم قال لأحد أتباعه :" اذهبوا وأحضروا هذا المتذلل وانزعوا عنه ثوبه الصوفي لأجلس عليه، لأنهم قد استكبروا في أنفسهم وبدأوا يعتون علينا عتوا كبيرا، وينشزون اليوم في ماسينا نشوزا ظاهراً، وأريد أن أُري أحمدو لوبو أنه مادام حي واحد من أسرة الديكو تحت وصاية الجاروين في سيغو، فلن يستطيع صاحب سبحة أو مزين لويحة أن يملك هذا البلد ولن نسمح لأي قبيلة أخرى أن يسمع لها صوت هنا."[1] وقال أيضا:" أريد أن يعرف أحمدو لوبو أنَّ دور المرابط يجب أن يكون في مباركة الزواج وغسل الموتى والعيش على حفنة من الطعام متسول هنا وهناك." وما انتهى من كلامه سارع أتباعه إلى طالب من طلاب الشيخ وخلعوا عنه ثوبه الجديد وجلس عليه غيدادو في السوق[2].

ولما فعل ذلك أخبر الطلابُ شيخهم بما حدث في السوق وبما قال غيدادو، فجمع الشيخ طلابه ومريديه وأبلغهم بقوله:" اعلموا إني كنت مستعدا من قبل لخوض غمار الجهاد في نهاية هذا العام، فأرى أن الله يريد أن يكون في بدايته، وأن الأعداء قد استفزوني وجرُّوني إلى القتال، فاعتدوا على طالبي و أخذوا منه ثوبه الجديد، ثم اخبروه إنهم إنما فعلوا ذلك لاستفزازي، وأنتم تعرفوا أن حكام الأردوا في ماسينا، وأسيادهم من بمبارا سيغو الوثنيين الكهان لا يريدون إلا إجبارنا على عبادة

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص448.

[2] Ba Amadou et Daget:Op, Cit,P 28.

أصنامهم وأوثانهم (المسماة كومو) من دون الله والموت أفضل لنا من ذلك... وقد قالوا إنهم موطنو هذه الدولة وأصحابها، وانه ستبقى بأيديهم حتى آخر حي منهم، مع أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده وقد قال الله في القرءان الكريم: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[1] و قال ايضاً: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[2]،وإن هذا الاعتداء الذي قام به الكفار في حقنا وضدنا، يجب أن لا يبقى غير منتقم منه(دون أخذ بالثأر)، فمن كان منكم أكثر إيمانا فليذهب إلى "غيدادو " ليبلغه ثلاث مرات في مجلس واحد، أن يرد علينا ثوبنا المأخوذ حالا، فإذا لم يرض فليطعنه بالرمح في ساعته"[3]

فانتدب لهذه المهمة الصعبة أحد طلابه المخلصين المدعو" علي غيدادو "[4] وأبلغه مقالة الشيخ، فرد " أردو غيدادو" بالسب والشتم وقال للطالب: (إليك عني أذهب إلى شيخك وقل له إني لا أستطيع أن أرد إليه ثوب تلميذه، ولكني سأبدله بزق خمر، واعرف أن هذا الكلام سيؤلمه ويغيظه ولكن غيظه ليس شيء في عيني، لأن الخمر أنما هو محرم في قرآنكم ولكن في عادات وتقاليد أسلافنا فليس هناك شيئا أفضل من الخمر" فوثب عليه الطالب الجسور وطعنه برمحه فأرداه قتيلا، فشاهد الطلبة المشهد فأثاروا الذعر في الناس ليلوذ صديقهم بالفرار، فانزلاق علي غيدادو في نهر سيماي وفر إلى الضفة الأخرى[5].

لما سمع أردو حمدي بمقتل ابنه بتلك الطريقة غاب عن نفسه وذُهل لكنه لم يستطع أن يمس الشيخ أحمدو بسوء، لأن الشيخ وقتها لم يكن ضعيفاً بحيث يمكن القضاء عليه بسهولة، نظراً لشعبيته

---

[1] سورة النحل: الآية 126.

[2] سورة البقرة: الآية 194.

[3] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص449.

[4] علي غيدادو: أحد أتباع الشيخ احمدو لوبو من قرية تاغا في منطقة سينيا ترك ثروة هائلة من الماشية والأراضي ليكرس نفسه لخدمة الشيخ والجهاد في سبيل الله. ينظر Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p 29

[5] Op, Cit,p 29.

الواسعة بين طلابه ومريديه الذين يعتقدون أن الجهاد في سبيل الله أسرع الطرق الى الجنة، لذلك أستنجد أمير ماسينا" أردو أحمد " بحلفائه من البمبارا الوثنيين في "سيغو" و"سارو"[1] وجيرانه من "بوبو"[2] ،وإخوانه من الفلان في "كوناري" وغيرها، وخاطبهم قائلا :" أطلب مساعدتكم لقد تجرأ مفتت الألواح على قتل ابني وإذا لم يعاقب على فعله، فسوف ينمو في أعين سكان هذا البلد وتسقط هيبتنا، والأسوأ من ذلك أنه سيجبرنا لاحقاً على الانحناء على الأرض مثل الحمير التي ترعى."[3].

د – مغادرته لمنطقة جني:

وأمام هذا الوضع اتضح لعلماء جني ووجهائها أن هذا الرجل الفوار أصبح يشكل خطراً على نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية، فسارعوا الى الحاكم يطلبون منه أبعاده عن منطقة جني، فصدرت الأوامر إلى الشيخ أحمدو بمغادرة " روندي سرو" والابتعاد عن منطقة جني نهائياً، بمعية تلاميذه وأتباعه ، لكنه طلب منهم مهلة يتمكن من خلالها إرجاع الأمانات إلى أصحابها، والبحث عن مهجر جديد ينتقل إليه بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت نتيجة أفكاره المخيفة لحكام المنطقة،فراسل أمير منطقة "سيبيرا" طالباً منه الإذن باللجوء إلى أرضه مع تلاميذه ومحبيه، وبفضل الله أبدى هذا الأمير موافقته على الطلب دون تردد، وتعهد له بإيوائه هو وجميع من معه، وكان هذا الطلب قبل حادثة سوق سيماي[4].

وأمام هذا الجو المشحون جدد أهل جني من الشيخ أحمدو مغادرة منطقتهم لأنهم لا يريدون أن يحصل سوء تفاهم بينهم وبين أمراء ماسينا وملك سيغو وحلفائه من الفولانيين، فعندئذ جدد الطلب عند أمير سيبيرا موضحاً له صعوبة الوضع الذي يعيش فيه هو وتلاميذه، ووافق الأمير مرة

[1] سارو: اسم منطقة قريبة من سيغو كان يحكمها ملوك من البمبارا. ينظر: نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص94.

[2] بوبو: قبيلة كانت لها مملكة صغيرة في المنطقة الى جانب ممالك بمبارا وفولبي. ينظر: نفسه.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p 29.

[4] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص312.

أخرى على انتقال الشيخ في أي وقت وتحت أي ظرف هو وجميع أتباعه إلى قرية "نوكوما" الواقعة ضمن أراضيه، ولم ينس الشيخ للأمير هذا الإحسان[1] الجميل[2].

لم تتوقع عشائر الديكو مثل هذا التحدي لسيادتهم من طرف الشيخ وأتباعه، ونظرا للقاعدة الشعبية التي يتمتع بها ضف إلى ذلك وقوف العديد من العلماء في صفه، لم يستطع حكام الديكو من مواجهته بل استعانوا بأسيادهم في مملكة سيغو البمبارية للقضاء على الشيخ الذي استفحل خطره ضدهم، وبما أن الشيخ لم يكن قادراً على حل المشكلة مع الديكو من وجهة النظر الشرعية لأنهم مسلمين ولان جوهر الخلاف بينهما حول قتل النفس، وعلى اثر ذلك راسل دولة الخلافة في سوكوتو للحصول على حل أو إرشاد من الشيخ عثمان، ولمنح حركته رمز التبعية لجهادهم حتى ينال تأييدهم، غير أن الأحداث تسارعت قبل عودة الرسولين وكانت موقعة نوكوما سنة 1818م[3].

ولا ريب أن التساؤل الذي يطرح نفسه هل كان الشيخ محقاً في قتل ابن الأمير من وجهة النظر الشرعية؟ والجواب على ذلك: أن الإسلام يأمر أن ترفع هذه القضايا إلى المحكمة الشرعية التي تتولى الفصل فيها، لكن أين هي المحكمة الشرعية التي سيلجأ إليها الشيخ أمام خصم هو الخصم وهو الحكم في نفس الوقت، أم كان للشيخ بديل آخر غير القتل، بعد أن تحمل طيش الأمير الصغير و أهانته المتكررة دون أن يردعه جازر أو يمنعه والده وشيوخ قبيلته، ثم نلاحظ أن الكل تحالف ضد الشيخ وأنصاره، فقد طردوه من ماسينا، ثم منعوه من الصلاة في مسجد جني، وهدموا سقيفته وفضل أن يصلي في وهج الشمس الحارقة بدل من إشعال نار الفتنة، ثم طلبوا منه مغادرة جني، فقبل ذلك دون مناكفة أو اعتراض، ومما يدل على أن"أرادو حمدي ديكو" كان متواطئاً مع ابنه في إلحاق الضرر

[1] بعد تأسيس الإمارة قام الشيخ أحمدو بإعفاء إقليم سيبيرا من ضريبتي "مورغو" و"كراط" التي كانت مفروضة على الأقاليم. ينظر: عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص349.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص94-95.

[3] حسن علي منيسي: دولة ماسينا الإسلامية 1818-1863م، رسالة دكتوراه، الفلسفة في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1999، ص ص28-29.

بالشيخ وأتباعه، فأنه لم يستفسر عن الحادثة أو حاول احتواء الوضع داخلياً، بل اتصل بحلفائه في سيغو للقضاء على الشيخ وحركته الصاعدة.

ولعل الأمر الذي يجعل القضية أكثر تعقيداً هو: هل المقتول مسلم أم كافر؟، ونستشف من خلال خطابه الأخير لطلبة الشيخ أنه لم يكن مسلم عندما قال لهم:" أن الخمر محرم في قرآنكم ولكن في عادات وتقاليد أسلافنا فليس هناك شيئا أفضل من الخمر[1]"، ويمكننا أن ندرج اعتقاده في التقسيم الذي وضعه الشيخ عثمان بن فودي للمنطقة كما ذكرنا آنفاً، فهو من الصنف الثاني المخلِّط الذي يسمع من قوله ما يناقض الإسلام، فهؤلاء كافرون قطعاً لا تجري عليهم أحكام الإسلام[2]، لكن رغم ذلك راسل الشيخ أحمدو لوبو الشيخ عثمان بن فودي يستفتيه في الحكم الشرعي من قتال الحكام الفلانيين وأتباعهم، لكن كان من الواجب على الشيخ أحمدو أن يستفتي قبل وقوع الحادثة .

2- الكفاح المسلح ونشأة الإمارة الإسلامية

أ- معركة نوكوما 1818م:

1- أسباب إعلان الجهاد المسلح:

كان الجهاد الذي أعلنه الشيخ أحمدو لوبو جزءاً من الجهود الرامية إلى إحياء الدين الإسلامي في منطقة السودان الغربي، ومن بين العوامل والمحفزات التي دفعت الشيخ إلى إعلان الجهاد ما يلي:

- شخصيته المتبرمة من واقعه المتردي مندفعة نحو التغيير الرافضة لما كان يعج به المجتمع من بدع وخرافات ويظهر ذلك جلياً في كتابه الوحيد الذي تركه " الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء ما اندرس من السنن" ولعل عنوان الكتاب يدل على ما كان يصبو إليه الشيخ من محاربة هذه البدع المنتشرة وإعادة الأمة إلى سلفها الصالح، إذ يقول في مطلعه بعد الحمدلة والصلاة

[1] Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p 29.

[2] عثمان بن فودي: المصدر السابق، ص3.

والسلام على أشرف المرسلين :" وبعد لما رأيت بعض البدع الشيطانية أو النفسية اشتُهر في أكثر السودان، بدوهم وحضرهم، حتى اتُخذ عبادةً، ضاق ذرعي بها لما علمتم أيها الأخوان من شؤم البدع ويكفيكم من شؤمها قوله عليه الصلاة والسلام :"كل بدعة ضلالة " وقوله عليه الصلاة والسلام : " اتبعوا ولا تبتدعوا وإنما أهلك من كان قبلكم بما ابتدعوا في دينهم وتركوا سنن أنبيائهم فضلوا و أضلوا"[1].

– سكوت العلماء عن الكثير من البدع وعدم إنكارها أو تغييرها وأشار الى ذلك في كتابه بقوله :" وإن ظهر مثل هذه البدع في البلاد يجب على العلماء إنكارها والعمل على تغييرها كما قال عليه الصلاة والسلام :" من رأي منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" حتى دعاني ذلك إلى الاستخارة في وضع نبذة منبهة على شيء منها وإن كنت لست أهلاً لذلك لجهلي وعدم عملي بما عملت، وبعد الاستخارة شرعت في ذلك مستعيناً بالفتاح العليم متوكلاً عليه ومفوضاً أمري إليه ومعتصماً به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[2].

– الانهيار السياسي والاجتماعي والروحي الذي كانت تعيشه منطقة ماسينا حيث سقطت الزعامات الفلانية المسلمة في براثن الممالك والدويلات الوثنية وخاصة مملكة البمبارا في سيغو، وذلك حرصاً منهم في حماية عروشهم المهلهلة، فانقلبت الآية وأصبحت الغلبة للوثنية على الإسلام وأصبح المسلمون يدفعون الضرائب للوثنيين، وطغت بعض الممارسات الوثنية في المجتمع الرعوي الفلاني المسلم اعتقاداً منهم أنها تحمي مواشيهم من الأوبئة والتلف، وأمام هذا الوضع المتردي كان هذا المشروع الإصلاحي لأحمدو لوبو محاولة لإعادة الموازين إلى نصابها و الخروج بالمسلمين من حالة الضعف والجهل إلى القوة والتمكين[3].

[1] أحمد بن محمد بن أبي بكر الماسيني: المصدر السابق، ص10.

[2] نفسه، ص ص10-11.

[3] عبد الرحمن ساكو حسين محمد: حركات تجديد الفكر الإسلامي بمنطقة الغرب الإفريقي، بدون دار نشر، القاهرة، 2019، ص45.

– الالتفاف الشعبي حول الحركة الإصلاحية الجديدة خاصة من قبائل الفلان التي وجدت في الشيخ المخلِّص الحقيقي من حالة الضعف والهوان الذي كانت تعانيه على أيدي ملوك البمبارا وأتباعهم الفلانيين (الديكو)[1] والأرما، واشمئزازهم من الضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الحكومات الوثنية الكافرة على الرعاة المسلمين مما أثقل كاهلهم وجعلهم في تبعية دائمة لهم، الأمر الذي اغضب الزعامات المحلية التي ناصبت الشيخ وحركته العداء بالرغم من سلميتها وعدم تعرضها المباشر لهم، لكن ما لبثوا أن تحالفوا ضده وأعلنوا الحرب عليه لاستئصال دعوته والقضاء عليها لأنها كانت تهدد عروشهم وتتحدى نفوذهم.

– الاضطراب والفوضى الذي كانت تشهده المنطقة، وخاصة بعد الغزو المغربي لمملكة صنغاي، فأصبحت المنطقة في حكم السيبة، وأدى ذلك إلى غياب قوة سياسية مهيمنة تحافظ على الأمن والاستقرار[2]، ويشير إلى ذلك الشيخ محمد الخليفة الكنتي بقوله:" فأذهبوا ريح بلاد الصنغانيين وأوهنوا دولة العلم بالبلاد السودانية وأظهروا الحيف في البلاد وشهروا السيف على العباد، وطبقوا البلدان بالخراب، ووضعوا الجزية والمكوس على الرقاب ، فضعفت دولة السودان ، وانحلت وأدبرت عمارته"[3].

– الشعور الإسلامي بأن هذا الدين هو الأسمى والأرقى من أي دين آخر، بغض النظر عما يمتلكه غير المسلم من ثروة وسلطة ونفوذ، ضف إلى ذلك المستوى التعليمي الذي تميز به المسلمون على غيرهم الأمر الذي يدفعهم إلى ضرورة أن تكون للقيادة الإسلامية الأفضلية والأسبقية في منطقة السودان الغربي.

[1] Victor Azarya :Traders Center in Massina Kong and Samoris Stat, The Internationl, Journal of African Historical Studies, Boston University African Studies Center,1980, p429.

[2] محمود كعت: المصدر السابق، ص ص49-50.

[3] محمد فرقاني: المرجع السابق، ص27.

– عدم إبداء الملوك الكفرة الاستعداد أو الرغبة في التخلي عن المعتقدات والعادات الوثنية، بل أضمروا العداء للمسلمين والتواطؤ المستمر عليهم، ومن مظاهر ذلك التواطؤ إغراء بعض المسلمين السدج واستدراجهم للتآمر ضد بني جلدتهم من المسلمين وإمدادهم بأدوات حربية لفرض سيطرتهم عليهم[1].

– اشمئزاز المسلمين من دفع الضرائب إلى الحكام الذين لا يحترمون الشريعة أو الوثنيين الذين يصنعون من تلك الأموال المحصلة أسلحة لتقوية دولتهم القائمة على الكفر والطغيان[2]، وقد فرض حكام سيغو جزية سنوية على الفلانيين ويتكفل حكام الديكو بجمعها، وقد قدرت بمائة غلام ومائة جارية ومائة فرس ذكر ومائة بغلة ومقداراً من الذهب وعدداً كثيراً من الأنعام، وفي نفس الوقت كانت مواشي الفولانيين طعمة سائغة لأمراء سيغو وحكام الديكو والأرما الذين كانوا يشنون غارات على مساكن الفولانيين يصادرون مواشيهم ويبطشون بهم[3].

إن ذلكم المشروع الإصلاحي الذي أزمع عليه الشيخ أحمدو لوبو في منطقة ماسينا كان مطلوباً،إذ أن المنطقة كانت مهلهلة ومفككة روحياً واجتماعياً وسياسياً واقتصاديا، إذ يشار لهذه الفترة في الأدبيات الماسينية بعصر الجاهلية، فكان هذا المشروع الإصلاحي التجديدي محاولة لإعادة المنطقة إلى حوزة الإسلام، وإخراج المسلمين من حالة الضعف و التشرذم إلى القوة والتمكين، كما أن المنطقة كانت تعيش حالة من الفوضى السياسية والأمنية جراء ما خلَّفهُ الغزو المغربي لمملكة سنغاي من سقوط وغياب قوى سياسية مهيمنة على المنطقة تحافظ على الأمن والاستقرار[4].

[1] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص ص45-46.

[2] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص172-173.

[3] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص618.

[4] محمود كعت: المصدر السابق، ص ص49-50.

2- معركة نوكوما:

انتقل الشيخ أحمدو إلى قرية "نوكوما" مع تلاميذه وأتباعه وشرعوا في إعداد العدة لمواجهة كل الظروف والتطورات وكان الشيخ أحمدو لا يرى إعلان الجهاد إلا بثلاثة شروط :

- أن يهجم العدو على المسلمين
- أن يكون عدد المسلمون على نصف عدد الكفار
- الإذن من الإمام الأكبر إن وجد

فأرسل لذلك رسولين إلى سكوتو يستشير ويستفتى الشيخ عثمان بن فودي في إعلان الجهاد في سبيل الله ضد حكام الديكو وأسيادهم حكام سيغو الوثنين الكفار وضد المسلمين العابثين بدينهم المؤيدين للكفار، فسأل هل يجوز قتالهم أولئك المسلمين؟ فأجابه الشيخ عثمان:" بأن جهاد أولئك المسلمين الفاسدين الزنادقة العابثين بالإسلام أولى من جهاد مطلق الكفار، لأن الكفار معروفون بطريقتهم الوحيدة، وأما المسلمون المبطلون فهم من بني جلدة المسلمين، ولكن أخلاقهم أخلاق الكفار تماماً، ويشجعون بقية أبناء المسلمين على الكفر والزندقة، فيستمرون في ارتكاب الجرائم و الأعمال الكفرية حتى يصبحوا في الأخير كفاراً مطلقين" وأرسل مع الرسالة راية (علم) وقال للشيخ أحمدو :" إن هذه الراية ستنتصر بإذن الله إذا أعطيتها إلى جنود مسلمين مؤمنين، من الذين يحبون الجنة والشهادة ويفضلونهما على الدنيا وما فيها"[1] لكن حاكم سيغو هاجمه قبل رجوع الرسولين وهما (بوكاري حمادي و حمادي ديولدي)[2].

وفي مدة وجيزة تجهزت خمسة جيوش بقيادات مختلفة ومن أماكن مختلفة لاستئصال من سموه بالمتسول الصغير مسود ألواح الخشب، الذي تسول له نفسه قلب الموازين في المنطقة وإعادة صياغتها

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص ص447-448.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p34.

على أسس وهمية من عنده، وقد استخف ملك سيغو بهذه الحركة واكتفى بان طلب من فرقة عسكرية كانت متجهة نحو إقليم جيمبالا في عملية أمنية، أن يقوم في طريقه بمعاقبة الشيخ وأنصاره[1].

وفي صبيحة يوم السبت 13جمادى الأولى 1233هـ الموافق 21مارس 1818م حدث أول صدام مسلح بين جيش سيغو البمبارية الوثنية وحلفائهم الفلانيين من جهة جيش أحمدو لوبو المكون من تلاميذه والمخلصين من أتباعه من جهة أخرى، وكان حامل راية المسلمين يوم ذاك "بوري هماسالا"(ابن عمة الشيخ) على رأس ثلاث مئة وثلاثة عشر رجل من خيار الرجال فجعل عددهم على عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام[2]، وقيل أن عددهم يقارب الألف في بداية المعركة، أما فلول المشركين فقد وصلت إلى حوالي مئة ألف[3].

ولأن الحرب خدعة فكر الشيخ في خطة حربية لم تكن جيوش سيغو تعرفها من قبل، حيث احضروا بعض الخرق وربطوها في قرون الأبقار مع القبس والاقصاب، وأشعلوا النار في تلك الخرق في أذيال البقر وقرونها ووجهوها لجيش سيغو، فرجعوا هاربين ظناً منهم أن الجن دخلت في تلك الأبقار بدعوة من الشيخ فنشزت وثارت، وبعد إن اختلط الحابل بالنابل تمكن طلبة الشيخ من قتل قائد الجيش الوثني " ديامو غوسري" مما اختل ميزان المعركة لصالح الشيخ وأنصاره[4].

واستمرت الحرب بينهم في معارك متقطعة وانتصر الشيخ في المعركة الأولى (21مارس1818م)، ثم في المعركة الثانية (02 افريل1818م) والثالثة في(12 ماي1818م)[5]، وقد تضاعف أتباع الشيخ بعد انتصاره في المعركة الأولى وخاصة من قبائل الفلان، كما أظهر تلاميذه وأتباعه ضروب من الاستبسال والشجاعة ما سجله لهم تاريخ المنطقة بأحرف من نور وتناقلته

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص680.
[2] محمد بن علي فييريج : المصدر السابق، ص7.
[3] علي عثمان سنكري: المرجع السابق، ص ص15-16.
[4] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص450.
[5] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص6.

الأجيال بفخر واعتزاز وكافأهم المولى عز وجل بالنصر المؤزر والتمكين في الأرض رغم قلة عددهم وعدتهم، وصدقت فيهم الآية الكريمة: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

هناك اختلاف بين المؤرخين حول البداية الزمنية لهذه الإمارة، إذ يشير بعضهم أنها تأسست سنة 1810م[2]، ويشير الأستاذ احمد شلبي أنها تأسست سنة 1813م[3]، وهناك من يرجح أنها قامت سنة 1815[4]، ويرى يحي ولد البراء أنها نشأت في 1816م[5]، غير أن الراجح أنها تأسست سنة 1818 وذلك ما يشير إليه محمد بن علي فييريج[6] تلميذ الشيخ أحمدو لوبو و أحد المقربين منه في كتابه فتح الصمد في ذكر مناقب شيخنا احمد، وكذلك المؤرخين المحليين أمثال امادو همباتي أو محمد جاكيتي وعلي يعقوب وغيرهم، غير أن هذا التضارب التاريخي راجع إلى الجهل بتاريخ المنطقة وعدم التمحيص في أخد المعلومة، وخاصة من المؤرخين الأجانب عن المنطقة سواء كانوا عرب أو أوروبيين.

ب- إقبال الناس للبيعة:

وبعدما هزم الله المشركين وأذلهم وأيد المؤمنين ونصرهم، تطايرت أنباء انتصار المسلمين في "نوكوما" وتناقلته الأسماع بسرعة كبيرة، إذ كيف يتأتى لحفنة من الفرسان جلهم من طلبة الشيخ وأتباعه قليلي العدة والعتاد والخبرة العسكرية، من إلحاق الهزيمة بجيش مملكة سيغو ذي العدة والعتاد

[1] سورة البقرة: الآية249.

[2] Tauxiere, Louis, Op, Cit, p 233.

[3] احمد شلبي: المرجع السابق، ص230.

[4] احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص205.

[5] يحي ولد البراء: المصدر السابق، المجلد الأول، ص137.

[6] تلميذ الشيخ احمد ومريده المطيع الذي عاشره ورافقه ونال ثقته، فكان الشيخ يسند إليه بعض أعماله الخاصة، كما كان عالما تقيا وكاتبا ماهرا، ألف كتاب"فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد" وانتهي من كتابته بعد خمسة و أربعين يوما من وفاة الشيخ احمد، وتناول فيه أخلاق الشيخ احمد الفعلية و القولية، فجمع فيه ما تسنى له جمعه من مشاهده هو بنفسه، أو ما كتب عنه من شعر الشعراء ومن مرثيات الذين رثوه بعد وفاته.

والخبرة العسكرية، إلى جانب حلفائها من الفولان، فكان بإمكان إي واحد من هذه الجيوش رمي الشيخ وطلبته في النهر من أول لقاء، لكن شاءت قدرة الله أن يتمكن من هزيمة هذه الجيوش مجتمعة[1].

كما أن هذا النصر لم يكن مرة واحدة حتى لا يتوهَّم أيُّ شخص أنها ضربة حظ صادفت الشيخ وأتباعه، بل إن النصر تكرر في أكثر من موقعة وفي فترات مختلفة وجبهات متعددة ، وكان السواد الأعظم من الناس في المنطقة يترقبون نتيجة المعركة حتى يتخذوا موقف من الشيخ وحركته، وبحدوث ما رأوا وسمعوا، أيقنوا أن هذا الرجل الذي استهان به الكثيرون ليس مجرد واعظ متطفل أو متسول حاذق ومحتال أو مسود ألواح الخشب كما وصفوه، بل أن الرجل يخفي وراءه الكثير من المفاجآت التي لا تخطر على بال، وأن هذا النصر المبين الذي حققه يعد مجرد بداية انطلاق مشروع أصلاحي إسلامي واسع النطاق سيقوم به هذا الرجل البسيط، الذي بات واضحاً أن قدر الله الغالب هو الذي ساقه إلى المنطقة لإخراجها من براثين الوثنية إلى نور الإيمان وسماحة الإسلام[2].

إذ كيف يتصور أن تنتصر مجموعة من التلاميذ على جيوش نظامية جيدة التدريب والتنظيم ما لم تكن هناك قوة خفية تساندهم وتمدهم ألا وهي قدرة الله الغالب، فكان هذا النصر دليلاً كافياً لإقبال الناس من كل حدب وصوب لتهنئة الشيخ وإعلان واجب الطاعة والولاء والجهاد في سبيل الله،ومن ضمن الوفود المهنئة للشيخ أمير "كوناري " جلاج بن محمد بديج المدعو "غيلاجو"[3]، وقد ذُكر أن أتباعه تضعفوا أكثر من أربعين مرة خلال الأسبوع الأول من انتصاره، وهذا ما يدل على أن النفوس كانت مهيأة للتغيير وتنتظر القائد الأمثل الذي يخرجها من حالة الضياع والتشرذم إلى القوة

[1] يحي ولد البراء: المصدر السابق، المجلد الأول، ص137.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص96-97.

[3] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص7.

والتمكين، ووجدت فيه القبائل الفلانية المخلص الحقيقي الذي انتشلها من هيمنة وسطوة ملوك البمبارا الوثنيين وحلفائهم الفلانيين ومن العلماء المسلمين المتقاعسين[1].

ج- الانتقال من نوكوما و تأسيس العاصمة (حمد الله):

مكث الشيخ وأتباعه في نوكوما مدة سنة بعد أن أُخبر بعدم صلاحيتها لأن تكون عاصمة لدولته الفتية، لأنها منطقة مستنقعية ضيقة لا تتحمل الكثافة السكانية العالية، ونصحه غيلاجو أمير "كوناري"بالانتقال إلى مكان آخر اعتبره مناسبا يسمي "فيرال تيف" اقتطعه من أرض مملكته، يقع على مسافة متوسطة من نهر النيجر، ومرتفع قليلا وفي مأمن من أخطار الفيضان، كما أن هذا الموقع يمكنه من التحكم في المواصلات النهرية ومكاناً ملائماً لرصد حركة النقل، ومحمي طبيعياً بجبال بنجغرا من الجنوب مما يساهم في حماية العاصمة من الاقتحام[2].

أُعجب الشيخ بهذا المقترح وأعطى الأوامر بالشروع في تخطيط المدينة والانطلاق في أعمال البناء التي دامت أكثر من سنتين، وأطلق عيها اسم "حمد الله" أظهار للشكر والامتنان لله سبحانه وتعالى على هذا النصر المبين، وعلى أن جمعهم بعد فرقة وأعزهم بعد ضعف، وأن تكون هذه المدينة حاملة للواء الإسلام منافحة عن حياضه تضاهي عواصم الإسلام في عصره الزاهر[3].

د- الاستشارة في تسيير الإمارة :

لما عزم الشيخ أحمدو لوبو على تأسيس إمارته الفتية ومواصلة جهاد الوثنيين بمساعدة جلاج بن محمد بديج (غيلاجو) طلبا من الشيخ محمد بن المختار الكنتي، أن يكتب لهما رسالة تساعدهما على العمل الذي ينويان القيام به، فكتب لهما رسالة سماها " أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام

[1] نوح عيسى سيدبي: المرجع السابق، ص97.
[2] أحمد بن محمد بن ابي بكر الماسيني: المصدر السابق، ص7.
[3] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص316.

" وقد تضمنت أربعة عشر محورا في باب الإمامة والقضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمظالم والحسبة وغصب الأراضي وغيرها[1].

أشار في هذه الرسالة إلى الأوضاع العامة التي كانت تعيشها المنطقة ووصفها بالأرض السائبة، وطلب منه إخلاص النية في الدعوة إلى الله لإحياء السنة الميتة وإماتة البدع الحية ودعوة الكافر إلى الإسلام وحمل الظالم المسلم للاذعان إلى شريعة الله، كما حدثه عن الولاية وواجبات الوالي ومعاملته للرعية، واخبره بان الولاية نعمة منّ الله بها على من تولاها فيجب عليه أن يؤدي شكرها وأمره بقوله :" أن تلزم نفسك بالبحث عن الرعية والعدل بينهما في القضية، والحكم فيها بالسوية، ومجانبة الهوى والميل وعدم سماع كلام بعضهم في بعض، وأن تعرف أنك والرعية سواء "[2].

وحضه على الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية في حياته وفي حكمه للمسلمين وأكد له على حسن اختيار الأعوان والبطانة الصالحة، ذلك أن كل صلاح أو فساد يأتي منهم فقال له:" شر الأمراء من كان له الأشرار وزراء " كما أشار إليه بإكرام العلماء وتقريبهم وبدل الأموال لهم وإقطاع الأراضي لحماية المسلمين ودفع عدوان المعتدين، واعتبر أهل السودان من المؤلفة قلوبهم الذين يجب مداراتهم والتعامل معهم برفق وإحسان، وبيّن له أن الهدف من القتال إعلاء كلمة الله وإقامة شرعه ونبهه إلى ضرورة عقد حلقات لأتباعه ولمن أسلم حديثا بتعليمهم دين الله سنة رسول الله ﷺ وخاطبه بقوله:" وأنت أيدك الله في أرض لم يألف أهلها القتال إلا تعصبا للكفر وتعصبا على الباطل والظلم، وقد منّ الله تعالى عليهم بالإسلام وزين في قلوب كثير منهم الإيمان...وأعلمهم أن الأمة لا ينصر آخرها بغير ما نُصر به أولها، وإنما نُصر صدرها بقوة الإيمان وثبات اليقين، وصحة النيات وخلوص الطويات"[3].

[1] محمد فرقاني: المرجع السابق، ص22.

[2] نفسه: ص28.

[3] نفسه، ص ص29-30.

ونخلص مما سبق أن الأوضاع التي كانت عليها منطقة السودان الغربي ونشأة أحمدو لوبو الماسني ونشاطه الإصلاحي، أن هذا الشيخ استطاع في ظرف قصير أن يحقق الكثير مما عجز عنه غيره، إذ تمكن من تحصيل العلوم والمعارف وان يتبوأ مكانة مرموقة في وسطه الاجتماعي، وذلك لغيرته على الإسلام ورغبته في الدفاع عن حياضه، فوقف في وجه العلماء المتقاعسين والحكام الظالمين والملوك الوثنيين الذين ضلوا وأضلوا، وحز في نفسه أن يرى المسلمين ضعفاء متفرقين وقد خالطت عقيدتهم الغراء شوائب الوثنية، فعزم بصدق ونية على إعادة الإسلام إلى مجده الأول وتصحيح العقيدة الإسلامية مما علق بها من شوائب وأدران، متأثراً بالشيخ عثمان بن فودي في منطقة الهوسا مقتفيا أثره سائراً على نهجه.

والواقع أن الشيخ أحمدو لوبو أدرك ضرورة الإصلاح منذ زمن مبكر من حياته، فبدأ حركته بالدعوة إلى الإسلام وتصحيح عقائده بالموعظة الحسنة والطرق السلمية، فعلم الناس القراءة والكتابة وأمور دينهم وحارب البدع والخرافات، فزاد إقبال الناس عليه، الأمر الذي أزعج الحكام الظالمين الذين ناصبوا حركته العداء وحاولوا التخلص منه مستعملين كل الأساليب والحيل، فاضطر إلى رفع راية الجهاد في وجههم، وتمكن من تأسيس دولته الميمونة على أنقاض تلك الممالك الفاسدة.

الفصل الثالث:الإصلاح السيـاسي والاجتماعي

- أولاً: الإصلاح السيـاسي
- ثانياً: الإصلاح الاجتماعي

إن التاريخ الاسلامي حافل بالنماذج الفريدة التي بذلت مجهودات قيمة ومحاولات ناجحة تسعى لوضع تصور واضح للحكم، يكفل ممارسته وتداوله بطرق سلمية ناضجة، تعود بالخير والاستقرار على إقليمها الجغرافي وأمتها الإسلامية، ولعل النجاح الذي حققه الشيخ أحمدو لوبو في المجال الدعوي والجهادي في منطقة ماسينا، دل على أنه مصلح رشيد ورجل سياسي محنك مقبل على مشروع سياسي مهم وبناء دولة إسلامية عظيمة في منطقة السودان الغربي، حرص من خلالها على تطبيق شرائع الإسلام في جميع مناحي الحياة، فأقر مجموعة من التنظيمات الإسلامية على المجتمع الفلاني رغبة منه في إقامة مجتمع إسلامي يطبق تعاليم الإسلام منهجا وسلوكا، وسنحاول تسلط الضوء على المؤسسات السياسية التي أنشأتها الإمارة، وعلى التنظيمات الاجتماعية التي طبقتها.

أولاً: الاصـــــــلاح السياسي:

1- المؤسسات السياسية :

وبعد إن أستتب الأمن وصار للشيخ احمدو لوبو دولة فتية تحتاج إلى رعاية خاصة، وضع لها أسس متينة تتماشى مع روح الدعوة وتضمن لها الاستمرارية مستقبلاً معتمدة على مبدأ الشورى التي دعا إليها القرءان الكريم في قوله عز من قائل:﴿وَأَمرُهُم شُورَىٰ بَينَهُم﴾[1]، فجمع العلماء والأعيان والتجار من جميع مناطق الإمارة وأعلن فيهم أنه عازف عن تولي المسؤولية واحتكارها لنفسه بل يريد مشاركتهم ومساعدتهم، ثم طلب منهم التحلي بالجدية واليقظة في أي عمل وتوحيد الصفوف والتآزر لمواجهة التحديات المستقبلية الداخلية والخارجية، كما قام بإنشاء تنظيمات ومؤسسات سياسية تخضع لأحكام الشريعة الإسلامية، خوّل لها السهر على تسيير شؤون الرعية بما يتماشى وتعاليم الإسلام لترقى بالمجتمع إلى حياة أفضل وتخلصه من طغيان وجبروت إدارة الحكام السابقين[2]، ومن المؤسسات السياسية التي قامت عليها الإمارة ما يلي:

[1] سورة الشورى: الآية 38.

[2] أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص ص206-207.

أ– الإمامة: الإمام قائد ديني ودنيوي، يلقب بأمير المؤمنين وهذا اللقب يضفي على حكمه الشرعية الدينية، ويجمع الإمام بين السلطة التشريعية والتنفيذية وجزءاً من السلطة القضائية، يقيم في العاصمة "حمد الله" ويعينه المجلس الشوري ويشرف على تنصيبه رئيس المجلس في حفل يحضره أعضاؤه، وأمراء الأقاليم والقادة العسكريون والقضاة، حيث يسلم رئيس المجلس الشوري للأمير أمارات السلطة المتمثلة في مصحف شريف وعلم مكتوب عليه " لا إله إلا الله " وسيف، ثم تتم مبايعته من طرف الرعية، أما واجبات الإمام فهي دينية ودنيوية مثل إمامة الصلاة والسهر على حسن سير شؤون الدولة وتعيين حكام الأقاليم و أعضاء المجلس الشوري والقادة العسكريين والقضاة ويحق له إقالتهم[1].

وقد تولى منصب الإمامة في هذه الإمارة[2] ثلاثة حكام فقط، وهم الشيخ احمدو لوبو المؤسس الذي حكم من(1234 -1262هـ/ 1818-1845م)، وخلفه ابنه احمدو (الثاني) الذي يعرف عند فلاني مالي بأحمد بن الشيخ (أمادو سيكو) الذي حكم بين سنتي (1262-1270هـ/1845-1853م)، ثم خلفه ابنه احمد الذي يعرف بأحمد الحفيد أو احمدو الثالث أو احمد بن احمد (أمادو أمادو) الذي تولى شؤونها بين (1270- 1282هـ/1853-1862م)، وقد تعاقب الأحمدون الثلاثة على إمارة ماسينا الفولانية الإسلامية خلال أربع وأربعين سنة، وبالرغم من هذه المدة القصيرة إلا أنهم تمكنوا من وضع مؤسسات ثابتة وأسس رصينة مكنت لها أن تلعب دورا حضاريا رغم قصر عمرها[3].

---

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص35-36.

[2] تشتهر إمارة ماسينا في الكتابات الغربية ومن نحا منحاهم باسم " دينا"Dina أي الدين باللغة العربية وهي كلمة عربية محرفة قليلاً، لأن أساس المملكة قام على تطبيق شعائر الدين الإسلامي ينظر: Hamadiu Boly : Le soufsme ou Mali du 19 sècle à nis jours, thèse doctorat, dirigèe par Geoffroy Eric, Ecole doctoral des humanitès, Universitè de Strasbourg, 2013, p61.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص35.

ب- تأسيس مجالس الإمارة:

استصحب الشيخ أحمدو لوبو في دهنه الكثير من المواقف التاريخية التي مرت بها الأمة الإسلامية في تجربتها مع الحكم، فعمل جاهداً على تفادي الكثير من الأخطاء التي وقع فيها غيره، حيث حرص منذ البداية على إقامة دولة إسلامية على أسس متينة تحافظ على تماسكها وتضمن لها الاستمرارية والثبات والحفاظ على المكاسب السابقة، وبعد أن مكنه الله من هزيمة الجيوش الوثنية المتحالفة ضده، أنظمت إليه الكثير من القوى والتجمعات الإسلامية التي كانت متناثرة في الساحة ودانت له بالولاء والطاعة، واعتبروه زعيماً روحياً غير منازع في المنطقة[1]، خاصة بعد أن لقبه الشيخ عثمان بن فودي بالشيخ " سيكو" 1817م وذلك عندما بعث له مبعوثين[2]، يستفتيه في الجهاد فأفتاه بالجواز ولقبه بالشيخ في الأعلام التي أرسلها له كتزكية وتضامن روحي إسلامي ضد القوى الوثنية[3].

كان أول ما عمد إليه الشيخ أنه جمع كافة العلماء والشيوخ المعروفين في المنطقة وطلب منهم مساعدته في التوصل لأحسن طريق يمكنهم من تسيير شؤون الدولة، والحرص على إيصال كافة الحقوق الدينية والدنيوية لمستحقيها، والسعي نحو حياة اقتصادية واجتماعية مزدهرة لكافة الرعية، وقال لهم :" لا أريد أن احكم البلاد لوحدي، ولا بد من مساعدة الآخرين، ولا بد من اجتماع الكل واتحادهم لتكون دولة منظمة"[4]، ويذكر أن عدد العلماء الذين حضروا هذا اللقاء مئة وأحد عشر (111) عالما من مختلف قبائل وجهات المنطقة، وطلب منهم أن يقدموا له مشروع حكم وفق خطة

[1] Maurice,delafosse: Op, Cit, p233.

[2] اختلف في أسماء الموفدين فمن قال: بوبكر حمادي بوبو وحمادي جولدي، وهناك من قال: بوبكر حمادي بوبو وألفا سنوسي و آدم داجا، كما انه لم يسفعنا الحظ من الوقوف على المراسلة التي أرسلها الشيخ عثمان للشيخ احمد، ثم أن الشيخ عثمان توفي في السنة نفسها. ينظر: محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص34-35.

[3] مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات التاريخية، الرياض السعودية، 1998، ص557.

[4] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص7.

عمل مكتوبة، تعكس قناعة كل واحد منهم حول الطريقة الأمثل لتسيير شؤون الدولة، بما يضمن تحقيق العدل والمساواة وإعادة إحياء الشعائر الإسلامية[1].

وبعد أشهر من العمل المتواصل قدم كل واحد منهم خطته وفق ما تقتضيه قناعته، وقام الشيخ احمدو لوبو بمراجعة هده المشاريع بهدوء وتأن في أدق تفاصيلها وجزئياتها، ولفت نظره أربعون مشروعا نالت إعجابه لتوفرها على الحكمة والواقعية والدقة ، فاعتمدها واختار أصحابها لتكوين النواة الأولى لمجلس الحكم الذي أطلق "باتو ماودو" أي المجلس الكبير أو مجلس الشورى، وأصبح هذا المجلس بمثابة مجلس الحل والعقد وصاحب السلطة على الجميع[2].

ثم طلب من هؤلاء الأربعين أن يُنظموا أنفسهم في المجلس على شكل لجان فرعية محددة ومختصة، على حسب الأقاليم التي ينتمون إليها دون أي اعتبار قبلي أو عرقي، وذلك لان كل منهم أدرى بمشاكل وحاجيات إقليمه من غيره، وقسم المجلس إلى خمس لجان تنتمي إلى الأقاليم الخمسة الرئيسية للإمارة[3].

واختصت كل لجنة بالنظر في شؤون إقليمها بالتنسيق والتشاور مع اللجان الأخرى داخل المجلس، واختار الشيخ احمدو لوبو من هؤلاء الأربعين عالمين يساعدانه في التسيير اليومي للأمور التي لا تتطلب تدخل المجلس الكبير، والفصل في القضايا العاجلة والطارئة التي لا تحتمل انتظار انعقاد المجلس، وكانا لا يفارقانه إلا في ساعات النوم، ولا يستقبل أحدا في غيابهما مهما كانت الظروف[4].

[1] عبد الله عبد الرزاق: احمدو لوبو...، المرجع السابق، ص79.

[2] Hamadiu Boly: Op, Cit, p61.

[3] Ba Amadou et Dage: Op, Cit, p66.

[4] Joseph ki Zerbo: Op, Cit,p259.

أما العلماء الباقون بعد الأربعين فقد اختار منهم ستون (60) عالما لتكوين مجلس آخر رافداً للمجلس الكبير أطلق عليه " مجلس التحكيم"، بحيث لو حدث خلاف بين أعضاء المجلس الكبير حول قضية من القضايا واستعصى عليهم الحل، فيتم اللجوء إلى مجلس التحكيم لأخذ رأيهم[1].

ومن خلال ما سبق فان مجلس الحكم في الإمارة كان مكوناً من ثلاث مجالس مكتملة تمثلت في ما يلي:

1- المجلس الأول: يضم الشيخ احمدو لوبو وعضوين مساعدين له يساعدانه في التسيير اليومي للأمور وينظر في القضايا العاجلة التي لا تتحمل انتظار المجلس الكبير، كأن يأتي شخص يستفتي في مسألة أو يطلب مساعدة، فان المجلس يبث في هذه القضايا البسيطة، ويقدم تقريراً للمجلس الكبير حول ذلك ، كما بإمكانه أن يطلب من المجلس الكبير إعادة النظر في بعض القرارات والقوانين الصادرة عنه، ويناقش القضايا قبل عرضها على المجلس الكبير للمصادقة عليها أو رفضها، كان الشيخ احمدو لوبو في بداية الأمر يتولى هذا الأمر شخصياً، لكنه رأي من باب الورع والعمل بالشورى أن يتخذ مساعدين يشاركانه في كل القرارات، وكانا يسكنان بجواره لضمان وجودهما الدائم معه[2].

2- المجلس الثاني: هو المجلس الكبير أو مجلس الشورى الذي يضم أربعين عضوا بما فيهم مساعدي الشيخ احمدو لوبو، ويرأسه الشيخ ألفا نوح طاهر، ولم يكن يقبل في عضويته إلا من بلغ أربعون سنة كاملة وكان متزوجا وعالما عاملا، وأن يكون الشخص على معرفة جيدة باللغة العربية نطقاً وكتابة[3]، وذا سابقة اجتماعية محترمة، بأن لا يكون قد ضبط فيما سبق من حياته في تعاطي

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص322-323.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص36.

[3] يذكر أن بعض أعضاء المجلس لم يكونوا على معرفة جيدة باللغة العربية، لكنهم كانوا ذو خبرة واسعة في مجال التعامل مع الناس وحسن سياستهم، إلى جانب الفطنة والبصيرة وبعد النظر، وهو ما أهلهم للعضوية. عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص332.

سلوكيات شائنة تخل بالمروءة وتذهب بمكارم الأخلاق، كل ذلك إلى جانب التقوى والنزاهة والعفة والأمانة، وكل ما يسهم في إضفاء الهيبة و الوقار على الشخص[1].

وكانت جلساته تعقد يوميا بعد صلاة الضحى بقاعة جيديوال[2]، للنظر في كافة القضايا والبث فيها، وتصدر عن هذا المجلس كافة القرارات وتناط به كافة المسؤوليات، وتناقش فيه كل الأمور، ومن مهامه الإشراف على الشؤون العسكرية والدبلوماسية والعلاقات مع الزعامات التابعة للإمارة والشؤون الاقتصادية من جمع الضرائب والزكاة والإشراف على السياسة التعليمية، ومراقبة مدى التزام الأفراد والمجموعات بالأخلاق وحدود الشريعة الإسلامية في مختلف مناحي الحياة[3]، وهو الذي يعين أمراء الأقاليم وقادة الجند و الأئمة والقضاة والمؤذنين ويحدد لهم الرواتب من بيت المال ويشرف على كل صغيرة وكبيرة في الإمارة، كما يتعين على أعضاء المجلس السكن في مدينة " حمد الله"، ولا يسمح لأحد منهم مغادرتها مسيرة يوم واحد دون إشعار و أذن، وفي حال سفر احدهم يحق له اختيار احد أعضاء مجلس التحكيم نيابة عنه، وقسم المجلس داخليا إلى خمس لجان حسب الأقاليم كما اشرنا سالفاً [4].

3- المجلس الثالث: هو مجلس التحكيم الذي يضم ستون عضوا موزعون في مناطق مختلفة من الدولة ويعتبر بمثابة معين ومساعد للمجلس الكبير، ويلعب دور الحكم في حال احتدام الخلاف في المجلس الكبير واستعصى التوصل فيه إلى حل لقضية من القضايا، كما يمكنهم السكن في أي منطقة من مناطق الدولة شريطة أن يكونوا على اتصال دائم بالمجلس الكبير، وعلى معرفة جيدة بما يصدر عنه من قرارات وأن يتابعوا كل المستجدات في الدولة، وفي حالة وفاة احد أعضاء المجلس الكبير فان الشيخ احمد ومساعديه يختارون من يرونه مناسباً من أعضاء مجلس التحكيم لاستبداله بالمتوفى، ثم

---

[1] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p p,66-68.

[2] جيديوال: نسبة إلى جيدي أي سبعة بالفلانية ويقصد به الأبواب السبعة التي كانت لقاعة المجلس الكبير فالباب الرئيسي يفتح للغرب، وثلاثة نحو الشمال، وأخرى نحو الجنوب. ينظر: محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص36 .

[3] محمود كعت: المصدر السابق، ص ص52-53.

[4] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p68.

يختار أعضاء المجلس الكبير أحد العلماء المشهورين في الإمارة لشغل المنصب الشاغر في مجلس التحكيم[1].

ولا مناص من القول أن الطريقة التي تأسست بها هذه المجالس وطريقة عملها وما تمتعت به من الدقة والتكامل، تتجلى لنا المواهب والقدرات الكامنة في أعماق هؤلاء الرجال وعلى رأسهم الشيخ احمدو لوبو الذي بدأ حياته راعياً بسيطاً وطالب علم متنقلا إلى قائد عسكري فذ ومنظر استراتيجي كفء وسياسي محنك، وهذا ما يفعله الإسلام بالإنسان عندما يتقمصه ديناً ومنهج حياة.

ج–نظام الحكم في الإمارة:

وتجدر الإشارة إلى أن طريقة تأسيس المجلس الكبير وطريقة تنظيمه وصلاحياته الواسعة على أن نظام الحكم في الإمارة كان نظاما إسلاميا شورياً يهدف إلى تحقيق العدالة، وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في جميع مناحي الحياة، معتمدا على الكتاب والسنة في جميع القرارات التي كان يصدرها، وقد بلغ في تقيده في بعض الأحيان حداً كاد يبلغ الشطط، ويقول عن ذلك الدكتور أدم بمبا متحدثا عن فلسفة التشريع والحكم التي قامت عليها الإمارة :" أما عن نظام حكم لوبو، فقد كان الطابع الإسلامي واضحاً عليه بجلاء، منذ أن أطلق على هذه الإمارة اسم " دينا"(دين) أي إسلام، مؤكدا بذلك النظام الثيوقراطي[2] الإسلامي لمملكته في أنظمتها التشريعية والقضائية كافة، وبرهن نظام إمارة "دينا" ذلك عملياً بسياسة إنمائية إسلامية لم يكد يتكرر في بلاد السودان الغربي قاطبة، والسبب المباشر لهذا النجاح والتميز السياسي كامن في التجارب الحية بالمنطقة خاصة: تجربة

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص119-120.

[2] الدولة الثيوقراطية : هي الدولة الدينية على المفهوم الذي ساد أوروبا لقرون طويلة في ظل هيمنة وسيطرة رجال الكنيسة على مقاليد الأمور، وهي دولة تجتمع فيها سلطة الحاكم وسلطة التقنين والتشريع بيد الكنيسة ممثلة في البابا والقساوسة، فالحكم هنا مطلق، والتشريع حق للكنيسة، وللبابا قداسة وعصمة بتفويض الهي ومن تقره الكنيسة من الحكام فله الحكم المطلق ومؤيد بتوفيق من الرب كما يعتقدون. للمزيد ينظر: متولي عبد الحميد: الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطيات الغربية، منشأة المعارف، ط2، الإسكندرية مصر، 1981، ص132.

دان فوديو، وقبلها تجربة إمبراطورية صنغاي في عهد الأسكيا، فما كان يعوز إمارة " دينا" في مجال الخبرة النظرية شيء كثير"[1].

كما نلاحظ أن الشيخ احمدو لوبو كان حريصا منذ البداية على عدم تركز السلطة في يد شخص بعينه أو فئة معينة لذلك أنشأ هذه المجالس وحرص على أن يكون أعضائها من العلماء المتمكنين في أحكام الشريعة حتى تكون قراراتها وفقا للكتاب والسنة، كما كان كانت هذه المجالس قريبة من الرعية حيث كان الفقراء والضعفاء يجدون الطريق سهلا لبث مظالمهم وشكاويهم إلى أعلى سلطة في الدولة مباشرة دون وساطة أو محاباة حتى يتم إنصافهم، وقد سارت الأمور على ما يرام في كل السنوات التي كانت فيها السلطة الحقيقية بيد المجلس الكبير ومجلس التحكيم المعاون له، واقتفى الشيح احمدو لوبو في ذلك أثر إمارة سوكوتو، فاستلم من خلفاء الشيخ عثمان بن فودي سبع كتب في الإمارة والقضاء وتسيير شؤون الإمارة، والتي تفحصها أعضاء المجلس الكبير ووجدوها مطابقة للقرآن والسنة والإجماع[2].

أما جلسات المجلس الكبير التي كانت تعقد في مقره قرب المسجد الجامع في مدينة حمد الله، فتجلت فيها الشورى في أبهى صورها ومظاهرها، ولعل من ابرز مظاهر الشورى وحرية الرأي في هذا المجلس أنه كثيرا ما احتيج فيه إلى تدخل مجلس التحكيم لحسم الأمر عندما يحتدم النزاع حول قضية من القضايا، مع أن الشيخ احمدو لوبو بين ظهرانيهم، بل كثيرا ما كان يجد صعوبة في إقناع المجلس الكبير بقناعاته ووجهات نظره لأن الكثير من أعضاء المجلس كانوا اكبر منه سناً وأكثر منه علماً ولا تأخذهم في الله لومة لائم، بل كثيراً ما رفض رأيه، ويسمح لنا الظرف بإيراد موقعة رفض فيها رأي الشيخ رفضا قاطعا بالرغم أنه الأمير والحاكم، وتجلى ذلك في العلاقة بين إمارة ماسينا و تنبكتو التي لم تكن على ما يرام منذ ولادة الإمارة لعدة ظروف وأسباب، وكان الشيخ احمدو لوبو يرفض حمل السلاح في وجه أهل تنبكتو وما جاورها احتراما لمكانتها المجيدة في خدمة الإسلام، ومراعاة لحرمة

[1] محمود كعت: المصدر السابق، ص52.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p69.

ومكانة قبيلة كنته[1] ذات الصيت الشهير والمكانة المرموقة في المنطقة كلها، فكانت تنبكتو بسبب ذلك معفية من العديد من الالتزامات المفروضة على غيرها من أقاليم الإمارة، فلما كثرت تدخلات قبيلة كنته في قرارات المجلس الكبير قرر هذا الأخير معاملة أهالي تنبكتو كغيرهم من مواطني الإمارة، والتدخل العسكري عند الحاجة لفرض النظام وتطبيق القوانين وكان للمجلس ما أراد بالرغم من معارضة الشيخ احمدو لوبو لذلك[2].

ونشير إلى أن الكثيرين ممن يجهلون حقيقة الإسلام ورسالته، أنه لا يمكن أقامة دولة إسلامية دون أن تحمل طابعاً ثيواقراطيا وخاصة عند الغربيين عندما يلاحظون الحب والاحترام الذي يحظى به الحاكم في قلوب الرعية، مثلما ما هو معروف من حب المسلمين في ماسينا للشيخ احمدو لوبو وعقبه، أو في غرب إفريقيا للشيخ عثمان بن فودي وغيرهما، حيث يعتقدون أنه مفوض من الله غير أنه ليس في الإسلام تفويض ألهي أو وساطة كاذبة بين الخالق والمخلوق، ويشير إلى ذلك السيد قطب بقوله:" والإمام المسلم لا يستمد ولايته من الحق الإلهي ولا من الوساطة بين الله والناس، إنما يستمد مباشرته للسلطة من الجماعة الإسلامية، كما يستمد السلطة ذاتها من تنفيذ الشريعة، التي يستوي الكل في فهمها وتطبيقها متى فقهوها، ويحتكم إليها الكل على السواء، فليس في الإسلام رجل دين بالمعنى المفهوم في الديانات التي لا تصح مزاولة الشعائر التعبدية فيها إلا بحضور رجل دين، إنما في الإسلام علماء بالدين، وليس للعالم بهذا الدين من حق خاص في رقاب المسلمين، وليس

[1] قبيلة كنته: قبيلة ذات نفوذ وشهرة كبيرة في منطقة غرب إفريقيا والمنتشرة في منطقة توات والأزواد حتى منطقة الهوسا، ويرتفع نسبها إلى التابعي الجليل عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، وقد أنجبت كثيرا من العلماء والأولياء والصالحين مثل الشيخ سيدي عمر تلميذ الشيخ المغيلي وحامل الطريقة القادرية إلى المنطقة والشيخ سيدي احمد البكاي الكبير والشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير والشيخ سيدي احمد البكاي الصغير وغيرهم من العلماء الأجلاء. ينظر: بول مارتي: كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد دادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985، ص ص10-11.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص127-128.

للحاكم في رقابهم إلا تنفيذ الشريعة التي لا يبتدعها هو، بل يفرضها الله على الجميع، أما في الآخرة فالكل مصيرهم إلى الله ..."[1].

ونخلص إلى أن الشيخ احمدو لوبو وأعضاء مجلسه الكبير استمدوا ولاء الجماهير لهم، وثقتهم فيهم، من صدقهم وعدلهم وأمانتهم، ووقوفهم عند حدود الشرع وتنفيذهم لنصوصه، دون زيغ أو شطط، حيث كانت هذه المجالس قريبة من الرعية، الأمر الذي مكنهم من بث مظالمهم وشكاويهم دون قيد أو محاباة.

2- تأسيس مدينة حمد الله:

تأسست هذه المدينة على يد الشيخ أحمدو لوبو بعد أن أرشده غيلاجو حاكم كوناري إلى اختيار هذا المكان لكونه استراتيجياً، واختار لها اسم "حمد الله "، إظهاراً للشكر والخضوع لله سبحانه وتعالى بعد أن جمع شملهم من شتات وأعزهم من ضعف ونصرهم على كفار البمبارا الوثنيين، وقال في ذلك :" إن مدينة حمد الله أسست من أول يوم ليعبد فيها الله وحده ويذكر بلا انقطاع، أسست لكي تجد العدالة فيها موئلاً وملاذاً، ويوم لا تكون حمد الله كذلك فان الله سيخربها "[2].

تقع "حمد الله " أو "حمد اللاي" بلغة الفلان[3] جنوب مدينة موبتي على بعد عشرون كيلومتر، على بقعة قريبة من نهر النيجر في مكان مرتفع يجعلها في مأمن من الفيضانات الموسمية عند ارتفاع منسوب مياه نهر النيجر، كما أنها محمية طبيعيا بجبال مدينة "بنجغرا"[4] من الجنوب، وقريبة من

[1] سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت لبنان، القاهرة مصر،1415هـ /1995م، ص ص14-15.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص98 -109.

[3] احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص205.

[4] بنجغرا: هي المدينة التي اختارها الفوتيين فيما بعد عاصمة لدولتهم بعد القضاء على إمارة ماسينا، وتقع اليوم في مدينة مالي في محافظة موبتي. ينظر عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص316. وينظر أيضا: الملحق رقم1.

كوناري وماسينا والمناطق الجبلية جعل منها مكانا استراتيجيا لرصد حركات العدو قبل وصوله إليها، كما مكنها هذا الموقع من مراقبة حركة السفن التجارية بين مدينتي جني و تنبكتو[1].

استغرق بناء المدينة ثلاث سنوات من 1819م إلى 1821م من طرف بنائين من مدينة جني صبغوها بالفن المعماري السوداني و المغاربي وكان جامعها فريداً من نوعه في المنطقة لا يماثل الجوامع في مدينة تنبكتو وجني، وأحاطها بسور له أربعة أبواب[2]، وقسمت المدينة إلى قسمين كبيرين قسم ملكي وقسم شعبي[3] وقد تضمن كل منهما ما يلي:

أ- **القسم الملكي**: شكله رباعي محاط بسور طوله حوالي متر ونصف، توجد به دار الشيخ أحمدو لوبو قرب الوسط باتجاه الشمال قليلا ومساكن أعضاء المجلس الكبير وقادة الدولة في الشرق والشمال والجنوب، أما في الوسط فتوجد المكتبة وقاعة اجتماعات المجلس الكبير وتدعى" جيديوال"، وقاعة أخرى للانتظار، وفي الغرب يوجد مقر الضيوف ومساكن للذين ليس من يعولهم من الأيتام والأرامل والعجزة وأبناء السبيل ويدعى" وندون باري"[4]، وكان الشيخ يشرف عليهم بنفسه وذلك رغبة منه في تحقيق مضمون آية الصدقات في سورة التوبة في قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[5].

ب-القسم الشعبي: يضم هذا القسم الإحياء الشعبية التي قدر عددها بعشرة[6] وهناك من عدّها أربعة وعشرون وهناك من أوصلها إلى ستون حياً[7]، والأرجح أنها ثمانية عشر حياً[1]، وعين على كل

---

[1] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p47.

[2] وهذه الأبواب هي : باب فاكالا يفتح نحو سهول الجنوب، وباب كوناري يفتح إلى جهة الشمال ، وباب سيبارا يفتح نحو الغرب ، وباب بمابي أو هايري(الجبل) يفتح نحو الشرق. ينظر: محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص79.وينظر الملحق رقم4.

[3] Ba Amadou et Daget :op, Cit,p p49-51.

[4] محمد جاكايتي: المرجع السابق، ص79.

[5] سورة التوبة: الآية 60.

[6] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص47.

[7] علي يعقوب: حياة الشيخ...، المرجع السابق، ص7.

حي قاضياً خاصاً[2]، وجعل لكل حي سوقا، مع السوق المركزي في وسطها، وجعل لكل سوقاً مشرفاً على جودة السلعة، وقدر عدد سكانه بأربعمائة ألف نسمة [3]، وبلغ عدد الكتاتيب في هذا القسم 600 كُتّاباً[4].

أما جامع المدينة[5] فيوجد في وسطها على بعد ثلاثمائة متر شرقي القصر الملكي وهو أكبر بناء في المدينة بلغت مساحته حوالي نصف هكتار، ولم يكن يحتوي على مئذنة أو زخرفة معمارية[6]، ولا تزال آثاره ماثلة إلى اليوم، وكان الأمير هو من يؤم الناس باعتباره أميراً للمؤمنين، ولم يسمح بتعدد المساجد، لذلك كان لزاما على جميع أهل المدينة أن يشهدوا الصلاة المكتوبة في الجامع الكبير، وقدر رواده بحوالي ثلاثة آلاف مصلى، بيد أن بيرو أسكولا يري أن عدد المصلين يزيد على هذا العدد فقد أشار إلى أن أواني الوضوء كان عددها ثلاثة آلاف، ومهما تكن من التقديرات فإنها تدل على عظمة الجامع ومن خلالها عظمة المدينة[7].

3- أقاليم الإمارة:

يمكن تقسيم الإمارة إلى خمسة أقاليم رئيسية هي: ماسينا وجنيري وكوناري وفاكالا وغيمبالا، ونضيف إليهما إقليمي تنبكتو و جيلغوجي اللذان كان لهما وضع خاص[8]، وكل إقليم يحكمه أمير

---

[1] Ba Amadou et Daget :op, Cit, p51.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص129.

[3] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص7.

[4] Joseph ki Zerbo: Histoire De L Afrique Noire, Librarie Hatier, Paris, 1972, p259.

[5] أعادة الحكومة المالية بناء جامع جديد على أنقاض الجامع القديم وعني به كثيرا أن يكون مطابقا للقديم، دشنه الرئيس المالي أمادو توماني توري يوم الجمعة 8 ربيع الثاني 1425هـ/ 26 ماي 2004م. ينظر محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص80.

[6] Ba Amadou et Daget :op, Cit, p50.

[7] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص80.

[8] نفسه، ص36. للمزيد ينظر الملحق رقم3.

يقترحه الإمام، ثم يصادق عليه المجلس الكبير، ولا يعين أمير في بلده حتى لا تستميله القرابة، فالأمير قائد عسكري وسياسي ويعين معه قاض شرعي[1].

أ- **ماسينا:** هي أهم أقاليم الدولة وسميت الإمارة باسمها، ويصفها فييار بقوله:" عقدة جغرافية تجتمع فيها المياه والمراعي، وحقول الأرز و أسواق السمك، وهي مقصد قاطني الأراضي الرملية والجافة (أهل سينو[2]) وأهل هايري (الجبل) المحيطة بها، ومحور ديني وتجاري، ومركز سياسي لمملكة أربي من قبل ومملكة الشيخ أحمد" ويمتد هذا الإقليم من جافارابي إلى وادي ديبو ومن كاريري إلى فاكلا، وكان بوري حمان صالا (صالح) أول أمير لها، وبنى بها عاصمة جديدة سميت بتينينكو خططها على شاكلة مدينة "حمد الله" وافتتحها في حفل بهيج، وأمر المجلس الكبير بناؤها وجلهم من العبيد المتطوعين بالإقامة بها لممارسة الزراعة في الحقول المحيطة بها، كما فرض على كل شيخ القرية(جوم ورو[3]) أن يبعث بعض الأسر لتعميرها، ولهذا الموقع الاستراتيجي عدة مزايا من بينها بعده عن عاصمة اربي القديمة، وسهولها الخصبة وجبالها التي تعد حصنا طبيعيا يحميها من هجمات قبائل البمبارا المباغتة ،كما تصلها المبادلات التجارية عبر الرافد باني[4].

ب- جنينيري [5]: هي المنطقة التي تضم مدينة جني والمناطق المجاورة لها والواقعة بين نهر النيجر والرافد باني، وتمتد من ساناري الى فاكلا ومن مورارى إلى سيبيرا، تتميز هذه المدينة العتيقة بازدهارها العلمي والتجاري، وقد حاصرها الشيخ احمد بعد انتصارها في معركة نوكوما، فبايعه تجارها لخوفهم

[1] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص171.

[2] سينو: هذه المنطقة موجودة حالياً في مديرية بنكاس جنوب مدينة موبتي، وتتميز بأنها منطقة رملية جافة.ينظر: محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص37.

[3] جوم ورو: كلمة فلانية مركبة من كلمتين جوم بمعنى صاحب ، و ورو بمنعى القرية أي صاحب القرية أو شيخ القرية. ينظر: نفسه.

[4] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص37.

[5] جني: تقع إلى الجنوب الغربي من دولة مالي على النيجر الأعلى، تأسست حسب السعدي في القرن الثاني هجري الثامن الميلادي، اشتهرت بالعلم والتجارة وخاصة منذ القرن السابع الهجري. للمزيد ينظر: حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ص217. وينظر أيضاً: مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 72-73.

على مصالحهم الاقتصادية، وعين بها حاكمه الجديد، غير أن المغاربة (الأرما) الذين يعتبرون أنفسهم السادة الحقيقيين كان لهم حديث آخر، لم يرضوا بحكم الفلانيين وقاموا بقتل ممثلي الشيخ احمدو لوبو[1]، فتحالف فلانيو المدينة مع بني جلدتهم، واستغل المغاربة الفرصة وقتلوا أعدادا كبيرة منهم بدعم من مملكة سيغو البمبارية، وعلى اثر هذا الوضع قام الأمير عثمان ابوبكر (أمير مانغال أي الأمير الكبير) بمهاجمة المدينة وحصارها تسعة أشهر، وتمكن من القضاء على سيطرة المغاربة واستأصل شئفتهم نهائياً، وظل أمير مانغال حاكم للمدينة حتى سنة (1254هـ/1838م)[2].

ج– كوناري: تقع في الشرق والشمال الشرقي لمدينة موبتي بين سهول بانجاغارا في منطقة تجتاحها الفيضانات[3]، وكانت مملكة قديمة لعائلة جلاج حمبُطِيجُ (غيلاجو) نجح أجداده في بسط نفوذهم على أراضي واسعة في تلك المنطقة بقوة السيف، ودانت لها العديد من عشائر الفلان بالولاء والطاعة، وورث غيلاجو ذلك عن أبيه وحالف الحظ أن تمكن من توسيع رقعتها بفضل خبرته العسكرية وحنكته السياسية، ولما انتصر الشيخ احمدو لوبو في معركة نوكوما أشار عليه الوجهاء وقادة الجند في مملكته بالدخول في طاعة الشيخ احمدو لوبو، بعد أن تأكد للجميع صدق نيته، فبايعه على السمع والطاعة، وكان بذلك أول أمير يبايع بدون حرب ولا إراقة دماء[4]، فتركه الشيخ احمدو لوبو على مملكته التي كانت عاصمتها "غونداكا" دون أن ينعته بلقب الأمير، لأنه كان حديث عهد بالإسلام وأمي لا يعرف القراءة والكتابة، وتم تعيين الحاج مودي نائباً لغيلاجو مهمته تسيير شؤون الإقليم[5]، كما قام المجلس الكبير من اقتطاع بعض الأراضي من إقليمه وضمها لإقليم آخر، وهو ما لم لم يستسغه غيلاجو ورفضه رفضاً قاطعاً واحتج لدى المجلس الكبير الذي رد عليه رداً قاسياً فرجع إلى

[1] Joseph ki Zerbo: Op, Cit, p258.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص308-309.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص38.

[4] محمد بن على فييريج: المصدر السابق، ص7.

[5] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص38.

إقليمه وخلع عصا الطاعة، وحارب الإمارة الجديدة سبع سنوات وعندما انهزم اتجه شرقا ودخل في طاعة السلطان محمد بيلو الذي سمح له بالإقامة في منطقة ساي (جمهورية النيجر حالياً)[1]

د– فاكلا: تقع جنوب كناري بين سهول بانجاغارا والضفة اليمنى لنهر باني[2] عاصمتها بوروماني، تعد اصغر أقاليم الإمارة، كانت تابعة لمملكة سيغو الوثنية، بالرغم من وجود بعض العلماء الفلانيين بها وقد ساعدوا الشيخ أحمدو لوبو في جهاده ضد الوثنيين، وعندما انتصر الشيخ عين بها ألفا سامبا فوتا أميراً قبل أن يكلفه بحراسة مدينة "حمد الله"، ثم ناب عنه علي فاكلا بالبو الذي ظل أميرا لها حتى سقوط الإمارة (1279هـ/1862م)[3].

هـ– غيمبالا: تسمى أيضا نبدوبي[4] أو بناني ودوبي أي منطقة الوديان والنخيل، ويشمل هذا الإقليم فيتوغا وفاريماكي و هوسا كاتاوال، وكان احمد ألفاكا كو جاجو أول أمير لها غير انه تمرد عليها ولجأ إلى خلافة سوكوتو، ثم خلفه الشيخ سعيد الذي لم يحسن تسييرها، فخلفه بوكري (ابوبكر) مودي[5]، وقسمت حكومة "حمد الله" الإقليم إلى مقاطعات لمراقبته وحسن التحكم فيه، لتعرضه إلى غارات متواصلة من الطوارق الذين تنافسوا مع البدو الفلانيين على مناطق الرعي، وباعتبار هذه المنطقة رعوية فكانوا يسعون للسيطرة عليها، مما جعلهم في مواجهة مستمرة مع حكومة "حمد الله"، ونشبت بينهما معارك متقطعة شكلت خطرا كبيرا على الإمارة [6]، وقسم الإقليم إلى ثلاثة مقاطعات وكل واحدة منها منها يحكمها أمير، فكان بوري غورال أمير فيتوغا، وسامبورو كولادو أمير هوسا كاتاوال، في حين كان حامد بن الشيخ احمدو لوبو أميراً على غوندام[7].

---

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص168.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص323.

[3] محمد جاكيتي : المرجع السابق، ص39.

[4] علي يعقوب : حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص8.

[5] محمد جاكيتي : المرجع السابق، ص39.

[6] عبد الله عبد الرازق: احمدو لوبو...، المرجع السابق، ص78.

[7] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص39.

و- تنبكتو: حظيت مدينة تنبكتو بأهمية خاصة بين مراكز العمران والاستقرار، وتعد أشهر مدن السودان الغربي بلا منازع لما بلغته من شهرة وصيت، بعد تأسيسها على يد قبائل" مقشرن" الطارقية، في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، وكان لموقعها المهم على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى التي يطلق عليه منحنى نهر النيجر، أغلب الأثر في ازدهارها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري عبر الزمن[1].

ونظراً لموقعها الاستراتيجي ومكانتها الروحية رغبت إمارة ماسينا في ضمها، فجيشت لها جيشاً بأمر من المجلس الكبير لاحتلالها وكان ذلك في سنتي (1241هـ-1242هـ/1825م-1826م) فتمكن من إخضاعها، وأعلن حاكمها الباشا عثمان البيعة للحاج مودي سعيد ممثل ماسينا دون أن يتدخل هذا الأخير في الشؤون الإدارية للمدينة، وبقيت تُسير من الأرما واكتفى الفلانيون ببيعة الولاء فقط، وتتمتع باستقلال ذاتي في تسييرها، لكن بعد انتصار الشيخ احمدو لوبو على الطوارق في معركة دوكووال سنة (1244هـ/1828) أصبح من الضروري مراقبة المدينة للحد من خطر الطوارق فعين بها حاكمين مدني وعسكري (الحاج مودي و بوري غورال)، غير أن هذا الإجراء لم يرض الأرما فأعلن الباشا عثمان عن خلع بيعته وزحف بجيشه نحو العاصمة "حمد الله"، لكنه انهزم أمام قوات "حمد الله" في موقعة ديري[2] سنة (1249هـ/1833م) واقتيد أسيراً إلى العاصمة، فقضى الفلانيون على حكم الأرما نهائياً في تنبكتو الذي دام قرابة القرنين والنصف من الزمن، وأصبحت المدينة بذلك خاضعة لنفوذ الشيخ احمد الماسيني، ثم فقد الفلانيون سيطرتهم على المدينة بعد وفاة الشيخ احمدو لوبو فتمرد الطوارق وتمكنوا من طرد الحامية الماسينية من المدينة، ففرض

[1] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص58.

[2] ديري: مدينة تقع في الجنوب الغربي لمدينة تنبكتو، وتبعد عنها حوالي 135كلم وهي أهم منطقة اقتصادية للإقليم تنبكتو.ينظر محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص41.

الفلانيون حصاراً تجارياً على المدينة[1]، اجبر حكامها على الدخول في مفاوضات مع الإمارة سنة 1846 قادها الشيخ احمد البكاي الكنتي[2] وكان الاتفاق على النقاط التالية:

- أن تكون مدينة تنبكتو حرة في إدارتها نفسها تحت حماية الفلان.
- أن يكون حاكم المدينة من مواليدها، وأن يكون جميع الموظفين من قبيلة سونغاي.
- أن تعطي المدينة ضريبة قبيلة واحدة إلى أمير ماسينا مرة في السنة، بدلا من جميع القبائل.
- أن يكون ممثل الفلان في المدينة قاضيا أو جابيا.
- أن لا يوجد في تنبكتو أي جيش فلاني.

وبقيت هذه الاتفاقية سارية المفعول إلى أن تعرضت المدينة إلى الزحف الفوتي.[3]

ز- جيلغوجي[4]: سكن الفلانيون المهاجرون من منطقة ماسينا وكوناري هذه المنطقة خلال القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين (السابع عشر و الثامن عشر الملاديين) إثر المجاعات والصراعات القبلية، وأسسوا ثلاث دويلات هي: جيبو و برابولي و تونغو ماييل[5].

انضمت هذه المنطقة إلى ماسينا عندما استنجد احد ورثة العرش في برابولي اثر صراع لتولي الحكم، فقاد الحاج سعيد جيشا عظيما وتوسع في المنطقة وفرض "احمد عليك" أميراً عليهم، ولما شعر بعدم استعداد وجهاء المنطقة لقبول حكمه قتل معظمهم، الأمر الذي جعلهم يستنجدون بملك

---

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص-4140.

[2] الشيخ احمد البكاي: (1803-1865) الخليفة الثالث للطريقة القادرية الكنتية ترعرع في أحضان قبيلته، لعب دورا سياسيا كبيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ودخل في صراع مرير ضد الحاج عمر الفوتي التيجاني، للمزيد ينظر: عبد الوهاب الهاشمي: التعريف بمخطوط قصيدة في التوحيد لأحمد البكاي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج13، ع01، جامعة وهران01 احمد بن بلة ،الجزائر، 2018، ص ص312-313.

[3] أحمد البكاي: رسالة من الشيخ سيد أحمد البكاي إلى أحمد أحمد الماسيني الفلاني، تح اسماعيل تراوري، مكتبة اسماعيل تراوري، ص ص6-7. وأيضا، بول ماريتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص ص99-100.

[4] تقع اليوم في شمال دولة بوركينافاسو، ينظر محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص41.

[5] Batrick d Aquino: Du sable à l argil (l occupation de l espace dans le djelgodji) nord burkina faso, La recherche agronomique pour le dèveloppement, burkina faso, 1996, p p312-313.

موشي نابا توتيبالبو(حكم 1250هـ- 1267هـ/1834م-1850م) ضد الأمير الجديد، فانتصر ملك موشي علي قوات الحاج سعيد وسيطر على المنطقة وعين ممثلا له على الدويلات الثلاثة، وأرهق كاهل السكان بالضرائب، فثاروا عليه وقتلوه، وطلبوا الانضمام إلى إمارة ماسينا، وقد كانت تبعيتهم شكلية لأنهم يديرون شؤون بأنفسهم من حيث تعين الحكام وجباية الضرائب، وإن التزموا بدفع ضرائب سنوية لحكام ماسينا[1].

وفي عهد الأمير احمدو الثالث الحفيد رغب فولاني جيلغوجي الانفلات من سيطرة ماسينا، فأرسل "عبد الله الحاج" على رأس جيش لقمع المتمردين، فاستنجد سكانها بملوك موشي مرة أخرى وتمكنوا من هزيمة عبد الله الحاج وأرجعوه إلى "حمد الله" ونظراً لظهور خطر الحاج عمر الفوتي على الإمارة لم يسعف الأمير احمد الحفيد أن يقوم برد الفعل، فاستغل سكان جيلغوجي الفرصة واستقلوا بالإقليم رافضين الخضوع لإمارة ماسينا و لملوك الموسي[2].

4- خلفاء الشيخ أحمدو لوبو:

أ- الامير أحمدو الثاني (أحمد بن الشيخ أحمد)(1845-1853م):

هو الابن البكر للشيخ أحمدو لوبو ولد سنة 1815م[3] وتربى في كنف والده في مدينة "حمد الله"، تلقى تعليمه على يد علماء مدينته، ثم أرسله والده إلى قبيلة كنته لينهل من معين علماءها وليصقل مواهبها المعرفية والروحية، وقد قال عن ذلك الشيخ أحمد البكاي الكنتي:" فقد كان الشيخ

[1] محمد جاكيتي : المرجع السابق، ص41.
[2] نفسه، ص42.
[3] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص166.

احمد يتعلم على ابي وابنه على أخي..."[1]،(أخاه سيد المختار الصغير) فكان احمد ابن الشيخ عالماً تقياً ورعاً مسالماً مبغضاً للحرب، حريصاً على الأكل من الكسب الحلال[2].

لما شعر الشيخ أحمدو لوبو بدنو أجله طلب من المجلس الشوري اختيار خليفة له من بعده، مفضلا أن يكون ذلك وهو حي بين أظهرهم حتى لا تحدث الفرقة والانقسام بعد وفاته فكان له ذلك، ووقع الاختيار على ابنه أحمد لخلافته، بعد مداولات عسيرة دامت أسبوعين، وقد كان الشيخ أحمدو لوبو أوصى بأن لا يختار أحد لنسبه أو حسبه، بل لعلمه وتقواه وأمانته، ولكل مسلم في الأمارة الحق في هذا الأمر بلا استثناء، الأمر الذي وضع المجلس الشوري في حرج كبير لم يستطيعوا الخروج منه إلا بعد أسبوعين من المداولات[3].

وبعد ذلك بأيام قليلة انتقل الشيخ إلى رحمة الله، بعد أن أدى الأمانة التي كانت تثقل عاتقه، وبعد إتمام إجراءات الدفن والعزاء، بعث المجلس الشوري رسائل إلى كل الأقاليم يخبرهم بمبايعة أحمدو الثاني خلفاً لأبيه، وأن على جميع أمراء الأقاليم وقادة الجيوش وكبار موظفي الدولة الإسراع إلى مدينة الحمد لله للمشاركة في مراسيم تنصيب الخليفة الجديد وتقديم البيعة له، وحتى يتسنى له تجديد الثقة فيهم وإعادتهم إلى أقاليمهم تحت إمرة القيادة الجديدة[4].

وخلال مراسيم البيعة وتجديد الثقة حشد الأمير احمدو الثاني الناس وخطب فيهم خطبة بليغة تنم على علمه وتقواه قال فيها :

" أيها المسلمون إخواني في الله لقد بايعتم الله بدون إكراه، ورضتموني إماما لكم، كما بايع المسلمون سيدنا أبابكر بعد وفاة رسولنا محمد ﷺ، أسمحوا لي أن أقول لكم ﷺ بأني سأكون غداً كأي فرد

[1] آدب ولد سيد امحمد: المرجع السابق، ص192.

[2] عبد القادر بن تيجان، المرجع السابق، ص456.

[3] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص352.

[4] نوح عيسى سيديبي : المرجع السابق، ص108.

منكم كما أنا اليوم وكما كنت بالأمس، سأبقى أحمد الأخ ، ابن العم ، ابن الخال، أحمد الرفيق والصديق ، أخاً لكم في الله مخلصا للجميع.

لست إلا بشرا، أي مخلوقا قابلا للصعود وفعل الخير، ومستعدا – للأسف – للهبوط وفعل الشر، وقد قال أبي رحمه الله: إن مدينة حمد الله أسست من أول يوم ليعبد فيها الله وحده ويذكر بلاّ انقطاع، أسست لكي تجد العدالة فيها موئلاً وملاذاً، ويوم لا تكون حمد الله كذلك فإن الله سيخربها، فعليكم جميعا بمساعدتي لإطالة عمر حمد الله والإبقاء عليها، ردوني إلى الصراط السوي إذا انحرفت، أيقظوني إذا غفلت، لا تتبعوني عندما أحيد عن أوامر الله قيد شبر، هذا ما أرجوا منكم أن تعوه في صدوركم ، وتحفظوه في قلوبكم، وتضعوه نصب أعينكم، ولا تغفلوا عنه أبداً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته."[1]

يلاحظ من خلال هذه الخطبة أنها شبيهة بخطبة سيدنا ابوبكر الصديق -رضي الله عنه – في سقيفة بني ساعدة يوم استخلافه،كما أشار إلى ذلك الأمير أحمد نفسه، وهو يبرر ذلك أحقيته بالإمارة وأنها على نهج السلف الصالح من هذه الأمة وليست ملكا عضوضاً، وأعطى بذلك الشرعية لحكمه، وأبرز في خطبته على أنه منهم ولهم وطمأن الجميع على أنه سيبقى احمد المتواضع الأليف، الذي ألفوه وألفهم وأحبوه وأحبهم، ولن يغيره الحكم والإمارة وسيبقى الأخ والصديق المخلص للجميع.

ثم تطرق إلى النقطة الجوهرية والمتمثلة في مناشدة الجميع على التعاون والتآزر للحفاظ على هذه المكاسب التي حققتها الإمارة بفضل الجهود التي أرساها والده بمعية العلماء والمجلس الشورى، وذكرهم بأن إي انحراف عن النهج الإسلامي سيؤدى إلى دمار وزوال هذه الإمارة الفتية، وختم كلمته قريب مما ختم به سيدنا ابو بكر الصديق خطبته، حيث رحب بالنصيحة من أي جهة أتت، وبيّن أن طاعته واجبة عليهم مادام على الكتاب والسنة فان زاغ عنهما فلا طاعة له عليهم.

[1] Ba Amadou et Daget ,Op, Cit, p p326-327.

جوانب من سياسته :

تميز عهد أحمدو الثاني بالسلام والرخاء مقارنة بعهد والده الذي مزقته الحروب، وعهد ابنه الذي عاني منها كثيرا حتى كانت نهايته بسببها، ومع ذلك لم تكن البداية هينة حيث شهدت بعض الاضطرابات الداخلية والخارجية كتمرد بعض قبائل البمبارا وطوارق تنبكتو، وتمكن من التغلب عليها بفضل حنكته، حيث استمال الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وكف عن محاربة القبائل المجاورة لدولته إلا في حالة الضرورة، وقد حققت هذه السياسة نجاحا ملحوظاً، ويمكن القول عموماً بأنه جمع بين الحزم والدبلوماسية، وإلى إقرار قدر من الوفاق الداخلي، وتمكن من الحفاظ على حدود الإمارة فلم يعتدي عليها أحد مدة خلافته[1].

وفـاته : بالرغم من تعلق قلوب الناس به لحسن سيرته إلا أن المنية عاجلته في 27 فيفري 1853م، وهو في عمر الزهور بعد ثماني سنوات من الإمامة (1261-1269هـ /1845 -1853م)[2] زواج خلالها بين نهج والده في السياسة، وخبرة المجلس الشوري في التدبير، وسماحة شخصه في التعامل، فأخرج للناس نمطاً في الحكم والساسة أسر الأصدقاء وأدهش الأعداء[3].

ب- الامير أحمدو الثالث (أحمد الحفيد) (1853-1862م):

هو أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد المؤسس، الأمير الثالث والأخير للإمارة، ولد في مدينة "حمد الله" سنة 1833م، ونشأ في جو يسوده الشعور بالعزة والنصر، حيث كانت ماسينا قد فرضت ذاتها بصفتها دولة مركزية قوية الجانب شديدة البأس يسودها الأمن والرخاء وتنتشر التعاليم الإسلامية في أرجائها، تصف الروايات الماسينية بأنه كان رجلا طويل القامة وسيماً، مولعا بركوب الخيل وقد شارك في العديد من الحملات الحربية فظهرت عليه صفات الجندي الشجاع،كما اقتدى بجده وأبيه في العلم والصلاح والجدية والتنظيم، تتلمذ الأمير الصغير على يد جده المؤسس وعلى شيوخ الإمارة، ومن

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص687.

[2] يحي ولد البراء: المصدر السابق، المجلد الاول، ص137.

[3] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص111.

المؤكد أن معرفته الإسلامية كانت مثل أبناء جيله، بيد أن مستواه العلمي غير معروف، فقد كان اشد حماساً للجانب العسكري أكثر منه للجانب المعرفي، ففي سن الخامسة عشر كان يتبع عمه بالبو في رحلاته العسكرية منبهراً بشجاعته وخبرته في هذا المجال[1].

وصل إلى الحكم ولم يتجاوز العشرين من العمر، غير أن الطريقة التي وصل بها لم ترض الكثير من أعضاء المجلس الكبير، وذلك لان شروط الإمارة لا تتوفر فيه لصغر سنه وقلة علمه وتجربته، حيث كان أعضاء المجلس يفضلون عمه عبد الله(1810م/1858م) لعلمه وتقواه، بيد أن ألفا بالبو الذي كان يطمح للخلافة ويخشى من منافسة عبد الله له، أستغل فرصة عدم وجود عبد الله في العاصمة "حمد الله " لحظة وفاة أخيه الأمير أحمدو الثاني، فوظف نفوذه في المجلس الكبير لاستخلاف أحمد الحفيد مكان أبيه، وأقنعه بتولي الخلافة وأنه الأجدر بها من غيره، وطلب منه التخلي له عن زمام الأمور في الجيش وأن يضيف له بعض الولايات إلى دائرة نفوذه، فوافق أحمد الصغير على العرض غير مكترث بحجم المؤامرة التي تحاك ضد عمه عبد الله من ألفا بالبو[2]، ومنحه هذا الأخير الشارات الرسمية للإمارة المتمثلة في القبعة والسيف وسبحة أبيه المتوفي[3].

وانقسمت العاصمة بذلك إلى قسمين أحدهما يناصر عبدالله والطرف الآخر يناصر الأمير احمد الحفيد ومن وراءه ألفا بالبو والتهبت المشاعر وغدا الاصطدام وشيكاً بين المتنازعين، لولا تدخل" آدي" لدى ولدها عبدالله وطلبت منه عدم المطالبة بالإمارة والتنازل عنها لابن أخيه حقن للدماء ودرءاً للفتنة[4].

وعندما تسلم الأمير احمدو الثالث مقاليد الحكم أجرى تغيرات جذرية على الإمارة فتخلى عن الأعضاء القدامى في المجلس ليحل محلهم شباباً في مثل سنه، لهم ما له من نظرة متحررة للأمور

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص457.

[2] نفسه، ص458.

[3] Joseph ki Zerbo: op, Cit, p259.

[4] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص688.

وتخطى المجلس الكبير في العديد من القضايا، واستبد بالحكم مع مجموعة من المستشارين غير المقتدرين من أترابه وأصدقائه، فأثرت هذه الإجراءات على سير الإمارة، وخلقت بلبلة في صفوف أتباع جده الذين رفضوا هذه السياسة الجديدة رغبة منهم في الحفاظ على النهج الذي سار عليه جده وأبيه، غير انه لم يكترث لذلك ووضع حداً للسياسة التقشف والضغط الذي كانت تنتهجه الإمارة فأعاد ما يدعى "بالي" أي جمعيات الأقران للسمر، وسمح بتنظيم مظاهر الفرح في المناسبات التي كان يشارك فيها بنفسه بعد صلاة العصر في مدينة "حمد الله" والتي كانت تسمى (لاساراجي)، ونظرا للضغوطات التي كانت تمارس عليه من طرف أعضاء المجلس الكبير استخفافاً به لصغر سنه وحداثة مستواه المعرفي، اضطر لاتخاذ إجراءات ردعية لفرض سلطته وكسب احترام الناس له، فوضع عمه عبد الله رهن الإقامة الجبرية لمعاقبته على ما بدر منه من احتجاج وتمرد على الصلاحية الشرعية لبعض القرارات التي اتخذها، كما نبه بعض أعيان المجلس الكبير الذين كانوا يعارضون قراراته في المجلس، بأن عليهم الامتثال لسلطته، ثم قام بتقليص صلاحيات المجلس الكبير وحصر مهمته في تسجيل قراراته والموافقة عليها، وأمام هذا الوضع المشحون استقال بعض أعمدة المجلس الكبير أمثال " ألفا نوح طاهر" و " ألفا سليمان" و " برايما كلبلي بوريما" وفقد المجلس بذلك مكانته وهيبته التي كانت مصدر هيبة الإمارة بأسرها[1].

قضى الأمير احمدو الثالث في الحكم تسع سنوات لم يستطع التغيير أو الحفاظ على استقرار الإمارة كما كانت على عهد سابقيه، حيث تخبط في المشاكل الداخلية التي كانت تعج بها الإمارة، فكان لا يخرج من أحداها حتى يدخل في معضلة اكبر منها، فصارت بذلك الإمارة منهكة و مهلهلة مما جعلها عاجزة عن بدل أي مقاومة فعالة أمام جيوش الحاج عمر الفوتي الذي قضى على الإمارة الفتية وعلى أميرها احمدو و راح ضحيتها خيرة شباب "حمد الله" من حفظة كتاب الله الذئبين عن حمى الدين والعرض، على يد إخوانهم المسلمين من فوتاتورو لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم[2].

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص ص458-459.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص113.

5- نظام الاستخلاف:

أ-الاستخلاف في فترة الشيخ احمدو لوبو:

لما شعر الشيخ أحمدو لوبو بدنو أجله جمع المجلس الكبير وطلب منهم البحث عن خليفة له وخاطبهم قائلا:" تعلمون جميعاً أني لست مخلدا في هذه الدنيا، وبما أن الإمارة ليست ملكا شخصيا لي فإني لا أستطيع التصرف فيها كما يحلو لي، وعليه فإن مهمة البحث عن خليفة لي لتسيير شؤون الدين من بعدي إنما يعود إليكم أنتم الأربعون عالماً المقيمون في "حمد الله"، ومساعدوكم الستون المتفرقون في أرجاء الدولة، أناشدكم الله أن لا تقدموا زمام الأمر لمن لا يستطيع المحافظة على ممتلكات الدولة التي يجب أن لا تنسوا أنها ممتلكات الله، ابحثوا عن رجل جدير مستحق بما يتوفر عليه من الكياسة والحذق والفطنة والعلم والإيمان، تداولوا هذا الأمر فيما بينكم وتناقشوا فيه وارفعوا إلي نتيجة ما تتوصلون إليه، وأكرر لكم مرة أخرى رجائي الخالص أن تنظروا إلى المثل والمبادئ لا إلى الأنساب والألقاب، أي انظروا إلى ما يرضي الله سبحانه ويحمي حوزة الدين وبيضة الإسلام، ولا تلتفتوا إلى ما يرضي أحمد حمدي بوبو الذي يسركم وجوده بينكم وتحبون عقبه و أولاده "[1].

نستشف من خلال هذا الخطاب الحرص الشديد للشيخ أحمدو لوبو على المصلحة العامة للأمة، والنصح للإسلام والمسلمين، فقد وضع أسس صحيحة وقواعد متينة لمن يتولى المسؤولية من بعده، كما حرص أن يعين الخليفة في حياته حتى لا تتفرق الكلمة من بعده، وعهد بذلك للمجلس الكبير ومجلس التحكيم وذلك التزاماً منه بالحفاظ على مبدأ الشورى الذي قامت عليه الإمارة منذ ولادتها، ووضع أمامهم مجموعة من المواصفات الشرعية التي يجب أن تتوفر في الخليفة الجديد، وركز على اختيار ما يرضي الله ورسوله ويحمي بيضة الإسلام ونبذ الأنساب والألقاب، وأصر أن لا يكون حاضراً بشخصه في مداولة المجلس حتى لا يكون عامل ضغط أو إحراج للبعض.

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص352.

وبناء على طلب الشيخ أحمدو لوبو اجتمع المجلسان بمائة عالم ودامت المداولات عدة أيام دون الخروج بنتيجة ملموسة، نظرا لكثرة من تتوفر فيهم المواصفات النزيهة التي اشترطها الشيخ أحمدو لوبو وخاصة أن باب الاختيار كان مفتوحا على مصرعيه لكل مواطن مسلم في الإمارة، الأمر الذي جعل المجلس في حيرة وحرج كبير أمام هذه الشخصيات التي يصعب المفاضلة بينها[1].

وخلص المجلس في الأخير إلى ضرورة تضييق باب الاختيار ليتمكن من استقصاء الرجال ومعرفة نقاط ضعفهم وقوتهم ، فتوصل إلى اعتبار عشيرة " حَمَّن لُبُّ"[2] في الإمارة مثل عشيرة قريش في العرب ، بحيث لا يؤخذ الخليفة من غيرها إلا في حال عدم وجود من يصلح للخلافة منها، وتم إعداد قائمة بأسماء كل الأفراد الذكور البالغين من هذه العشيرة، ثم شرع المجلس في تحليل مواصفات كل شخصية لوحدها ومعرفة مكامن قوتها وضعفها وقدرتها على تحمل المسؤولية، وتوقفت القائمة في الأخير على شخصين بعد أن سقطت كل الأسماء وهما :" ألفا بالبو " ابن أخ الشيخ احمد والابن الأكبر للشيخ المسمى " أحمد " أو احمد الشيخ أو احمد سيكو[3].

عرف ألفا بالبو بالعلم والشجاعة والهمة العالية في تحمل المسؤولية، إلى جانب كونه عضو في المجلس الكبير ونائبا لأمير منطقة " فكلا " في الشؤون العسكرية، وكان اكبر سناً من منافسه أحمد، إلا أن نقطة ضعفه الوحيدة أنه كان يميل إلى الشدة والصرامة في جميع الأمور، مما يجعل منه أصلح في الشؤون العسكرية وقيادة الجيوش عنه في المجلات المدنية التي تتطلب الكياسة والدبلوماسية[4].

أما أحمدو بن الشيخ فقد اشتهر بالعلم وكثرة العبادة والزهد والتواضع، إلى جانب الحذق والفطنة، والميل إلى الليونة والصفح، مع شجاعة وجرأة نادرة، بالإضافة إلى أنه قضى جزءا كبيرا من حياته في ممارسة السياسة، وحكم مدينة "جني" مدة سنة كاملة، ونقطة ضعفه الوحيدة أمام ابن عمه

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص133-134.

[2] هي عشيرة الشيخ احمد و حَمَّن لُبُّ هو جده الثامن.ينظر عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص353.

[3] Ba Amadou et Daget ,Op, Cit, p325.

[4] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص353.

أنه أصغر منه سناً، شهد المجلس سجالاً طويلاً للمفاضلة بين هذين الرجلين وكثر فيهما النزاع، حتى اضطر المجلس إلى التصويت ففاز أحمد على ابن عمه بالبو بفارق أصوات قليلة[1].

ثم قام عميد المجلس الشيخ ألفا نوح طاهر رفع نتيجة المداولات إلى الشيخ أحمدو لوبو الذي فوجئ وبدا عليه الانفعال والاستغراب، فسأل مستنكراً :" ألم يستخدم أحدا حيلة ما في هذا الأمر من أجل أرضائي و إدخال السرور إلى قلبي" فرد عليه عميد المجلس وشرح له الكيفية التي تم بها التوصل إلى هذه النتيجة، فأضاف الشيخ قائلا :"ولكن هل يستطيع المجلس الكبير تحمل مسؤولية إقناع الجماهير بهذا الأمر الخطير، وهل يستطيع الوقوف في وجه المشاحنات و المنافسات التي قد يفرزها هذا الاختيار، وكيف السبيل إلى إقناع الناس بأن هذا الأمر هو قرار المجلس المستقل، لا رغبته هو كوالد أحمد؟." و قدم المجلس ضمانات يتحمل فيها مسؤولية قراره لكي يطمئن الشيخ احمدو لوبو، غير أن هذا الأخير لجأ إلى عذر آخر، فذكر أن هناك معاهدة تمت بين أسرته و أسرة مانغال "عثمان ابوبكر" منذ الأيام الأولى من بداية العمل الدعوي، تقتضي بأن إحدى الأسرتين لا يمكنها أن تتخذ قراراً مصيرياً في أي أمر من الأمور دون مشاورة الأسرة الأخرى وأخذ الأذن منها، و على ذلك لا يمكنه القبول بتعيين ابنه خلفاً له دون أخد الإذن من أسرة مانغال، وعلى أثر ذلك تم استدعاء القائد إبراهيم عثمان ابوبكر عميد الأسرة من مدينة جني لاستشارته في الأمر، فأعلن موافقته ومباركته للقرار، ولم يبق للشيخ احمدو لوبو عذراً آخر فوافق على الاختيار الذي لم يكن راضيا عليه تمام الرضا[2].

نلاحظ مما سبق مقدار الحرج الذي شعر به الشيخ احمدو لوبو نتيجة تعيين ابنه خليفة له، وحاول الاعتراض ووضع العقبات أمامه منذ البداية وواصل ذلك إلى آخر لحظة في حياته، وسنرى شيئاً من ذلك في آخر وصية له لابنه احمد الخليفة، غير أنه ما كان ينبغي للشيخ احمدو لوبو أن يتحرج كل هذا الحرج من هذا التعيين بعد أن صادق عليه المجلس الكبير، بل كان ينبغي له أن

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص134.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص354-355.

يطلب من المجلس إعادة النظر في الطريقة التي تم بها اختيار الخليفة، إذ أن المجلس تجاوز التعليمات التي أصدرها إليه في هذا الخصوص، ويتمثل ذلك في اعتباره عشيرة حمن لب في الإمارة كعشيرة قريش في العرب، فأصبحت هذه العشيرة تحتكر الحق لنفسها في إخراج الخليفة، وتم حرمان مئات الأسر المسلمة من هذا الحق الذي يتساوى فيه الجميع، ويمثل ذلك انحراف عن منهج الإسلام الذي يحرص على تقديم الأكفأ والأجدر دون النظر إلى الأنساب والألقاب، كما أن هذه الطريقة التي اختارها المجلس مع مرور الوقت ستتحول إلى ملك وراثي وهذا ما كان الشيخ احمدو لوبو يخشاه ويتفادى إن يقع فيه.

ومن المفارقات العجيبة أن الأمير احمدو الخليفة الجديد لم يكن راضيا على تعيينه خلفا لأبيه، وربما كان متأثرا بالنصائح الأخيرة لأبيه، فقد تنازل عن حقه في الخلافة لعميد المجلس الشيخ ألفا نوح طاهر، باعتباره حسب رأيه الأجدر والأكفأ والأقرب إلى قلب الشيخ احمدو لوبو من الجميع، لدلائل وقرائن كثيرة، ولكن العميد رفض العرض ونصح أحمدو الثاني بأن لا يخذل رأي المجلس الكبير فيه[1].

وبعد انتقال الشيخ احمدو لوبو إلى رحمة ربه تولى ابنه احمدو الثاني إجراءات الجنازة بمساعدة عميد المجلس ألفا نوح طاهر و ألفا أحمد باه العضو الثاني في المجلس محاطين بإفراد أسرة حمن لب، ثم تلقى احمد التعازي في مقر المجلس الكبير إلى ساعة متأخرة من الليل حيث بدأ الناس في الانفضاض شيئاً فشيئا، طلب الأمير احمد من ألفا نوح طاهر أن يكون أخر المنصرفين لأنه يريد أن يكلمه في أمر هام، ولما خلت القاعة إلا منهما قال له أحمد:" ألفا لقد قال لي أبي في آخر حياته : يا بني أحمد : أعلم أن أثقل مسؤولية ثنت كواهل الرجال النزيهين وقوصت ظهورهم هي الحكم، إن الحكم يا بني يمنحك القدرة، لا أقول الحق على الضرب والتنكيل بالحديد والقتل، إن الدفاع عن الحكم في بعض الأحيان يقتضي تدمير العدو و إبادته، وإن الرؤساء هم أقرب الناس إلى التصديق

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص356.

بأن مقتضيات الحفاظ على سلامة أراضيهم، العمل على إزاحة جيرانهم، وأنه للحفاظ على حقوقهم لا بد من التعدي على حقوق جيرانهم، وعليه فإن لم تكن واثقاً على إسكات مطامحك، وكظم غيظك، وإلجام نوازعك، فإني أنصحك أن تعطي عمامة الخلافة لشخص آخر وتبقى إلى جنب الله سبحانه"[1].

ومنذ أن رأيت والدي رحمه الله (الكلام للأمير الجديد) مسجّى أمامنا ثم رأيته وقد أُنزل في حفرته ووري عليه التراب، قمت باختبار ضميري ووجداني، وتوصلت من ذلك إلى الكثير، وإني أخشى أن يصل بي الأمر إلى التخيل بأني أنظر إلى انحداري من سيكو آمد أنني سعيد أزلا، وأن بإمكاني التصرف في كل أمر كما يطيب لي.

كيف لي أن أعرف يا ألفا متى ينبغي سلّ السيف ؟ ولأي سبب ؟ وضد من ؟

وعليه فإني أفضل أن أحيل إليك عمامة الخلافة، وقد أوصى سيكو أن تغسل جسده بعد موته وتصلي عليه وتتزوج أمي أرملته من بعده، وأن تدفن إلى جواره بعد موتك، وأني أرى من كل ذلك أنه أراد منك فقط أن تقوم بالأمر كله من بعده"[2].

ب.نظام الاستخلاف بعد وفاة الأمير أحمدو الثاني:

وبعد ثماني سنوات من الحكم الراشد المستقر، أصيب الأمير احمدو الثاني بوعكة صحية أحسن منها أنها النهاية، فطلب من ابن عمه بالبو الذي كان قائدا للقوات الحربية وأميرا لمنطقة فاكلا وعميد لأسرة حمن لب، أن يستدعي أخوانه عبد الله ومحمود وحامد المتفرقين في الإمارة، لحسم أمور الخلافة حتى لا تتفرق كلمة العشيرة في حالة ما لو توفي دون وجود من يخلفه، ولكن بالبو الذي كان يخشى منافسة عبد الله له إذا تمت معالجة الأمر بالطريقة الأولى تماطل واعتبرها وعكة صحية فقط[3].

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص138.
[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص358.
[3] نفسه.

فتوفي الأمير احمد بعد ذلك بأيام دون حسم الأمر، فاجتمع المجلس الكبير على عجل لإعداد لائحة بأسماء المستحقين من عشيرة حمن لب، بيد أن بالبو اعترض على ذلك، وأعلن أنه باعتباره عميدا للأسرة وممن يستحقون الخلافة فإنه يتنازل عن حقه في الإمارة لأحمد الحفيد ابن الأمير احمدو المتوفى، وأن على باقي أبناء الشيخ احمدو لوبو الغائبين أن يسيروا على منواله، منعاً للفوضى والاضطراب، فامتنع أعضاء المجلس على ذلك قائلين : "إن بالبو إذا أراد أن يتنازل عن حقه فله ذلك لكنه لا يملك الحق أن يحمل غيره على التنازل وخاصة أنهم غائبون" وكثر الهرج والمرج في المجلس وهنا لجأ بالبو إلى حيلة أخرى اقترح أخد رأي "أدّي" زوجة الشيخ المؤسس، وان يكون رأيها هو الحاسم وكانت امرأة مسنة وبسيطة لا علم لها بالسياسة و لا بألاعيبها، كما أنها هي التي ربت احمد الصغير وتحبه حبا كبيرا، فوافقت على الفور بتعيين احمد الصغير، وتعهدت بإقناع أبنائها الثلاث عبد الله ومحمود وحامد بالتنازل لصالح احمد الحفيد[1].

غير أن عبد الله المرشح الذي توفرت فيه جميع شروط الانتخاب، لم يعترف بالهزيمة وقرر بتأييد من قبيلة كنته أن يزحف على مدينة "حمد الله " ويضرب عليها حصاراً، ونزل بقواته في " يوري " على بعد خمسة كيلو مترات من العاصمة محاولا الاستيلاء على الحكم بالقوة [2]، وانقسمت المدينة إلى قسمين قسماً يناصره وقسم يناصر ابن أخيه احمد ومن وراءه بالبو، والتهبت المشاعر وغدا الاصطدام وشيكاً هنا تدخلت "أدي" لدى ولدها عبد الله وطلبت منه أن يتنازل عن الحكم لابن أخيه، فوقف عند رغبتها حقناً للدماء ودرأ للفتنة ونجت ماسينا من حرب أهلية كادت أن تهلك الحرث والنسل، وبالرغم من هذا التوافق إلا أن ماسينا انقسمت إلى معسكرين متعادين يشن كل منهما حرباً باردة على الآخر[3].

[1] نوح عيسى سيديبي : المرجع السابق، ص140.
[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص458.
[3] آدى آجابي وآخرون: المرجع السابق، ص688.

لكن يبقى التساؤل مطروحا لماذا حرص بالبو على إقصاء أبناء الشيخ احمدو لوبو من الخلافة ثم تنازل عن حقه لأحمد الحفيد، وهو يعلم جيدا إن هذا الأخير لن يتنازل له عن الحكم؟ غير إن الغموض سيزول إذا عرفنا أنه كان حاكما لمنطقة "فكلا" وهي أهم مناطق الإمارة، كما أنه قائد للقوات العامة ضف إلى ذلك أنه عضو في المجلس الكبير، كما نجح في إقناع احمد الحفيد أن يضيف له منطقة ماسينا إلى إمرته وهي ثاني منطقة بعد "فكلا"، وبتجميع هذه السلطات في يده يصبح هو الحاكم الفعلي للإمارة، ولا مانع من التخلص من احمد الحفيد إذا اقتضى الأمر وتهيأت الظروف، وهذا الأمر لا يتأتى له إذا وصل عبد الله أو احد إخوانه إلى الحكم.

ثانيـــاً: الإصلاح الاجتماعي

يوصف الفلانيون بأنهم شعوب مسالمة طبيعتهم هادئة وأخلاقهم طيبة، يمارس معظمهم حرفة الرعي خاصة رعي الأبقار، يتنقلون في أرجاء المنطقة بحثاً عن الكلأ لمواشيهم، وعند قيام أمارة ماسينا الإسلامية عمل الشيخ أحمدو لوبو على تحويلهم من البداوة إلى الاستقرار ومن مجتمع متمسلم يركن إلى عاداته وتقاليده إلى مجتمع يطبق تعاليم الإسلام في جميع شؤون الحياة.

1-النسيج الاجتماعي للمجتمع الماسيني:

حافظت إمارة ماسينا على النسيج الاجتماعي للمجتمع الفلاني من حيث التقسيم، وقد تمكنت من تحويل المجتمع الماسيني من مجتمع بدوي منتقل، إلى مجتمع حضري مستقر وتطور بذلك نشاطهم الاقتصادي،[1] وانقسم المجتمع إلى طبقات متباينة هي: ريمبي، ونياوبي، وريمايبي[2].

أ- ريمبي: (الأحرار) ومفرده ديمو، وينقسمون حسب وظائفهم الاجتماعية إلى العلماء(فلانيو الكتاب) والرعاة (فلانيو العصا) والمحاربين (فلانيو الرمح)، فهؤلاء النبلاء من العلماء والرعاة والمحاربين يمثلون الطبقة الارستقراطية في المجتمع الفلاني، ويتمتعون بعدة مزايا منها التصرف في

[1] آدب ولد سيد أمحمد: المرجع السابق، ص189.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص42.

الأراضي الزراعية والمواشي، وفض النزاعات بين الأهالي، والإشراف على الشؤون العامة وقت الحرب والسلم[1]، ويتألف فلانيو مالي من أربعة عشائر تتفرع عنها عدة ألقاب منها:

- ييرلابي ومفرده غيرلاجو ومن ألقابهم: جال وجالو وكا وكان وديكو.

- أوروبي وفرده أورورو ومن ألقابهم: با وجاكيتي وبالدي وامباكي.

- فيروبي ومفرده فيرجو ومن ألقابهم: سو و سيدبي.

- دابيبي ومفرده دابيجو ومن ألقابهم: باري(لقب الشيخ أحمد لوبو) وسنكاري.

وتجدر الإشارة إلى أن الزعامة السياسية والاجتماعية انتقلت من أربي (ديكو) إلى آل باري منذ نشأت إمارة ماسينا وغدا حينها العلم والمعرفة هما أساس الجاه والمكانة الاجتماعية[2].

ب- نياوبي: هؤلاء ليسو عبيداً لكنهم أقل درجة من الأحرار النبلاء لأنهم ينتمون إلى الجنس الفلاني من ناحية الأم فقط، وينقسمون إلى شرائح متعددة منها:

- وامبايبي مفرده بامبادو: هم المتخصصون في الشعر والمدح ونجد لكل قبيلة مداحاً يدعى " غولو" يمدحها أمام القبائل الأخرى[3]،كما يقومون بحفظ الأنساب، وتسجيل الحوادث والبطولات ويسردونها في المناسبات والأعياد ويتوارثونها من جيل إلى آخر[4].

- لابوبي مفرده لابو: هؤلاء هم نحاتو الخشب.

-والوبي مفرده غالابو: وهم الاسكافيون والدباغون الذين يمتهنون الصناعة الجلدية.

[1] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص24.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص42-44.

[3] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان ...، المرجع السابق، ص25.

[4] ديالو على كلطغ: الثقافة الإسلامية في إفريقيا، مجلة دعوة الحق، ع266، المملكة المغربية، 1408هـ/1987م، ص24.

-مابوبي مفرده مابو: ويمتهن هؤلاء الصناعة النسيجية، حيث يمتهنون كافة الألبسة والأغطية الصوفية والقطنية.

-الحدادون مفرده بايلو: وهم الذين يصنعون الأسلحة والفؤوس والمحرفات والسكاكين وغيرها، ويصطحبون المحاربين في حروبهم لإصلاح أسلحتهم ويكونون سنداً لهم في الحروب[1].

- جاومبي ومفرده جاواندو: اختلف في أصلهم فهناك من يرى أن أباهم فلاني وأمهم سونينكية، ويرى البعض الآخر أن أبهم فلاني وأمهم جنية، إذا فهم خليط من الفلانين وغيرهم، ويعملون كسماسرة ووسطاء تجاريين ومستشاري السلاطين يتصفون بالذكاء والحنكة السياسية، وكان كبير مستشاري الشيخ أحمدو لوبو من أصل جاومبي وهو برايما كليلو (إبراهيم خليل) الذي كان سياسياً محنكاً[2].

ج- ريمايبي (العبيد) ومفرده ديماجو[3]: هؤلاء من أسرى الحروب أو المبتاعون في سوق النخاسة، ويختلفون عن ماسوبي: وهم العبيد المولودون في دار سيدهم، الذين لا يمكن بيعهم[4].

2- موقف الإمارة من العبيد:

تميزت منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر بكثرة العبيد جراء عمليات الغزو والاسترقاق بين القبائل الإفريقية، وتجارة الرقيق التي كان يمارسها التجار الاوروبين المستقرين في الساحل الإفريقي، وكانت الطبقة الارستقراطية الفلانية تسخر هذه الفئة في الإعمال الزراعية وفي تربية المواشي وفي الإعمال المنزلية وفي الحروب كمحاربين أو حراس[5].

[1] Tauxiere, Louis: Op, Cit,p p151-152.

[2] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص341.

[3] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص463.

[4] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص46.

[5] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص619.

كان العبيد قبل قيام إمارة ماسينا يشتغلون في الزراعة، وحين يزرعون حقلاً يأخذ سادتهم الحصاد كله ولا يتركون لهم إلا ما يقتاتون به، وعند قيام إمارة ماسينا وجدت نوعان من العبيد: عبيد بيت المال وهم ممن ورثوهم من عناصر الديكو، أو أسروهم في المعارك، أما النوع الآخر هم الذين استعبدوا قبل قيام الأمارة (1234هـ/1818م)، وقد نجح الشيخ أحمدو لوبو في استمالة العبيد بعد أن أعتقهم بعد انتصاره في معركة نوكوما، وكان شرط العتق اعتناق الإسلام ومعرفة تعاليمه، وكان العبيد يسكنون في خيم مستقلة مرخصة من طرف الإمارة وعين عليهم جباة يعلمونهم تعاليم الإسلام، فإذا تمكن العبد من معرفة تعاليم الإسلام فأنه يصبح حراً، وكان العتق فردياً، وفي حالة عدم العتق تتدخل الإمارة لتقنن العلاقة التي تربطهم بسادتهم أو بالإمارة، فكل العبيد تطبق عليهم نفس القوانين سواء كانوا ملكاً للخواص أو الإمارة، ومن الحقوق التي كان يتمتعون بها ما يلي:

ـ لا يمكن بيعهم إلا إذا اقترفوا خطئاً فادحاً، ولا يمكن قتلهم أو إعدامهم.

ـ يتمتع العزاب منهم بيوم راحة، والمتزوجون بيومين يتصرفون فيهما كما يشاءون.

ـ يجب على الإمارة أو السيد حماية عبده وعلاجه إذا مرض، والدفاع عنه إذا أقتضى الأمر، ودفع الغرامة عنه إذا ارتكب مخالفة.

ـ للعبيد الحق في السكن وفي أرض للفلاحة، ويحق لهم تربية الماعز والدواجن.

ـ يحق للعبد أن يأخذ لقب سيده في جيله الثاني، كما يسمح له باستعمال أرض سيده بشرط أن يدفع عشر المنتوج[1].

ـ أقرت الإمارة أن كل عبد أظهر من الفتوة والشجاعة أثناء الجهاد، فأنه بذلك يستحق التحرر من العبودية، ويروى عن الشيخ أحمدو لوبو أنه قال لهم:" يا أيها الرقيق يا من جئتموني اليوم، إنكم جميعاً أحراراً وسيدخل الجنة معي جميع العبيد"[1].

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص47.

ـ كان يمنح للعبيد المحاربين جزء من الغنائم بعد مشاركتهم في الحروب التي كانت تخوضها الإمارة.

أما الواجبات العبيد مقابل الحقوق المذكورة، فمنها:

ـ يجب على العبد دفع ضريبة خاصة بالعبيد تسمى بالفلانية "جانكول"، وكانت قبل الإمارة تفرض على كل العبيد، ثم قامت الإمارة بتحديدها على من يتراوح أعمارهم 16 و18سنة فما فوق، كما حددت الضريبة تبعاً لقيمة انتاج المنطقة فهي تختلف في منطقة ماسينا عن منطقة كوناري، وتختلف بين النساء والرجال فمثلاً: قيمة الضريبة 10 أوساق من الدخن للرجال و05 للنساء في كوناري.

ـ ينبغي للعبد أن يحرث في حقل سيده أو حقل الإمارة، وترميم بيت سيده ويترك أبناءه مع سيده ليساعدوه[2].

ـ يحق للإمارة تجنيد العبيد كمحاربين أو حراس في جبهات القتال[3].

بالرغم من تحسن أوضاع العبيد في إمارة ماسينا الإسلامية، إلا أنهم لا زالوا يعنون من النظرة الدونية التي حرمتهم من هويتهم الشخصية فهو تابعون لأسرة سيدهم ولا يحق لهم التصرف إلا بعد الإذن منه، وحتى العبيد الأحرار ليس بإمكانهم الاندماج في المجتمع الفلاني، ولا أن يتزوج أحد منهم فلانية، في حين يحق للفلاني أن يتزوج الأمة المعتقة التي تدعى بالفلانية "كوردو"، أما الأمة غير الحرة إذ تزوجت تسمى"تارا" أي أُمٌّ الولد ويكون بذلك أولادها أحراراً[4].

يتضح جلياً أن الإمارة الإسلامية لم تغير النسيج الاجتماعي لقبائل الفلان، وحافظت على النظام الهرمي بالرغم من المساواة المعلنة في الإسلام، وظل المجتمع الفلاني يحافظ على طبقاته عدة قرون، وهذا ما تؤكده هذه القصيدة بعنوان " الحِرَف"

---

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص619.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص47-48.

[3] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص619.

[4] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص48.

لكل عمله، ليبق كل في عمله

أيها الصياد(أي صياد السمك) اطرح شبكتك في الماء

وأنت أيها الفلاني ألزم قطيعك

أيها المزارع احتفظ بالمعول

وأيها الحداد ابق مع سندانك

لكي تقيم في أرض طيبة

فليبق العَالِمُ أمام أوراقه

يسطر الآيات طول النهار

وأنت يا ابن الزعيم التصق بسرجك

شرع الرمح، واقتحم الوغى

وأيها القوال ابق كما أنت بلا خجل

مادمت بلا خجل تنال الثراء."[1]

3- العادات والتقاليد: يتميز الفلانيون عن غيرهم من الشعوب الإفريقية بأنهم أكثر الشعوب تمسكاً بالإسلام، فقد غير الإسلام من طباعهم ومن عاداتهم التي أصبحت إسلامية، ولم يبق من أعراف أسلافهم إلا النزر اليسير الذي لا يتعارض مع تعاليم الدين الحنيف سواء في الزواج أو الطلاق أو الولادة أو غيرها[2].

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص48-49.

[2] علي يعقوب: الفلانيون...، المرجع السابق، ص20.

أ– الزواج: كان الفلانيين قبل الإسلام متحررين من فكرة الزواج، فكل منهم يعاشر من تعجبه من النساء، وإن كان الزواج موجود كعرف، وبعد اعتناقهم الإسلام ألغيت كل العادات السالفة، وأصبح الزواج وفق تعاليم الشريعة السمحاء، الذي يتم بين شخصين بالغين وبرضا الوالدين أو ولي الأمر، وبشهادة رجلين، ويقتضي في المهر وجود بقرة، ويتكفل الأب بالمهر ونفقات الزواج، ويطلق على مراسيم الزواج" كورتوغو" وهو اليوم الذي يجتمع الناس في بيت الفتاة أو في المسجد لعقد القران ويعلن الإمام قيمة المهر أمام الحضور[1].

ب–الولادة: تتميز المرأة الفلانية كغيرها من الإفريقيات بكثرة الإنجاب، وتلد مولودها الأول في بيت أبيها بمساعدة أمها، وتبقى الأم في بيت أبيها سبعة أيام، حيث تقام العقيقة وتسمي المولود الجديد، ويهدى للمولود الجديد أبقاراً من أبيه وأخواله، ويختار له أسماً إسلامياً أو أسماء قديمة بجانب أسماء إسلامية، ويسمى الأبناء حسب الترتيب التالي فإذا كانوا ذكوراً: فالأول يسمى(حمادي) والثاني يسمى(سامبا) والثالث (ديمبا) والرابع(باتي) والخامس(ييرو) والسادس(نيوبو) والسابع(ليلاّ)، وأما البنات فتسمى الأولى(بسيرا) والثانية (كومبا) والثالثة(بيندا) والرابعة(تاكو) والخامسة(دادو) والسادسة(ديمو) والسابعة(سيبو)[2] وهذه الأسماء كلها فلانية، أما الأسماء الإسلامية فإنها تحرف إلى اللغة الفلانية مثل: بوكاري (بوبكر) وبوريما(ابراهيم) وسياكا(إسحاق) وسالفو(صالح) وألاي(عبد الله) وسيدو(سعيد) وكاجاتو(خديجة)وفاتنا(فاطمة) وآيساتا(عائشة) ومايراما(مريم) وجانبا(زينب)...ألخ، وكان الفلانيون ينسبون الابن إلى الأم فيقال: حمادي آمنة، حمادي كومبا، ولما دخلوا الإسلام أصبح الابن ينسب إلى الأب، كما ينسب إلى مسقط رأسه مثل الماسيني أو الجنوي...ألخ[3].

4– الآداب العامة:

[1] عثمان براما باري: المرجع السابق، ص348.

[2] Wane Yaya: Les Toucouler de Fouta Tooro(Sènègal), stratification sociale et structure familiale, initiation et ètudes africaines, n° XXV, IFAN, Universitè de Dakar, 1969, p18.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص52-53.

نظم الشيخ أحمدو لوبو الحياة الاجتماعية في دولته تنظيماً دقيقاً وكان أول قرار اتخذه توطين البدو الرحل في قرى ثابتة يمكن الدفاع عنها وشجع استصلاح الأراضي الزراعية[1]، وبهذا ساعد على استقرار الجماعات البدوية وجعلهم منظمين تحت إشراف موظفين تابعين للدولة يسهرون على رعايتهم وأمنهم، وأمر كل جماعة بإنشاء مسجد وسوق أسبوعي، فتحولوا بذلك من حياة البداوة والترحال إلى حياة الأمن والاستقرار[2]، كما نجح في نشر الإسلام بين القبائل الفلانية خاصة في منطقة ماسينا وما جاورها[3].

أ- النظام اليومي للمجتمع الماسيني:

أقرت الإمارة نظاما اجتماعيا سعت من خلاله الى تهذيب المجتمع الماسيني، رغبة منها في القضاء على العادات والأعراف التي لا تمت بصلة للإسلام سواء ذلك في مدينة "حمد الله" أو غيرها من المدن ومن بين تلك التنظيمات ما يلي:

- نظمت الإمارة جهاز الشرطة وجعلته في مدينة "حمد الله" تحت إشراف سبعة من العلماء من أعضاء المجلس الكبير، يتولون تنظيم الحراسة ومتابعتها، بحيث لا تبق المدينة بدون حراسة سواء من الداخل أو الخارج وخاصة في الليل فتكون الحراسة مشددة، وقد جهز لذلك عشرة آلاف حصان تحت قيادة ألفا سامبا فوتا[4].

- التقسيم اليومي:كان يحبذ في الإمارة أن يقسم المرء يومه إلى أربع أقسام:

الأول: من الفجر إلى صلاة الضحى يكون وقفاً لله تعالى من صلاة وذكر وقراءة القرآن وتعليم وتعلم ونحو ذلك.

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص129.

[2] احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص211.

[3] Joseph ki Zerbo: Op, Cit, p258.

[4] Ba Amadou et Daget :op, Cit, p369.

الثاني: من صلاة الضحى إلى صلاة الظهر يكون للعمل بالنسبة للعامل والتمرين الحربي للعسكري ولطلب العلم بالنسبة للمتعلم.

الثالث: من صلاة الظهر إلى العصر: للشؤون الأسرية العامة والعلاقات الاجتماعية المختلفة.

الرابع: من بعد صلاة العصر إلى العشاء فترة حرة مفتوحة يسمح فيها للحرائر من زيارة ذويهم و أقربائهم، ويسمح للأولاد غير البالغين من اللعب والمرح والمصارعة في الشوارع والأماكن العامة لكن دون رقص أو غناء[1]، ومنع النساء من الرقص والغناء[2]، وفرض على النساء المسنات الاعتزال وعدم الخروج من بيوتهن لمنع كبار السن من الرجال من تذكر شبابهم[3].

وينتهي البرنامج اليومي من بعد صلاة العشاء، إذ لا يسمح لأي شخص أن يخرج من بيته إلا لعذر قاهر، ويستثنى من هذا النظام أصحاب الحرف الذين لا تسمح طبيعة عملهم بالتقيد بهذا البرنامج مثل الرعاة والمزارعين ومن على شاكلتهم من أصحاب الحرف، وكانت المحطة الأخيرة منه محل متابعة جادة من طرف شرطة "حمد الله"، حيث يتعين على كل من ضبط بعد صلاة العشاء أن يكشف عن هويته، فإذا كان متزوجاً يتعين عليه المثول أمام القاضي صبيحة اليوم الموالي لتوضيح سبب خروجه من بيته في تلك الساعة[4].

حاولت الإمارة أن تضفى الطابع الإسلامي على كل شؤونها حتى في النظام الاجتماعي الذي يختلف فيه الناس حسب استقرارهم ومعاشهم، وبالرغم أنها لم تتقيد بما هو مأثور عن الرسول ﷺ وصحابته الأقربين- رضي الله عنهم- في تنظيم حياتهم اليومية، لكنه يشابه الحياة النبوية في بعض أجزائه، فقد كان عليه الصلاة والسلام يبدأ يومه المبارك بصلاة الفجر التي يكره النوم بعدها، ويختمه

[1] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص51.

[2] ينظر الملحق رقم 18.

[3] Joseph ki Zerbo: Op, Cit, p259.

[4] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص685.

بصلاة العشاء التي يكره الحديث بعدها، وروي أنه ﷺ:((إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء))[1]، كما أثر عنه ﷺ أنه قال:((اللهم بارك لأمتي في بكورها))[2].

كما نلاحظ بعض التضييق في بعض أجزاء هذا النظام خاصة فيما يتعلق بالصبية الذين لا يسمح لهم بالخروج إلا بعد صلاة العصر فيه حد من الشطط في حقهم، كما أن منع الخروج بعد صلاة العشاء فيه نوع من الحرج والمشقة يفوق المصلحة المتوخاة منه، خاصة بالنسبة للمتزوجين إذ يؤدي إلى نقصان الثقة بين الناس وسوء الظن بهم في مجتمع مسلم قوامه الثقة المتبادلة وحسن الظن بالناس والتماس الأعذار لهم.

ب- ضبط الأعياد:

لم تكن تسمح أمارة ماسينا من إقامة أي عيد بصورة شعبية جماعية إلا الأعياد الإسلامية المؤثرة عن الرسول ﷺ وهي عيدي الفطر والأضحى، وألغت الإمارة عيد قديم في المنطقة كان يسمى " عودة الأبقار من النزوح" الذي تعود جذوره إلى ما يزيد عن ثلاثمائة سنة، ويطلق عليها بالفلانية "بانيارو"[3].

نظراً لمكانة الأبقار عند الفولان كانوا ينزحون بأبقارهم بحثا عن المراعي الخصبة البعيدة بعد نهاية فصل الشتاء ويعودون إلى قواعدهم بعد أشهر من الغياب، ويعتبر رجوع هؤلاء الرعاة بأبقارهم حدثا كبيرا عند الفولان إلى يومنا هذا ولكن على درجات متفاوتة، حيث يتبارى شباب الفولان في الرعي وتسمين الأبقار، وتكريماً لهؤلاء الشجعان المخلصين الساعين للحفاظ على حرفة الآباء والأجداد، يقام حفل كبير بمناسبة عودتهم مع أبقارهم سالمين إلى أهليهم من رحلتهم الشاقة، ويتحول هذا الحفل إلى معرض سنوي للأبقار، ويتم فيه تكريم الرعاة الفائزين الذين تفوقت أبقارهم في

[1] الإمام مسلم (أبي الحسن النيسابوري): صحيح مسلم، رقم الحديث 287، دار طيبة، الرياض السعودية، 1427هـ/2006م، ص301.

[2] ابو داود(الإمام الحافظ ابو داود سليمان بن الأشعث): المرجع السابق، ج2، رقم الحديث2606، ص240.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص56.

السمن، حيث تتطاير شهرتهم ويصنفون في مصاف الإبطال الشجعان ويبقى ذكرهم الجميل على ألسن الجميع في حياتهم وبعد مماتهم[1].

وأما بالنسبة لإلغاء عيد عودة الأبقار رغم عراقته في نفوس الفلان وتعلقهم به، فقد كان لأعضاء المجلس الكبير رأي آخر، إذ كانوا يرون ما يجري فيه من أثارة حمية الشباب وإلقاء بأنفسهم إلى التهلكة التي تؤدي في العديد من الأحيان إلى الموت من أجل الفوز أو الشهرة، كل ذلك مخالفاً لتعاليم الدين الحنيف وذلك مصداقاً لقوله تعالى:﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2]، كما منع الشعراء من التغني بالأمجاد والبطولات إلا في حالة الجهاد في سبيل الله، ولكنه لم يلغ ما كان يقوم به العلماء من قراءة القرآن والدعاء، بل أقره وشجعه، وأصبحت الأبقار تغدو وترجع بهدوء دون ضجيج أو احتفال[3].

إن ما ذهبت إليه الإمارة من منع للأعياد والأفراح إلا ما وافق الشرع الحنيف رغبة منها في تطبيق شرائع الإسلام في المنطقة كما كانت في صدر الإسلام، لكن بعد أفول الإمارة عاد الفلان إلى الاحتفال بعودة الأبقار لكن بأقل هيبة مما كانت عليه في الماضي، مما يدل على عمق رواسبها في نفوسهم وتجدرها في أعماقهم، وقد أصبحت هذه المناسبة تأخذ الصبغة الرسمية، فقد أشرف الرئيس المالي آمادو توماني توري سنة 2004م على استقبال الرعاة، مما أعطى للمناسبة شهرة كبيرة، ثم اعتبرت منظمة اليونسكو العبور من التراث العالمي منذ سنة 2006م، مما جعل هذه المناسبة قبلة للسياح الأجانب الذين طالبوا بتحديد فترة زمنية مضبوطة حتى يتسنى لهم المشاركة في احتفال العودة، غير أن هذا المطلب ليس بالأمر السهل، لأن عودة الأبقار مرتبط بظروف مناخية، لا يتحكم فيها الإنسان[4].

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص326.
[2] سورة البقرة: الآية 195.
[3] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص328.
[4] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص56.

أما مسألة التضييق على الشعراء ومنعهم من التغني بالأمجاد، رغبة منها في توجيه الشعر وترشيده بما يخدم الإسلام، غير أن هذا التضييق على الشعراء فيه نوع من المبالغة، إذ يعود لهم الفضل في الحفاظ على مآثر الرجال وعلى التراث الإفريقي، ثم أننا نجد التاريخ الإسلامي حافظ على الشعر الجاهلي بالرغم ما يكتنزه من غزل ومجون، وتم الرجوع إليه لتفسير ما أشكل عليهم من مفردات القرآن الكريم، وقد قال في ذلك سيدنا عمر بن الخطاب- رضى الله عنه-:" أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم"[1].

ج- رعاية آداب المنازل:

عملت الإمارة على الحفاظ على الضوابط الشرعية في الدور والمنازل، فكان يتعين على كل من أتيحت له الفرصة من بناء منزل أن يحيطه بسور مرتفع من الطوب أو الحشيش على حسب مقدرة الفرد لحمايته من الأنظار الخارجية، كما طلب من كل عائلة بناء بئر خاص بها حتى لا يضطر الناس إلى الخروج بحثاً عن الماء في الأماكن العامة مما يؤدي إلى الاختلاط المذموم وكشف عورات الدور، ولا يسمح بالاستقاء من مياه الأنهار حفاظاً على الصحة العامة[2]، كما يمنع الفارس من النظر إلى المنازل من على صهوة جواده ويعتبر ذلك انتهاكاً لحرمة الدور ويعاقب القانون على ذلك[3]، ويمنع الدخول على إي أحد في بيته إلا بعد الاستئذان وإلقاء تحية الإسلام "السلام عليكم ورحمة الله" وتلقي الإذن الشرعي بالدخول بالصيغة المتعارف عليها وقتئذٍ وهي " وعليكم السلام ،بسم الله" وإلا يمكن أن يشكو المقتحم إلى القضاء، وقد وضع الإسلام ضوابط شرعية للدخول على البيوت وطبعها

[1] الشاطبي، أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي: الموافقات في أصول الشريعة، تح عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت لبنان، مجلد 2، ص88.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص331.

[3] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص685.

بطابع الإلزام والوجوب فقال عز من قائل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

ومن الآداب الأخرى في هذا المجال أن لا يسمح لرب الأسرة المسافر أن يدخل داره بعد صلاة المغرب دون أخبار مسبق لأهله بذلك، ويمكن للزوجة رفع دعوى قضائية ضد زوجها إن اخل بذلك، لأن ذلك قد يبطن شيئاً من نقصان الثقة في الزوجة وجرح لها في عرضها وشرفها، غير أن هذا الأمر لا يمكن أن يكون من باب الإلزام بل يرجع إلى مكارم الأخلاق وخوارم المروءة[2]، وقد قال رسول الله ﷺ:((إن أحسن ما دخل الرجل على أهله إذا قدم من سفر أول الليل))[3].

ومن الملاحظ على الإمارة أنها سعت جاهدة لتطبيق تعاليم الإسلام والحفاظ العائلة الإسلامية من كل ما يخدش كرامتها أو يهلهل عراها، غير أنه يعاب على المنطقة عدم اهتمامها بالبناء والعمران، لذلك لم تخلف أثاراً حضارية تدل على قيمتها التاريخية، فعند سقوط هذه الدولة تختفي عواصمها أو تتحول إلى قرى كبيرة لا تعبر عن ماضيها التليد، أو تتحول إلى أماكن مهجورة مثل عاصمة ماسينا "حمد الله" التي اختفت معالمها الحضارية ولم يمر على سقوطها سوي قرن ونصف من الزمن، بالرغم من الإمكانيات المادية التي كانت تمتلكها هذه الدول، ولعل هذه الملاحظة تقاس على جل الدول الإسلامية التي قامت في منطقة السودان الغربي مثل "غاو" عاصمة صنغاي، التي سخر من وضعها أمير جيش المنصور الذهبي الذي كتب رسالة له ساخراً من ذلك الوضع بقوله:" إن دار شيخ الحمارة في المغرب أحسن من قصر الاسكيا"[4].

د- الحفاظ على النظافة العامة:

[1] سورة النور: الآية 27.

[2] Joseph ki Zerbo: Op, Cit,p 259.

[3] ابو داود(الإمام الحافظ ابو داود سليمان بن الأشعث): المرجع السابق، ج2، رقم2777، ص294.

[4] محمد الغربي: المرجع السابق، ص271.

ومن السجل الحافل لهذه الإمارة اهتمامها الكبير بالنظافة والصحة، فكان لزاماً على كل الأسر تنظيف منازلها وأفنيتها، وكانت هناك فرق خاصة تجوب شوارع المدينة وأسواقها الثمانية عشر تنظفها بصورة دائمة، وفي الأسواق يلزم باعة الألبان والاجبان إحضار إناء مملوء بالماء النظيف لتنظيف أدوات البيع بعد كل عملية بيع، أما الأطعمة بمختلف أنواعها فيجب أن تكون محمية من الغبار والذباب والحشرات الناقلة للأمراض، كما يمنع إراقة دم الذبيحة في الطرقات أو إلقاء القذروات والفضلات في الشوارع، ويمنع بيع لحم الحيوان المريض أو اللحم الذي تغير لونه أو رائحته، وكانت هناك مجازر خاصة تذكى فيها الحيوانات بواسطة جزارين متخصصين تعينهم الدولة لهذا الغرض عالمين بالضوابط الشرعية والصحية، ومنع التبول في الطرقات العامة، وجعل للبول أماكن خاصة[1].

وكانت الكلاب محظورة في شوارع حمد الله، فكلب الراعي يجب أن يبقى في الحضائر خارج المدينة، وكلب الحراسة يبقى في المنزل ولا يخرج منه حفاظا على الآداب العامة للإمارة[2].

هـ- الضوابط الشرعية في اللباس:

طبقت الإمارة ضوابط اللباس الإسلامي، فأمرت النساء بالحجاب حتى العجائز منهن[3]، اللواتي قال الله فيهن:﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، أما الرجال فكانوا ملزمين في لباسهم بان لا تتعدى أكمامهم الكوعين، وأن لا تتجاوز سراويلهم الكعبين، ولم يكتف شيوخ المجلس الكبير بالمواعظ والإرشادات لحمل الناس على ذلك، بل جندوا جهازاً خاصاً لذلك يحمل الناس على الالتزام باللباس الشرعي[5].

---

[1] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص95.

[2] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص9.

[3] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص685.

[4] سورة النور: الآية 60.

[5] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص52.

ونخلص في الأخير إلى أن التنظيمات السياسية التي أقامتها الإمارة، استمدت تشريعاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث طبقت الشريعة الإسلامية في جل مناحي الحياة، وساد العدل وشعر الناس بالأمن والاستقرار، غير أن نظام الاستخلاف لم يكن مبني على أسس وقوانين واضحة يتم اللجؤ إليها عند الحاجة، رغم محاولة الشيخ أحمدو لوبو في صياغتها وفقاً للشريعة الإسلامية وجعل الحكم من بعده مبني على أساس الحكم الشورى، لكن عندما حصر الحكم في عشيرته "حمن لب" تحول الحكم من شورى إلى وراثي، الامر الذي انعكس سلباً على الإمارة، وأدى الى انهيارها بالرغم من الأسس المتينة التي قامت عليها، والتي لم تعمر سوى أربعاً وأربعون سنة فقط.

تمكنت الإمارة من أن تنظم الحياة الاجتماعية تنظيما دقيقا، بجمع شتات الشعب الفولاني وصهره في بوتقة واحدة في ظل إمارة إسلامية موحدة، وذلك كله بفضل تطبيق تعاليم الإسلام تطبيقاً عملياً، فوطنت البدو الرحل وأخرجتهم من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار والتمدن، وتهذب المجتمع الفلاني الذي تحول إلى مجتمع إسلامي يحرص على تطبيق تعاليم الدين الحنيف في جميع شؤونه.

الفصل الرابع: الإصلاح الثقافي والاقتصادي والقضائي والعسكري

- أولاً: الإصلاح الثقافي
- ثانياً: الإصلاح الاقتصادي
- ثالثا: الإصلاح القضائي
- رابعاً: الجهاز العسكري

تعد منطقة النيجر الأوسط قلب الازدهار الإسلامي في منطقة السودان الغربي، إذ قامت عليها إمبراطوريات كبرى داع صيتها وازدهرت مدنها واشتهر علماؤها كمملكة صنغاي التي انهارت بعد الغزو المراكشي لها سنة 1591م، فأصبحت المنطقة خرابا بلقعاً بعد أن كانت أكثر المراكز الحضارية انتعاشا، وفي ظل هذا الجو المحتدم بالصراعات الدينية والعرقية ظهر الشيخ أحمدو لوبو الماسيني خلال القرن التاسع عشر الميلادي بمشروع إصلاحي حاول من خلاله إعادة المنطقة إلى سابق عهدها وإعادة الدين الإسلامي إلى حياضه النقية، فعمل على إقامة دولة إسلامية على أسس متينة فاهتم بالجانب الثقافي كونه العروة الوثقى لأي بناء حضاري، وأسس بيتاً للمال وأقام نظاما عسكريا للحفاظ على حدود الخلافة، وعين القضاة حرصاً منه على إقامة العدل بين الرعية، وسنحاول في هذه الأسطر الحديث عن الإصلاحات الثقافية والاقتصادية والقضائية والعسكرية التي عرفتها الإمارة.

أولاً: الإصلاح الثقافي

اعتنق الفولانيون الدين الإسلامي وانتشرت الثقافة الإسلامية واللغة العربية في أوساطهم، فغدا ميدان التعليم والمنهاج الدراسية وطرق التدريس مشابهة لما كانت عليه المراكز العلمية الكبرى كالأزهر الشريف والزيتونة والقرويين، وباعتبار الشيخ أحمدو لوبو رجل علم فقد أولى أهمية قصوى للتعليم والثقافة، لأنه يدرك أن أي بناء حضاري لا يصحبه تكوين علمي فمآله الاضمحلال والفشل، وانطلاقاً من ذلك نحاول التعريف بمراحل التعليم في الإمارة ومعرفة المقررات الدراسية والإجازات العلمية، ونستكشف مظاهر اهتمام الإمارة بالجانب الثقافي.

1-استدعاء العلماء من مختلق الأقطار:

إن أي مشروع أصلاحي يجب أن ينطلق من أسس واقعية حتى يصل إلى نتائج مرضية، وقد قطع الشيخ أحمدو لوبو على نفسه أن يكون عمله خالصاً لوجه الله الكريم، ولا يخطو خطوة غير موافقة للشرع الحكيم مقتفياً في ذلك أثر الرسولﷺ وخلفائه الراشدين من بعده، ولا يتأتى ذلك إلا

بالعلم والعلماء الصالحين، وهم ليسوا بالكثرة في منطقة ماسينا حتى تسند لهم جميع الوظائف الهامة في الإمارة، لذلك أرسل الشيخ أحمدو لوبو الرسائل إلى مختلف الأقطار الإسلامية وخاصة منطقة السودان الغربي، ليبشرهم بقيام دولة إسلامية في منطقة ماسينا، وطلب من كل عالم وصله الخبر، ويكون باستطاعته القدوم إلى مدينة "حمد الله"، أن لا يتردد في ذلك وسيجد المجال مفتوحا للمشاركة في إقامة الشريعة الإسلامية في هذه الإمارة الفتية، وقد لقيت رسائله صدى واسعاً واستجابة كبيرة من الكثير من العلماء الذين سيشكلون العمود الفقري للإمارة المتمثل في المجلس الكبير ومجلس التحكيم[1].

ومن النماذج الفريدة التي قَدِمت إلى مدينة "حمد الله" الشيخ ألفا نوح بن الطاهر الذي قام بجولات علمية واسعة أوصلته إلى سوكوتو، فمكث عند الشيخ عثمان بن فودي فترة من الزمن، ثم استقر به المقام عند الشيخ محمد الخليفة الكنتي، ومن عند هذا الشيخ التمسه المجلس الكبير ليساعده في تسيير شؤون الإمارة، ولم يتردد المجلس من أن يمنحه رئاسة المجلس لما اكتشف سعة علمه وخبرته الواسعة في شؤون الحياة[2].

ومن عظيم اهتمام الإمارة بالعلم والعلماء أنها أسندت لهم السلطة العليا في البلاد، فلم يكونوا مستشارين شرعيين بل كانوا مزاولين حقيقيين للسلطة يعينون الأمراء وقادة الجيش والقضاة، ويشرفون على بيت المال وعلى السياسة العامة للإمارة[3].

2- الحلقات العلمية ونظام التعليم:

كانت العاصمة "حمد الله" تتوفر على 600 حلقة من محاضر العلم تدرس فيها العلوم الشرعية والعلوم الأخرى[4]، وحوالي 740 مجلساً من مجالس القرآن الكريم[1]، تحت الإشراف العام للشيخ ألفا

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص152.

[2] Mauro Nobili: Op, Cit, p p84-85.

[3] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص48.

[4] Joseph ki Zerbo: Op, Cit, p259.

نوح بن الطاهر عميد المجلس الكبير، وكانت هذه المدارس تحت كفالة الدولة، يتقاضى المدرسون رواتبهم ومستحقاتهم المالية بيت المال، ولا يسمح لأحد بافتتاح مدرسة إلا بعد توفره على إجازة علمية من أحد العلماء المشهورين، ثم الحصول على إذن رسمي من الشيخ ألفا نوح بن الطاهر[2].

قسم التلاميذ في الإمارة إلى ثلاثة أقسام حسب مستوياتهم العمرية، وكل فئة يشرف عليها أحد أعضاء المجلس الكبير، وكان الشيخ أحمدو لوبو يشرف على الفئة العمرية الثالثة التي يطلق عليها "سنتاج" وينحصر سنها من السادس عشر إلى الحادي والعشرين[3].

وأما عن معيشة التلاميذ الغرباء عن الإمارة فقد كان أهالي المدينة يضمنون لهم وجباتهم اليومية، حيث كانت كل أسرة في المدينة تخصص نصيب من طعامها لطلاب العلم، وكانت هذه الأطعمة تجمع قرب المسجد الكبير وتقسم على الطلبة حتى لا يضطروا إلى ترك الدراسة والتسول في المدينة[4].

وكان التلاميذ في بداية الأمر يجمعون الطعام من البيوت، فاشتكى أهل المدينة إلى المجلس الكبير من سلوكيات بعض التلاميذ البالغين الذين كانوا ينتهكون حرمة البيوت بحجة البحث عن الطعام، ووجدت هذه الشكوى آذاناً صاغية من المجلس الكبير وقرروا أبعادهم عن المدينة، فاستدعى الشيخ أحمدو لوبو جميع التلاميذ المعنيين بالشكوى وقال لهم:" إن شيوخ حمد الله وأرباب البيوت فيها، قد نفذ صبرهم مما وصفوه بسلوكياتكم السيئة المتمثلة في اقتحامكم الدور وانتهاك حرمة المنازل تحت ذريعة البحث عن الطعام، وأنهم لذلك قرروا إبعادكم عن المدينة، وأنا لا أملك إلا أن أنظم

[1] عبد الرحمن محمد ميغا: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن8 إلى القرن13الهجري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1423هـ/2011م، ص124.

[2] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص48.

[3] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص337-339.

[4] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p59.

إليهم، فليحضر كل واحد منكم بأمتعته الخاصة إلى المسجد الجامع بعد صلاة ظهر اليوم حتى آذن لكم بمغادرة المدينة، ثم التفت الشيخ إلى أعضاء المجلس الكبير وقال لهم أرضيتم؟ فردوا بأن:نعم"[1].

وفي الموعد المحدد جاء التلاميذ بأمتعتهم استعداداً للخروج، وفوجئ الجميع بالشيخ أحمدو يحمل متاعه فوق رأسه متأهباً للرحيل معهم، ولما سأله أعضاء المجلس عن ذلك فقال لقد اخترت أخف الضررين إني لا استطيع أن اجبر أهل المدينة على تقبل هؤلاء التلاميذ، ولكن في نفس الوقت لا استطيع أن اطردهم وأنا المسؤول عنهم أمام الله، فقد قررت أن أغادر معهم لعلنا نجد قوما أكثر صبراً، واعرف بقيمة العلم وطلابه، ثم ألتفت إلى التلاميذ وقال لهم: هيا بنا لنخرج الآن، وتقدمهم واصطفوا وراءه وعلامات البشر والرضا بادية على وجوههم[2].

استغرب أعضاء المجلس من هذا التصرف الغريب، واضطروا إلى تقديم الاعتذار للشيخ احمدو لوبو لعله يرجع عن قراره، وبعد إلحاح وافق على الرجوع بشرط أن يرجع معه كل التلاميذ، وأن يظهر أهل المدينة الصبر والتحمل لهؤلاء الغرباء الذين تركوا ديارهم بحثاً عن العلم والمعرفة، وبعد صلاة العصر من اليوم نفسه جمع الشيخ أعضاء المجلس الكبير وقال لهم: بما أنكم لا تتحملون انتهاك حرمة دياركم من هؤلاء التلاميذ الذين ليس لهم مصدر رزق آخر، فأني أريد من رب كل أسرة في "حمد الله" أن يفرض لهم من طعامه الخاص نصيباً محدداً في كل الوجبات الثلاث المعروفة يومياً، حيث يتم تجميع الأطعمة في مكان مخصص لتغذيتهم، كما طلب من التلاميذ بأن كل من يضبط في بيت من البيوت دون أذن رب البيت فأنه يؤدب بالسوط على ظهره[3].

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص157.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p59.

[3] Op, Cit, p p59-60.

أ-مراحل التعليم:

اعتمدت الإمارة على منهج علمي موحد مؤسس على قواعد الفقه المالكي وضعه المجلس الكبير، ولا يسمح لأحد الخروج عن هذا المنهج في جميع أقاليم الإمارة، ويمكن تقسيمه إلى المراحل التالية:

1-المرحلة الابتدائية: وتسمى بالفلانية بمرحلة "فوسونارو"[1]، وتسمى عند قبائل الولوف" دارا" وسماها السعدى " محضرا" وعند قبائل الماندينغ"كارا"، وعند قبائل التكرور" ديالجانتي، وتعتبر هذه المرحلة ضرورية للتلميذ ولا يستطيع أن ينتقل من مرحلة إلى أخرى دون البدء بها[2]، ويقول عند ذلك العلامة ابن خلدون:" إن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغر أشد رسوخاً وهو أصل لما بعده، واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان باختلافهم باعتبار ما ينشأ من ذلك التعليم من ملكات"[3]، ويصف الحسن الوزان طريقة التعليم الأولى في منطقة السودان الغربي:" ويعلمهم المعلم القراءة والكتابة وليس في كتاب معين بل الاستعانة بألواح خشبية كبيرة يكتب عليها التلاميذ ويقتصر درس كل يوم على آية من القرآن، ويختم القرآن في سنتين أو ثلاث سنوات، ثم يستأنف ذلك عدة مرات إلى أن الطفل تعلمه بصورة متقنة جداً ويحفظه عن ظهر قلب"[4].

---

[1] وتسمى بفلانية السنغال فوسانور أو فوسنير، وفي موريتانيا تسمى بألمود. ينظر محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص84.

[2] مقاديم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي – سنغاي) ق 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد بن بلة وهران، 2017-2018م، ص57.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون: المصدر السابق، ص588.

[4] مقاديم عبد الحميد: المرجع السابق، ص57.

أولى الشيخ أحمدو لوبو اهتماما كبيرا بالجانب العلمي، وأصدر قراراً يلزم كل طفل بلغ السابعة من عمره أن يلتحق بالمدرسة القرآنية، وكل من لم يدخل ابنه إلى المدرسة بعد بلوغه سن السابعة فانه يمثل أمام المجلس التأديبي، ويتجول المعلمون في القرى كل عام لتسجيل التلاميذ في المدارس[1]، وعند دخول التلميذ إلى المدرسة يلقن الحروف الهجائية حرفاً حرفاً دون شكل من سورة الفاتحة إلى سورة الهمزة، وتقرأ هذه الحروف باللغة العربية وبالفلانية، ثم ينتقل إلى مرحلة أخرى يبدأ فيها دراسة الحروف مع أشكالها المختلفة بصوت كل حركة، وإذا عرف التلميذ الحروف مشكولة وبدأ القراءة تكتب له آية أو سورة في لوحه بدءاً من الفاتحة والمعودتين، ولا يمحو لوحه إلا أذا أستظهره عن ظهر قلب على الشيخ، وفي نفس الوقت يمرن على الكتابة حتى يتمكن من إتقان الخط[2]، وكان التلاميذ يجبرون على الصلاة منذ نعومة أظفارهم ويعاقبون على تركها[3].

2-المرحلة المتوسطة: تسمى بالفلانية "فالكارو"، ينحصر سن تلاميذ هذه المرحلة من الحادي عشر حتى الخامس عشر ويطلق عليهم " فوسناج"، حيث يواصل التلميذ على ذلك النهج حتى يتم ختم القرءان الكريم كاملاً، وقد تنوعت الختمات عند الفلان، فإذا ختم القرءان بدون حفظ تسمى "دغاوال"، وإذا ختم مع حفظ غير جيد تدعى" كاتافال"، أما الحفظ المستحسن يسمى"سورا"، ثم مرحلة "ألوال هوري" فتقوم على الحفظ الجيد مع كتابة القرءان كله إملائياً، فإذا لم يجد الشيخ إي خطأ إملائي في لوح طالبه فأنه يحصل على درجة "موما رال"[4]، وحين يختم القرءان لأول مرة تقام له وليمة، وتقدم له الهدايا من الملابس والبقر وتسمى مأدبة القرءان، ثم يشرع الدارس في قراءة مبادئ

[1] عبد الرحمن ساكو : المرجع السابق، ص 48.

[2] ديالو على كلطغ: المرجع السابق، ص24.

[3] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص456.

[4] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص86-87.

الفقه المذهب المالكي، والتوحيد في العقيدة الاشعرية[1]، ومبادئ اللغة العربية، وكتب الحديث والتصوف وغيرها[2].

3-المرحلة العليا: تعتبر مرحلة "سانتارو" أصعب المراحل لا يلتحق بها إلا المتفوقون الذين يتمكنون من فنون العلم ويسعون للحصول على الإجازة العلمية[3]، التي هي بمثابة اعتراف من الشيخ لتلميذه بأنه تمكن من فنون ذلك العلم، وأنه مؤهل للتدريس، وتتضمن الإجازة المكتوبة تصريحاً من الشيخ بأن طالبه درس عليه مواد متعددة وتمكن من ناصيتها[4]، ويدرس في هذه المرحلة القراءات السبع أو العشر أو قراءة الشواذ ويعرف الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول، وأحكام الوقف والابتداء والمحكم والمتشابه في القرءان الكريم ، والطالب الذي يصل إلى هذه المرحلة يصبح من الحفاظ المتخصصين في معرفة كتاب الله حفظاً وتجويداً ورسماً، ثم يتجه للتبحر في علوم الشريعة كالفقه واللغة والتفسير[5].

ب- مأدبة القرآن الكريم: اهتمت الإمارة بالتعليم القرآني اهتماماً بالغاً، فابتدعت ما عرف ب"ليلة القرآن"، وذلك أن التلميذ عندما يكمل حفظ القرآن الكريم حفظاً جيداً، ويطمئن شيخه إلى

[1] العقيدة الأشعرية: تنتسب إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري(260-330هـ) الذي انتصر لمذهب السلف في العقيدة، فناضل عما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدى به في ذلك، وأصبح السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً، ولعل من أهم أسباب ظهور المذهب الأشعري في علم الكلام هو ظهور العديد من الفرق الكلامية خاصة بعد الخلفاء الراشدين كالمعتزلة والخوارج والشيعة والجهمية والمرجئة وغيرهم من الفرق، فأفحمهم الشيخ أبو الحسن ورد عل ضلالتهم وترهاتهم، للمزيد ينظر:عبد الغني العمومري: العقيدة الأشعرية وأدلتها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2021، ص ص15-17. وأيضا: أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 2005، ص ص7-8.

[2] ديالو على كلطغ: المرجع السابق، ص ص25-26.

[3] الإجازة: هي اصطلاح عند علماء الحديث يقصد به أن يأذن ثقة من الثقات لغيره بأن يروي عنه حديثاً، أو كتاباً، وتكون هذه الرواية بالأذن معتبرة وموثوقاً بها، للمزيد ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، تع محمد ثابت الفندي وآخرون، م1، مكتبة محمد حسنين هيكل، 1933م، ص ص 433-434.

[4] عبد القادر زبادية: حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م ودور الأوقاف في ازدهارها، مجلة دعوة الحق، ع230، المملكة المغربية، أوت 1983م، ص46.

[5] ديالو على كلطغ: المرجع السابق، ص27.

ذلك يقوم باستدعاء كافة علماء القرية وحفاظها وبعض علماء القرى المجاورة إلى جلسة علنية عامة تسمى " جلسة التسميع"، وهي بمثابة امتحان نهائي للتلميذ يحضره وجهاء القرية وأسرة التلميذ وأقربائه وزملائه في الدراسة[1].

تبدأ الجلسة بعد صلاة العشاء في الساحة العمومية للمدينة أو القرية، حيث يكون العلماء والوجهاء حلقة كبيرة ويجلس التلميذ في وسط الحلقة، ويشرع العلماء والحفاظ في طرح الأسئلة عليه لاختبار قوة حفظه وإتقانه وجودة صوته، وربما شمل الامتحان كتابة بعض الآيات للنظر في تمكنه من الرسم القرآني، فإذا نجح التلميذ في إثبات قدرته على الحفظ والرسم، تمنحه لجنة التحكيم وسام استحقاق شرفي يسمى " وسام الحفظ" ويشكرون مدرسه لما بذله من جهود في تعليمه وتأهيله[2].

وفي الصباح تقوم أسرة التلميذ وأقرباؤه من أعمامه وأخواله بأعداد مأدبة كبيرة تسمى "مأدبة القرآن" تذبح لها الأبقار والخرفان، ويدعى لها علماء المنطقة وحفاظها وزملاء التلميذ وأهل القرية، وبعد المأدبة تقوم أسرة التلميذ بتقديم الهدايا للتلميذ وشيخه من أبقار وملابس وغيرها[3]، ثم أن هذا التلميذ إذا كان واثقاً من حفظه، فيمكنه الذهاب إلى "حمد الله" ليطلب من الشيخ أحمدو الاستماع له واختبار حفظه في جلسة يحضرها كبار المجلس الكبير، فإذا تخطى هذه العقبة فإنه يتميز بين أقرانه ويقول لهم:" لقد سمعني أو أجازني سيكو آمد نفسه"[4].

ولعل هذا التشجيع والتحفيز من الإمارة ينجر عنه نتائج علمية طيبة على الأسر على حمل أبنائها على حفظ كتاب الله والتفاني في طلب العلم، وربطت الإمارة العلم بكل مناحي الحياة، فلا يكون الشخص محترما في المجتمع ما لم يتوفر على قدر من العلم والمعرفة، ولا يكون عضواً في المجلس الكبير أو حاكماً أو قائداً ما لم يكن له حظه من العلم، وبذلك أصبحت قيمة العلم فوق كل القيم الأخرى.

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص342.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p 70.

[3] ديالو على كلطغ: المرجع السابق، ص27.

[4] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p71.

ج- الكتب المقررة للتدريس: أهتم الفلانيون بالكتب الدراسية التي كانت مقررة في المغرب الإسلامي سواء في الفقه أو العقيدة والحديث والتفسير والتصوف واللغة، وكان للشيخ أحمدو لوبو حلقتين علميتين في الصباح يدرس فيها علوم القرآن الكريم وفي المساء السيرة النبوية الشريفة، ومن أهم الكتب في الفقه المالكي: متن الاخضري في العبادات(953هـ/1546م)[1] المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابن عاشر الفاسي(1040هـ/1640م)[2] والرسالة لابن أبي زيد القيرواني(ت386هـ/996م)[3]، وتحفة الأحكام لابن عاصم (ت403هـ/1013م)[4]، ومختصر خليل(ت776هـ/1374م)[5]، والمنتقى للباجي(ت474هـ/1081م)[6]، والمدونة

[1] الشيخ عبد الرحمان بن محمد الصغير الاخضري المالكي (920هـ-953هـ /1512م-1545) من أبرز علماء الجزائر في القرن العاشر الهجري، ولد ببسكرة ودرس بها ثم انتقل إلى قسنطينة ثم إلى جامع الزيتونة بتونس، من أشهر مؤلفاته مختصر الاخضري، السلم في المنطق، نظم الجوهر المكنون، منظومة الدرة البيضاء في الفرائض والحساب، نظم السراج في علم الفلك، وغيرها من المؤلفاتّ، للمزيد ينظر: أحمد بن داود القاضي الاخضري: العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017، ص ص13-15.

[2] الشيخ عبد الواحد بن احمد بن علي بن عاشر الأنصاري، فقيه أندلسي الأصل، نشأ وتوفي بفاس، له تصانيف كثيرة أشهرها المرشد المعين ومنظومة في فقه المالكية وفتح المنان في شرح مورد الظمآن، ينظر، الزركلي خير الدين: الأعلام،ج4 ،دار العلم للملايين، ط15، بيروت لبنان،2002م، ص175.

[3] الإمام عبد الله بن أبي زيد(310-386هـ)، الفقيه العالم الإمام المالكي صاحب الرسالة ولد بالقيروان وتوفي بها، قال عنه القاضي عياض: " حاز رئاسة الدين والدنيا" لقب بمالك الصغير، وقيل أنه ألف رسالته المشهورة وعمره سبعة عشر سنة، للمزيد ينظر: الشيخ عبد المجيد بن إبراهيم الشرنوبي الأزهري: تقريب المعاني على متن الرسالة لابن ابي زيد القيرواني في مذهب الامام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2011، ص ص5-6.

[4] الشيخ عبد الله بن حسين بن إبراهيم بن عاصم، عالم أندلسي من قرطبة، من مؤلفاته الأنواء، واختصر البيان والتبين للجاحط، ينظر، الزركلي: الإعلام، ج4، ص79.

[5] الشيخ خليل (776هـ/1374م) : هو خليل بن إسحاق الجندي، كان علماً من أعلام مصر ثاقب الذهن، أصيل البحث، مشاركاً في علم العربية و الحديث والفرائض، تخرج على يديه عدد من العلماء، توفي رحمه الله عام تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة، وكان ذلك بمرض الطاعون. للمزيد ينظر برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون،كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، بدون تاريخ، ص ص: 115-116.

[6] الإمام أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعيد القرطبي الباجي الأندلسي، فقيه ومحدث وعالم ومتكلم أندلسي، للمزيد ينظر: الباجي: المنتقى شرح الموطأ، تح محمد عبد القادر أحمد عطا،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999،ص ص 4-5.

لسحنون(240هـ/854م)[1]، وجامع المعيار للونشريسي(ت914هـ/1508م)[2]، والمدخل لابن حاجب(ت646هـ/1248م)[3] والبيان والتحصيل لابن رشد (الجد)القرطبي (ت520هـ/1126م)، وفي أصول الفقه: ورقات إمام الحرمين للجويني[4]، وألفية العراقي[5]، وموافقات الشاطبي[6]، وفي النحو والصرف: الآجرومية وملحة الإعراب وقطر الندى ووابل الصدى وألفية ابن مالك وابن عقيل[7]، وفي الحديث: الموطأ للأمام مالك بن انس(ت179هـ)[8]، وصحيح البخاري(ت 256هـ/869م)، وصحيح مسلم(ت544هـ/1149م)، والشفا للقاضي عياض[1](ت544هـ/1149م)، وفي التفسير

التفسير

[1] الشيح عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، الملقب بسحنون، انتهت له رئاسة العلم والقضاء في المغرب، ولد بالقيروان وولي القضاء بها، للمزيد ينظر: الزركلي: الإعلام، ج4، ص5.

[2] الإمام أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي أبو العباس المالكي نشأ في تلمسان واستقر بفاس (ت 914هـ) ينظر: نيل الابتهاج، ص 87. ينظر أيضاً: لويس معلوف: المرجع المنجد في الإعلام واللغة، دار المشرق، بيروت لبنان، ط39، 2002، ص614.

[3] الإمام عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، فقيه مالكي، كردي الأصل، ولد في صعيد مصر ونشأ في القاهرة وسكن دمشق، للمزيد ينظر الزركلي: الأعلام، ج4، ص211.

[4] الامام عبد المالك بن عبد الله الطائي النيسابوري الشافعي (419هـ/478هـ) تبوأ مكانة عالية في عصره، من أشهر مؤلفاته الشامل في أصول الدين، البرهان في أصول الفقه، نهاية المطلب في دراسة المذهب وغيرها، للمزيد ينظر: تاج الدين عبد الرحمن الفزاري المعروف بابن الفركاح الشافعي: شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني، تح سارة شافي الهاجري، دار البشائر الإسلامية، الكويت، 1997م، ص ص15-23.

[5] الامام عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الرحمن، ولد رازتان (من أعمال أربل) ونشأ بمصر، يعد من كبار حفاظ الحديث، للمزيد ، ينظر: الزركلي : الأعلام ، ج3، ص ص 344-345.

[6] الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي وفقيه مالكي، ينظر ، الزركلي: الإعلام ،ج1، ص75.

[7] عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي من أئمة النحاة ولد وتوفي بالقاهرة للمزيد ينظر: الزركلي: الأعلام، ج4، ص96.

[8] الإمام مالك بن أنس-رضي الله عنه- (93هـ-179هـ/712م-795م) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أمام دار الهجرة و أحد الأئمة الأربعة، من أشهر كتبه الموطأ، للمزيد ينظر: القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الامام مالك، تح محمد بن تاويت الطنجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1983م،ج1، ص ص107-117. وينظر: لويس معلوف: المرجع السابق، ص515.

: تفسير الجلالين[2]، وفي علوم القرآن راج كتاب السيوطي[3](الإتقان في علوم القرآن)، وفي المديح البردة للشيخ البوصيري[4].

د- أهم العلماء المؤثرين في الحركة الفكرية في الإمارة:

نحاول من خلال هذا العنصر التعريف ببعض علماء الإمارة الذين خلفوا إنتاجاً فكرياً قل أو كثر، ويتعذر علينا إحصاء كل علماء الإمارة لشح المصادر والمراجع، وتقدر بعض المصادر التاريخية عدد العلماء والفقهاء المشهورين في مدينة "حمد الله" ما يزيد عن ثلاثمائة، لكن معظم انتاجاتهم العلمية والأدبية اندثرت بفعل الحروب الأهلية التي عصفت بالمنطقة[5].

وإليك قصيدة نونية نظمها أحد أدباء ماسينا يدعى الشيخ أحمد حما بركي سماته جمع فيها فحول علماء ماسينا يقول فيها:

بحمد الله "حمد الله" وطني ومسقط جبهتي ومفتاح عين

---

[1] القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب وأمام أهل الحديث في وقته، كان أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي القضاء في سبتة وبها ولد وتوفي بمراكش، ينظر : الزركلي: الأعلام، ج5، ص99.

[2] الجلالين هما: الجلال المحلي المتوفى سنة1459م وجلال الدين السيوطي المتوفى سنة1505م، وربما تم تفضيل تفسير الجلالين لارتباطه بالشيخ السيوطي الذي داع صيته في غرب إفريقيا، ينظر عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص184.

[3] جلال الدين عبد الرحمن (1445م-1505م): هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد بن خليل بن نصر بن الخضر بن الهمام الجلال بن الكمال بن ناصر الدين السيوطي الأصل الطولوني الشافعي، ولد في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة من أم تركية وتربي يتيماً، حفظ القرآن الكريم وتبحر في العلم ودرس علم النحو على الشيخ شمس الدين محمد بن موسى الحنفي وغيره من العلماء، عاش طيلة حياته عفيفاً كريماً، كان الحكام يتوددون إليه بالهدايا فيردها عليهم، ألف مئات الكتب منها : الإتقان في علوم القرآن والدر المنثور في التفسير المأثور وغيره، ألف في جل العلوم، شجع أهله على الذهاب إلى منطقة السودان الغربي بقصد تعليم أهالي تلك المناطق أمور دينهم. للمزيد ينظر : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة (د.ت) ج3، ص،65. وينظر أيضاً: لويس معلوف: المرجع السابق، ص324.

[4] محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري(608هـ-696هـ/1212م-1295م) شاعر صنهاجي نشأ بمصر وتوفي بالإسكندرية، اشتهر بمدائحه النبوية، وأشهر أعماله البردة المسماة " الكواكب الدرية في مدح خير البرية". للمزيد ينظر: مصباح محمد فتح الله: بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2011م، ص ص71 -82.

[5] عبد الرحمن ميغا: المرجع السابق، ص125.

وفي حـــافات حمد الله قوم كـــــرام لم ينلهم كل شين

وجدد سنة في عـام شر جل أمير المـــــؤمنين بغير مين

لقد أحببته حبا بلغيـــــــاً لمن قد كـان صلى القبلتين

خلافة أحمد بن محمد كبـــح ومدة عمـــره لو مـــرتين

أحمد وعبـــد الله مـــــوبـو حياتهما كانت جـــوهريـن

محمد بن عبد الله ذو حـــظ كـذا علي شيخ كنا عابدين

ومدة سبطـه كط وطـــــاء خـــلافة أحمد من أحمدين

وحـامد شيخ كذا عبد السلام بعيدين المـــــلام وأجدرين

ومحمـــــود الذي قد بلغ العلى سخـــــــي اليدين سيدين

وبالـــوبـــو كـــــــريم سيد من خيار القـــوم وصافي الوالدين

كذا الحاج مع غـــــــورو سعيد وأحمـد لوبو من بسطو اليدين

كذا ألفـــا سعيد وحاجي إخوان ونجـــــــلا حما كانا عابدين

كذا ألفا علي شهير عـــــــلم صاحبا الشيخ ونعـم الصاحبين

وألـــــفا حمـــا مســـار سين شاهد الشيخ ونعـــم الشاهدين

وألـــــفا نوح ذو عـــــــز وجاه وألـــــفا مـــــوبو كانا زاهدين

كـذلك هنبركي ذو علم وعدل يقـــوم لنا مـــقام الشاهدين

سليمـــــــــان له في البيت قبر وألـــــــفا بوبا كـــــانا فائزين

ألا بلغوا عني يابني الفولاني أبطال حمد الله كـــانوا فائزين[1]

بالإضافة إلى أن سيرة هؤلاء العلماء تعتمد على الرواية الشفوية، وانطلاقا من قول القائل: "ما لا يدرك كله لا يترك جله" نشرع في ترجمة بعض أعلام هذه الإمارة:

1-الشيخ أحمدو لوبو الماسيني: مؤسس الإمارة الإسلامية في منطقة ماسينا، وقد ترجمنا له في الفصل الثاني، ومن أشهر الآثار التي خلفها كتابه الوحيد " الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء بعض ما اندرس من السنن"[2]، ومكتوب في ساحة مسجد الرسول، وخطبة الجمعة، ورسائل كثيرة منها الرسالة التي أرسلها إلى الشيخ محمد الخليفة الكنتي والتي تتعلق بالولاية الكبرى[3]، والرسائل التي أرسلها إلى الشيخ محمد بيلو وخليفته أبي بكر العتيق، وهذه المراسلات توضح لنا المستوى العلمي الراقي الذي وصلت إليه المنطقة[4].

وقد تتلمذ على يده الكثير من بينهم: محمد بن على فييريج وعلي غدادو وأحمد بن حم غرل وابنه أحمد وغيرهم[5].

2- المختار بن وديعة الله الماسيني: الشهير بيركوي تالفي، ويطلق عليه أيضاً ييرو انغويا أليا‌س، وأما أمه فخديجة توري، وقد مات لها أولاد كثيرون، فدعته بيركوي تالفي تيمناً بأن يبقى حياً، لأنه

[1] عبد الرحمن ميغا: المرجع السابق، ص126.

[2] أحمد بن محمد بن أبي بكر الماسيني (أحمدو لوبو) : المصدر السابق، ص10.للمزيد ينظر: الملحقين رقم 8-9.

[3] الرسالة التي أرسلها الشيخ محمد الخليفة بعنوان :"أوثق عرى الاعتصام للامراء والوزراء والحكام". ينظر، محمد فرقاني: المرجع السابق، ص20.

[4] أبي بكر العتيق: مخطوط أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق عن كتاب الفقيه أحمد لبو، تح علي يعقوب، المركز الإسلامي لإحياء التراث الإسلامي التابع للجامعة الإسلامية بالنيجر، النيجر، 2003، ص ص8-9.

[5] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص93.

ولد أعرجاً، ولا نعرف كثيراً عن نشأته وتعليمه، غير أن الراجح أنه درس في مسقط رأسه في منطقة غوندام ديري، ثم أكمل تعليمه في منطقة تنبكتو كعادة أبناء بلدته[1].

كانت منطقة غوندام وديري تابعة لإمارة ماسينا الإسلامية، ويسهر على تسييرها "أحمد بن ابي بكر وولدوه وري غونيا" وكان قريباً من يركوي تالفي، ولما طعن في السن أستأذن من الأمير أحمد ابن الشيخ أحمدو أن يكون يركوي تالفي خليفة له في "حمد الله" عاصمة الإمارة، فوافق على ذلك، وسمح ذلك ليركوي تالفي أن ينخرط في الطبقة المثقفة وأن يمارس السياسة، فأصبح يحمل الرسائل بين مسقط رأسه والعاصمة قاطعاً المسافة الفاصلة بينهما خلال يوم ونصف يختم القرآن الكريم في ذهابه و إيابه[2].

ثم أشتغل بالتدريس في مدينة "حمد الله"، وكانت حلقته من أكبر الحلقات العلمية لسعة علمه واطلاعه، وقد ساهم في نشر الطريقة التيجانية بمعية الشيخ أحمد بن محمد كوريل، وقد أخذا أورادها على الحاج عمر الفوتي عند زيارته لماسينا سنة 1838م[3]، ولما تولى أحمد الحفيد الإمارة وساءت الأوضاع بسبب التساهل الديني الذي شهدته الإمارة، فضل بعض العلماء الهجرة ومنهم يركوي تالفي الذي التحق بالحاج عمر الفوتي وأصبح ساعده الأيمن ومريده الأمين، ولم يتخلف عنه إلا حين عزم الحاج عمر على احتلال "حمد الله"، ورفض نصائح يركوي تالفي الذي طلب منه عدم احتلال المدينة حقناً لدماء المسلمين، غير أن نصيحته لم تجد آذاناً صاغية عند شيخه، ففارقه وقفل راجعاً إلى مسقط رأسه ناجياً بنفسه، غير أن أجله المحتوم عاجله في الطريق بعد أن أصيب برمح الماسينين الذين اعتبروه عميلاً وتوفي على أثر ذلك في منطقة "ساما" سنة (1279هـ/1862م)[4]، وترك تراثاً علمياً قدر بواحد وعشرين(21) مؤلفاً مابين نثر ونظم وباللغتين العربية والفلانية منها:

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص97.

[2] نفسه، ص98.

[3] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي...، المرجع السابق، ص179.

[4] غير أن هناك من يرى أن يركوي تالفي تعرض للحصار في مدينة حمد الله مع الحاج عمر، فحرره التيجاني حين فروا إلى ديغميري. ينظر: محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص98.

البروق اللامعة في أصحاب الفيوض الهامعة، والفتوح الربانية في أعراب شواهد المعاني القرآنية، وتحفة أهل الجبال في معرفة أحوال الرجال، وجامع الأسرار والأنوار في الصلاة على النبي المختار، وتبكية البكاي التي ألفها سنة1859م، ورسالة إلى ابن أمير المؤمنين عبد الله، والتأييدات الربانية للجماعة التيجانية، وأسئلة وجهها إلى الشيخ أحمد البكاي الكنتي، كما ترك لنا العديد من القصائد منها: قصيدة في مدح الرسول ﷺ ، وقصائد في مدح الشيخ احمد التيجاني، والشيخ أحمد الماسيني وعظماء ماسينا، والحاج عمر الفوتي وغيرها[1].

ونورد من هذه القصائد بعض الأبيات من قصيدته في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والتي عدد فيها معجزات الرسول ﷺ ، ثم توسل به وشكا إليه الضر وذكر اشتياقه وحنينه لمدينته الفيحاء، وهي قصيدة دالية على بحر الوافر:

وسيلتنا إلى الرحمـــــن سرمـــــــد رســـــول الله سيدنا محمـــــــــد
شفيع الخلق يوم البعث يـــوم الـــــج زاء لـــــدى مجئ الرب أحمـــــــد
وكل المرسلـــــين غدا إذا مـــــــا دعوا للحشـــر تحت لواء أحمـــــد
وجـــاء غزالة تشكـــو إليـــــه وضب فـــاه تصديقاً لأحمـــــــد
كذلك بعير قـــتتوم جاء يشكـــــو إليه أذى فاشكـــاه محمـــــــد[2]

3- ألفا نوح بن الطاهر (1115هـ-1277هـ/ 1738م-1860): هو ألفا نوح بن الطاهر بلكو بن أبي بكر بن موسى الفلاني، ولد بقرية داري في منطقة فيتوغا في أسرة أثرية، دخل الكتاب لتعلم القرآن الكريم في صغره، ثم انصرف إلى رعي الغنم حتى بلغ سن الأربعين، فقرر ذات يوم وهو في مرعاه في منطقة تنبكتو البحث عن العلم والمعرفة، فحلق رأسه المزين بضفائر من أقراط الذهب كعادة بانياجي(الرعاة) الفلانيين[3]، وشد الرحال إلى أروان عند الشيخ على بن النجيب[1] ومكث

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص98-99.
[2] نفسه، ص ص100-101.
[3]Mauro Nobili: Op, Cit, p84.

عنده عدة السنوات، ثم التحق بالشيخ المختار الكنتي[2]، وأتم على يده دراسته ونال منه الإجازة، وفي حوالي1808م قرر الذهاب إلى الحج وفي طريقه مر بمملكة الهوسا فاستقر عند الشيخ عثمان بن فودي ثلاث سنوات، ولم يواصل سيره إلى البقاع المقدسة[3].

وفي سنة 1811م رجع ألفا نوح بن الطاهر إلى شيخه المختار الكنتي، الذي وافته منيته بعد أشهر فقط من عودته، فبقي عند ابنه محمد الخليفة حتى سنة (1264هـ/1820م)، الذي بعثه إلى غيلاجو زعيم كوناري مستشاراً وكاتباً له يشرف على مراسلاته الرسمية، ثم التحق ألفا نوح بن الطاهر بإمارة ماسينا بعد أن لاحظ الشيخ أحمدو لوبو جودة مراسلاته، فأخذ الإذن من شيخه محمد الخليفة الكنتي في الاستعانة به في تسيير شؤون أمارته الفتية[4]، ثم عينه رئيساً للمجلس الكبير(باتو ماودو)، وأحد المستشارين الدائمين للشيخ أحمدو لوبو، كما كلف بالإشراف على التعليم في الإمارة، فكان بذلك الرجل الثاني في الإمارة، بل أوصى الشيخ أحمدو أن يتولى رعاية أسرته وأن يتزوج حليلته من بعده، وأن يشرف على غسله والصلاة عليه، وأن يدفن بجواره[5]، وحين توفي في " نياكو كنغو" أمر الأمير أحمد الحفيد بنقل جثمانه إلى مدينة "حمد الله"، حيث دفن بجوار الشيخ أحمدو لوبو وأبنه احمدو الثاني[6].

يعد ألفا نوح بن الطاهر والشيخ المختار بن وديعة الله الماسيني أشهر عالمين داع صيتهما خارج الإمارة، وبالرغم من الشهرة الواسعة لألفا نوح بن الطاهر إلا أن الذي بقي من أثاره المكتوبة

---

[1] الشيخ على بن النجيب: هو العالم الشريف التكروري يرجح أنه من الشرفاء الذين سكنوا إيفوغاسن، تخرج على يده العديد من العلماء من أشهرهم الشيخ المختار الكنتي الكبير. للمزيد، ينظر: ولد سالم حماه الله: الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى دراسات ومراجعات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2010م، ص51.

[2] محمود كعت: المصدر السابق، ص55.

[3] Mauro Nobili: Op, Cit, p84.

[4] Op, Cit, p85.

[5] نوح عيسى سيديبي : المرجع السابق، ص 139.

[6] Mauro Nobili: Op, Cit, p89.

إلا النزر اليسير ومنها: مكتوب في خصائص الرسول ﷺ ، وشرح لامية الأفعال، وأسئلة إلى الشيخ محمد الخليفة الكنتي، ومجموعة من الرسائل (في شأن ظهور الخليفة الثاني عشر في ماسينا)[1].

4-محمد بن عبد الله بن سعاد الفوتي: (1231-1269هـ/1815م-1852م) أشتغل بالقرآن الكريم حفظاً وتدريساً، كما كان شاعراً مفلقاً اشتهر بمدح رسول الله ﷺ، وتزيد قصائده عن ثلاثة آلاف قصيدة باللغة العربية والفلانية تشمل المدح والوعظ والإرشاد والتصوف والزهد وغيرها.

5-محمد بن على فيريج: تلميذ الشيخ احمد ومريده المطيع الذي عاشره ورافقه ونال ثقته، فكان الشيخ يسند إليه بعض أعماله الخاصة، كما كان عالما تقيا وكاتبا ماهرا، ألف كتاب"فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد" وانتهي من كتابته بعد خمسة و أربعين يوما من وفاة الشيخ احمد، وتناول فيه أخلاق الشيخ احمد الفعلية و القولية، فجمع فيه ما تسنى له جمعه من مشاهده هو بنفسه، أو ما كتب عنه من شعر الشعراء ومن مرثيات الذين رثوه بعد وفاته[2]، وله أيضاً " الغيث المريع في شرح هبة البديع"[3] ومصنف في النحو سماه: "إلقاء البشرى على قلب من اهتم بالمقصورة الصغرى"[4].

تمكنت الإمارة من تحقيق مشروع إصلاحي يقوم على أسس علمية إسلامية متينة وذلك لاهتمامها بالتعليم وجعله من أهم أولوياتها، وربطت العلم بكل وظائف الحياة فاستقطبت العلماء وجعلت منهم العمود الفقري للإمارة، وكرمت الحفاظ، وجعلت من العلم مطية للوصول إلى أعلى المراتب في الإمارة، الأمر الذي أنتج نموذجا إسلاميا فريدا رغم عمر الإمارة القصير.

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص110. للمزيد ينظر: الملحقين 12-13.

[2] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص27. للمزيد ينظر: الملحقين 10-11.

[3] شرح للقصيدة الحائية في مدح خير البرية ، المسماة بهبة البديع في ألقاب البديع للشيخ أبي بكر بن القاضي عبد الجليل بن محمد البدماصي الفلاني الماسيني.

[4] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص120.

ثانياً: الإصلاح الاقتصادي

يشمل مشروع الإصلاح الاقتصادي والمالي كافة التشريعات والمنهاج والطرق التي تسهم في تحسين الاقتصاد من خلال التسيير الكفء للموارد المتاحة والاندماج مع الاقتصاديات المجاورة، ولقد وضع الشيخ احمدو لوبو منهجا علميا للإصلاح الاقتصادي والمالي وفقا للشريعة الإسلامية، وعلى ضوء ما سبق فهل نجحت الإمارة في إقامة نظام اقتصادي سليم من الناحية الشريعة؟ وهل تمكنت من تحقيق النهضة الاقتصادية التي كانت تنشدها؟

1-الأنشطة الاقتصادية:

أ-تربية الماشية:

يعد الفلانيون من أكثر الشعوب اعتناء بتربية الماشية وخاصة الأبقار، إذ أن علاقة الفلاني بالبقرة علاقة وثيقة ولا يضاهيهم في حبها والتعلق بها إلا شعب الماسي في شرق إفريقيا الذي يعتقد أن كل الأبقار العالم خلقت له وحده، أما الفلانيون فقد نسجوا حولها الأساطير إذ يقولون أن البقرة سبب وجودهم فأسطورة الخلق عندهم تقول:" في البدء خلق الله البقرة، لكنها بقيت وحيدة، فرق له حالها، وخلق لها المرأة لتخدمها، لكنه وجد أن المرأة نفسها تحتاج إلى من يخدمها، فخلق لها الرجل في خدمتها، هكذا كان من البداية، وهكذا يكون إلى النهاية، المرأة وراء البقرة، والرجل وراءهما الإثنين."، ونجد إلى جانب تربية الأبقار فلانيين آخرين يعتنون بتربية الغنم يسمون "بالينكوبي" أي (رعاة الشياه) والى جانبهم يوجد رعاة الماعز ويطلق عليهم "بيإينكوبي"، غير أن الأغنام كانت تأتي في المرتبة الثانية في الأهمية من الأبقار[1].

1-تنظيم المراعي:

كان لكل قبيلة في دلتا نهر النيجر قبل نشأة إمارة ماسينا مراعي يسهر على شؤونها قائد يدعى "جورو" يُعطى مقابلا من الحليب أو عجلاً إذا كان عدد الأبقار أكثر من أربعين وذلك مدة

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص ص59-60.

بقائها في تلك المراعي[1]، وحين قامت إمارة ماسينا نظمت تربية الحيوانات وسنت لها مجموعة من الإجراءات، فمدنت البدو الرحل واعتنق الكثير منهم الدين الإسلامي، وفرضت الرقابة على الأقاليم مراقبة دقيقة وصارمة، فعملت على تنظيم المراعي على الأسر رغبة منها في تحقيق العدل والمساواة، ونظمت الرعاة في تجمعات رعوية كبيرة، ونصبت أميراً على كل مجموعة رعوية يختص بالنظر في شؤونها ويسهر عليها في حلها وترحالها، وأنشأت مجلساً لأمراء القطعان تحت أمرة أمير واحد يشرف على كل شؤون الرعي ويتلقى التقارير من أمراء القطعان عن حالة الطقس وعن المراعى والغابات والمياه[2]، وكان مجلس الرعاة يتكون من واحد وعشرين تحت إمرة أمير يدعى " أمينو جانجي" فأصبح بذلك لكل منطقة مرعاها الخاص بها، وقسمت المراعي إلى قسمين: مراعي الإمارة ومراعي الحريم، فالأولى هي التي صادرتها الإمارة من أصحابها أو التي أصلحتها، فتقوم بزراعتها وتذهب ضرائبها إلى بيت المال، بينما مراعي الحريم هي مناطق يمنع حرثها وتخصص للرعي وتكون متاخمة للقرى أو قريبة من الأودية والآبار، كما حددت الإمارة مسالك رعوية للأبقار يمرون بها، حتى لا يحدث شجار بين المزارعين والرعاة، وكانت تفرض ضرائب باهظة وعقوبات صارمة على من لم يلتزم بهذه المسالك الرعوية[3].

كما نظمت حركة نزوح الأبقار في رحلتها الموسمية من حلول فصل الخريف إلى بداية فصل الشتاء، نحو المناطق الرعوية التي حددتها الإمارة، فعينت لها مجموعة من الجنود يرافقونها لضمان سلامتها في ذهابها وإيابها، يحمونها من الغارات والحيوانات المفترسة[4].

وبسبب التمدن وضرورة نقل الأبقار إلى المراعي، وحاجة الفلانيين إلى الحليب، فقد قسمت الأبقار إلى "دومتي" و"غارتي" و" بندي"، فهذه الأخيرة تدعى الأبقار الحلوب، وأما دومتي هي الأبقار الحلوب التي تبقى في القرية خلال فصل الأمطار من اجل حليبها، وتتعرض إلى ظروف قاسية

[1]Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p110.

[2]عبد الله عبد الرزاق: الحركات الإصلاحية...، المرجع السابق، ص80.

[3]Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p p110-111.

[4]عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص346.

بسبب المياه الكثيرة والبرودة المفرطة والأمراض الكثيرة، ولا تبق البقرة في دومتي إلا مرة واحدة، أما غارتي فهي الأبقار التي تذهب إلى المراعي البعيدة بحثاً عن الكلأ فتكون بصحة جيدة مقارنة بسابقتها، وهي الأبقار المختارة للتكاثر[1].

ب–الزراعة: ظلت الزراعة اقتصاداً ثانوياً عند الفلانيين منذ عصور قديمة باعتبارهم شعب رعوي، وعندما تأسست أمارة ماسينا الإسلامية نصح غيلاجو الشيخ أحمدو لوبو بالاهتمام بالزراعة تفادياً للمجاعات[2]، غير أن الإمارة لم تغير كثيراً في هذا القطاع بل نظمت العلاقة بين الفلاحين والرعاة، فخصصت مناطق رعوية وأخرى للفلاحة مما أسهم في زيادة الإنتاج الزراعي لتوفر الأسمدة المتراكمة في المناطق الرعوية، وأمرت بتجفيف المستنقعات لاستغلال أراضيها في النشاط الزراعي[3]، كما أجبر التمدن الفلانيين على ممارسة الزراعة، بيد أن الإمارة لم تدخل تقنيات جديدة في القطاع الفلاحي القائم على وسائل بدائية، لكن رغم ذلك فقد تحسن الإنتاج الزراعي الذي كان مرتبطاً بالأمطار يتحسن إذا كثرت ويسوء إذا قلت، ومن أهم المنتجات الزراعية: الأرز، والدخن، والذرة، واللوبيا[4].

اعترفت الإمارة الإسلامية للسكان بملكيتهم القديمة على مزارعهم وأراضيهم، كما كانت تمتلك أراضي زراعية كبيرة تدعى "أراضي الدين" يقوم على زراعتها العبيد (ريمايبي وماسوبي) وهم عبيد بيت المال الذين ورثوهم عن عناصر الديكو، أو أسروهم في المعارك والحروب التي قامت بها الإمارة، ويشرف المجلس الكبير على التصرف في منتجاتها التي توجه لتموين الجيش وكفالة اليتامى والفقراء، ويمكن اللجوء إليها في حالات الجذب والجفاف[5].

---

[1] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p111.

[2] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص79.

[3] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص96.

[4] Mgr A Hacquard: Monographie De Tombouctou, Societe Des Etudes Coloniales a Maritimes, Paris, 1900, P49.

[5] Maurice,delafosse: Op, Cit, p235.

ج- التجـــارة: تميزت منطقة السودان الغربي برواجها التجاري منذ القدم وخاصة مدينة تنبكتو التي عرفت بثرائها الاقتصادي بفضل نشاطها التجاري، وخاصة تجارة المخطوطات التي كانت تدر أرباحاً تفوق أرباح سائر البضائع[1]، عرفت التجارة ازدهاراً واسعاً في ظل إمارة ماسينا بسبب استتباب الأمن، وتوحيد المكاييل والمقاييس والأسعار، وسهر المحتسب على تطبيق القوانين واحترامها، ففي الأقمشة كان مقياس الطول المستخدم هو" الكالا" إي ذراع وخمسة أصابع (50سم)، أما في الحبوب فكانت وحدة القياس تسمى "المدي" ومقداره عشر حفنات باليد، ويوزن الذهب بالتمر الهندي[2] ويدعى هذا المكيال " المكتال" وهو مقياس عربي يساوي 4 إلى 5 غرام، وتحدد جميع أسعار السلع من قبل المجلس الكبير وتختلف من منطقة إلى أخرى[3]، وجعل الشيخ احمدو لوبو في كل الأحياء الشعبية أسواق داخلية[4]، وشهدت التجارة خارجية نشاطاً كبيراً بفضل الموقع الاستراتيجي للإمارة بين الشمال المتوسطي والجنوب الاستوائي، فيأتي من الشمال الملح والمخطوطات والأقمشة والجلود والتمر والأسلحة[5]، ويأتي من الجنوب الذهب والمواد الغذائية والرقيق والخرز والحديد والأقمشة وغيرها من السلع القادمة من المنطقة الاستوائية أو من البضائع الأوروبية القادمة من المراكز التجارية في خليج غينيا، وكانت السفن أهم وسائل النقل عبر نهر النيجر، وعين الشيخ أحمدو لوبو رجلا موثوقا به يدعى "غويدا" للإشراف على الملاحة النهرية، وكانت مدينة تنبكتو وجني وحمد الله أهم المدن التجارية[6].

د- صيد الأسماك: لم يهتم الفلانيون بهذه الحرفة، بل مارسها عبيدهم هواية، واتخذتها قبائل "بوزو" مهنة لهم منذ القدم، فقد كان هؤلاء رعاة البقر مثل الفلانيين، ينتقلون بسفنهم في الأنهار لصيد

[1] الحسن الوزان: المصدر السابق، ص167.

[2] شجر كبير من فصيلة القرنيات أصله هندي يزرع في المناطق الحارة، دائم الخضرة ، أوراقه مركبة ريشية الشكل، ينظر:لويس معلوف: المرجع السابق، ص64.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p103.

[4] علي يعقوب: حياة الشيخ ...، المرجع السابق، ص8.

[5] Mgr A Hacquard:,: Op, Cit, p49.

[6] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p102.

الأسماك وخاصة في فصل الصيف عندما يرتفع منسوب المياه في هذه الأنهار وخاصة نهر النيجر، ولما تأسست إمارة ماسينا الفلانية فرضت على صيادي الأسماك التمدن، فبنوا قرى يستقرون فيها بدلا من المعسكرات المؤقتة، وعلى العموم لم تتدخل الأمارة في تنظيم صيد الأسماك أو تطويره، بل تركته على حاله لبعده عن حاجة الفلانيين الأساسية وهي تربية الأبقار[1].

2-العملة: كانت منطقة حوض النيجر منطقة تجارية مفتوحة، غير أن التعامل بالعملة لم يكن شائعاً في المنطقة حتى مطلع القرن العشرين، بل حتى العملات التي كانت موجودة كانت تأتي من المناطق المجاورة أو من مناطق بعيدة، الأمر الذي شجع المقايضة التي تقوم على استبدال سلعة بأخرى، ولم تكن تشمل سلعة بعينها بل تشمل جميع المواد تقريباً، فكان يستبدل الحيوان بالحيوان والقمح بالحيوان واستبدال القمح بالملح وغير ذلك، وقد وقع خلاف فقهي بين العلماء حول ذلك، كما استخدمت مواد محددة كعملة للتبادل، ومن أهم العملات المتداولة خلال القرن التاسع عشر الميلادي[2].

أ-الودع: هي عبارة عن صدف أو قواقع بيضاء اللون عادة، تستخرج من البحارة الحارة وتعرف بالكوري، كان تأتي من بلاد فارس والهند، وذكر الفيروزبادي في القاموس المحيط: الودع: ودعة، جمعها ودعات: خرز بيض تخرج من البحر بيضاء، شقها كشق النواة تعلق لدفع العين[3].

ب- الملح: تعد من أهم السلع التي كثر الطلب عليها في الأسواق، إذ كانت تستخدم في مختلف مناحي الحياة في الطهي وتحضير الأدوية ودباغة الجلود وحفظ وتجفيف اللحم والسمك، لذلك كانت غالية الثمن في الأسواق، وزاد الطلب عليها عندما استخدمت كعملة تعرف بالعديلة التي تقدر بنصف حمل من الجمل[4]، وقد ذكر هنري بارث أن وزنها بين خمسين وخمسة وستين كيلو غرام،

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص64.

[2] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص ص48-49.

[3] الفيروزابادي : القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1399هـ/1979م، ص89.

[4] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص ص358-375.

وطولها خمسة أقدام[1] وخمس بوصات[2](متر وخمسة وستون تقريباً) وعرضها ثلاثة عشر بوصة(33سم) وسمكها(6.35سم)[3]، وهناك من يقول أن العديلة ليس لها مقياس محدد فهي تختلف حسب نوعية الملح وحسب الحجم فهناك الصغيرة والمتوسطة والكبيرة، والقطع الصغيرة منه تستخدم في البيع والشراء[4].

ج–المثقال الذهبي: يقاس وزنه بالمثقال الذي يساوي أربع وعشرون حبة، كل حبة تساوي أربع حبات من القمح، ويقدر وزنه تقريباً أربع غرامات ونصف، وقدر بارث قيمته في تنبكتو في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف كوري، وكان يصدر الذهب إلى مختلف المناطق على شكل حلقات رقيقة وعلى شكل حبيبات صغيرة، أو على شكل قوالب أو حلي[5].

3–موارد بيت المال في الإمارة:

ينظر الإسلام إلى المال والى كل القيم المادية على أنها وسائل تساعد الإنسان على النهوض بمسؤوليات الحياة الملقاة على عاتقه اتجاه خالقه عز وجل واتجاه محيطه الإنساني، وتمكنه من تحقيق سعادته وصون كرامته، ولا يجب أن تكون هي الغاية القصوى من الوجود الإنساني، الذي يطمح إلى هدفه الأسمى وهو إرضاء الله سبحانه وتعالى وان يمثل العبودية الحقة التي تضمن له السعادة في الدارين، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[6].

أما عن موارد بيت مال الإمارة فقد كانت متنوعة تسعى من خلالها إلى تغطية حاجياتها والقيام بمهامها وواجباتها في كل الظروف والأحوال، وقد كانت هذه الموارد منبثقة من الشريعة الإسلامية وتصرف في الوجوه الشرعية، ومن الموارد الأساسية لبيت المال ما يلي:

---

[1] يقدر متوسط القدم بثلاثين سنتمتر ونصف

[2] البوصة تقدر ب2.54سم

[3] Henri Barth: Viyages et dèciuvertes dans L afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855, tome4, Bruxelles, paris ,1863, p102.

[4] Mgr A Hacquard:,: Op, Cit, p50.

[5] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص ص357–374.

[6] سورة المؤمنون: الآية 115.

أ-الزكـــــاة: كان المجلس الكبير يبعث بسعاته لجمع أموال الزكاة من جميع الأقاليم ظاهرها وباطنها، ومن جميع الأمراء والمأمورين ومن امتنع عن أدائها تأخذ منه كرهاً وقد يتعرض للعقوبة، وكان ولاة الأقاليم وأمراء الجند وأئمة المساجد يمثلون القدوة الحسنة في هذا المجال، فكانوا أول من يقدمون الزكاة، فكان الوالي أول من يقدمها ويعلن عن مملكاته ظاهرها وباطنها أمام الملأ، ثم يأمر الناس أن يتأسوا به في ذلك، وكانت الإمارة صارمة في هذا الباب الذي تعتبره حق من حقوق الله في أموال الأغنياء يدفع إلى الفقراء والمساكين لا يجب تضييعه أو السكوت عليه[1].

ولا ندري أن الإمارة خصصت للزكاة خزانة خاصة بها أم كانت تدمج مع أموال الخزينة العمومية، لكن كل ما اتفق عليه هو أن السعاة كانوا يصرفون أموال الزكاة على مستحقيها الحاضرين في الإقليم، وما يفضل عن ذلك يتم توجيهه إلى بيت المال في "حمد الله"، ليصرف في المصالح العامة للإمارة، بعد الاطمئنان على أن المصارف المنصوص عليها في الآية الكريمة قد أخذت حاجتها وكفايتها، وكانت تسعى الإمارة من خلال ذلك للقضاء على الفقر والمسكنة بشتى الوسائل والطرق، وقد تمكنت من ذلك مع مرور الزمن فتحسن بذلك المستوى المعيشي للمجتمع، وتناقص الفقر بشكل واضحة خاصة بعد استقرار القبائل الفلانية، كما أن الإمارة لم تشهد خلال سنواتها مجاعة عامة وذلك بفضل التوزيع العادل للثروات وإيصال الزكاة لمستحقيها، ويعبر عن ذلك الباحث جونسون بقوله أن:" الدولة الثيوقراطية الجديدة كانت حريصة في تطبيق مبادئها القرآنية من بناء المساجد والمدارس والعناية بالأرامل والأيتام وكبار السن والمدينين والحجاج وغيرهم من المسافرين، وإن ما حاول أحمدو لوبو تحقيقه في الواقع هو مضمون الآية الخاصة بتوزيع الزكاة." أي آية الصدقات في سورة التوبة[2].

وكما ذكرنا أنفاً أن الإمارة نجحت في توطين البدو الرحل من بني الفلان الذين يعتمدون على حرفة الرعي التي توارثها عبر قرون طويلة، وبعد أن نظمت هذه الحرفة وحددت المراعي وقضت

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص264.

[2] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص52.

على الرعي العشوائي، تضاعفت أعداد الثروة الحيوانية خاصة الأبقار بصورة جلية، وزاد مردودها من الألبان واللحوم حتى أصبحت تلعب دورا مهما في الاقتصاد الماسيني، ومن الطبيعي أن تستفيد مؤسسة الزكاة من هذا الوضع المزدهر، فكانت تجبى في السنة آلاف الرؤوس من مختلف أنواع الحيوانات، فمثلاً عجل واحد في ثلاثين بقرة وخروفا واحدا في أربعين من الغنم، ثم تستمر وفق ما يقتضيه الشرع الحنيف، وتدفع إلى مستحقيها دون قيد أو شرط[1].

اجمع علماء الإسلام على ابتعاث الجباة إلى الأقاليم لجمع الأموال الظاهرة من أصحابها ودفعها إلى مستحقيها، أما الأموال الباطنة كالذهب والفضة وغيرهما، فلم يختلف العلماء في أن لأصحابها الحق في تزكيتها وصرفها بأنفسهم إلى مستحقيها دون تدخل الدولة في ذلك، وان استحب بعضهم دفعها إلى الإمام الذي يتكفل بأدائها عنهم، واستند العلماء في ذلك على انه لم يؤثر عن الرسول ﷺ أنه بعث أحداً لمطالبة المسلمين بزكاة أموالهم الباطنة، ويشير إلى ذلك احدهم بقوله:" لما في إحصاء النقود وعروض التجارة من حرج على أصحابها، لا سيما إذا كانت كثيرة، ولأن إظهار مقاديرها وإعلان أمرها أضراراً معنوياً بأصحابها، وقد جاءت الشريعة برفع الحرج و دفع الضرر"، ومع ذلك أجاز بعضهم تدخل الدولة ممثلة في الإمام ونوابه في قبض زكاة الأموال الباطنة وإن كثرت في حال ارتفاع الحرج والضرر[2].

ب– الضرائب: لعل الموقع الاستراتيجي الذي كانت تتمتع به الإمارة باعتبارها همزة وصل بين الشمال الصحراوي وقوافله القادمة من الشمال، والجنوب الغني بمنتجاته الغذائية، ضف إلى ذلك سيطرتها التامة على الملاحة في نهر النيجر خاصة بين مدينتي تنبكتو وجني التجاريتين[3]، وقد عمل المجلس الكبير على توحيد المقاييس والمكاييل والموازيين في كل الأقاليم إمعاناً في تحقيق العدالة، وكانت هذه الأدوات تصاغ بواسطة حدادين مختصين تحت إشراف المجلس الكبير الذي يحتفظ بنماذج منها،

[1] Maurice,delafosse : Op, Cit,p 235.

[2] عبد الله إدريس أبو بكر ميغا : نظام الخراج والعشر في الفقه الإسلامي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الدراسات العليا شعبة الفقه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1405-1406هـ، ص ص423-424.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p102.

وتوزع النماذج الأخرى إلى كل الأقاليم لمحاكاتها والالتزام بمقاديرها، وكان في كل سوق مراقبون يحرصون على الالتزام بهذه الموازين ويعاقبون الخارجين عنها، وسمى هذا الجهاز بالحسبة فكانوا يلاحقون مهربي المسكرات بما في ذلك التبغ[1].

وقد أدى ذلك إلى نمو الحركة التجارية وازدهارها خاصة مع حرص الإمارة على توفير الأمن للتجار في حلهم وترحالهم، وفرضت ضرائب رمزية على البضائع الصادرة والواردة مقابل الحماية وذلك لتسهيل التبادل التجاري وتنشيط الحركة التجارية، كما فرضت الضرائب على الحدادين وصانعي الأحذية والنساجين والخزافين والصيادين، فكانت عشر الإيرادات تذهب إلى جابي الضرائب وخمسها إلى الخزينة العامة للإمارة والباقي إلى حكام المقاطعات يصرفونها في المصالح العامة للإقليم[2]، ومن مظاهر حرص الإمارة على الالتزام بتطبيق الشريعة الإسلامية ما أشار إليه الرحالة الألماني " هنري بارث(1821-1865م) أن الأمير أحمدو الثاني أمر بتغريم كل من يتخلف عن صلاة الجمعة بمسجد جينغبير[3] بتنبكتو[4].

وإذا أردنا استنطاق الفقه الإسلامي حول شرعية هذه الرسوم فأننا نجد الإجابة الشافية في عهد الخلافة الراشدة، فقد كتب أبو موسى الأشعري إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه- يخبره بان تجار المسلمين إذا دخلوا بتجارتهم دار حرب أحذوا منهم العشر فكتب إليه عمر بن الخطاب- رضى الله عنه-:" خذ منهم إذا دخلوا إلينا مثل ذلك العشر، وخذ من تجار أهل الذمة نصف العشر، وخذ من المسلمين من كل مائتين خمسة، فما زاد فمن كل أربعين درهماً درهم" وقال أبو يوسف:" فإن عمر بن الخطاب- رضى الله عنه- وضع العشور فلا بأس بأخذها إذا لم يُتعد فيها على الناس ويؤخذ بأكثر مما يجب عليهم." وقال في موضع آخر:" ثم يؤخذ من المسلمين ربع العشر

[1] محمود كعت: المصدر السابق، ص53.

[2] Joseph ki Zerbo: Op, Cit, p p258-259.

[3] اختلفت الأسماء التي أطلقت فهناك من يسميه جنجوربير أو جنجوبر وبين من يسميه الجامع الكبير، وجانكوبر تعني في لغة سنغاي المسجد الكبير.ينظر: مهدي رزق الله: المرجع السابق، ص311.

[4] محمود كعت: المصدر السابق، ص53.

ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل الحرب العشر، ومن كل ما مر به على العاشر وكان للتجارة وبلغ قيمة ذلك مائتي درهم فصاعداً أخذ منه العشر، وإن كان قيمة ذلك أقل من مائتي درهم لم يؤخذ منه شيء، وكذلك إذا بلغت القيمة عشرين مثقالاً أخذ منه العشر، فأن كانت قيمة ذلك أقل لم يؤخذ منها شيء."[1].

ونستنتج مما سبق أن الضرائب التي كانت تأخذها الإمارة على التجار تجد لها سنداً شرعياً واضحاً من خلال سيرة السلف الصالح، ومن أقوال علماء الإسلام الأوائل.

ومن الضرائب الأخرى التي كانت تفرضها الإمارة وتعد مورداً ثانوياً من موارد بيت المال، وتتمثل فيما يلي:

1- ضريبة المحاصيل الزراعية: وتسمى محلياً "كراط" وهي عبارة عن ودعة واحدة تؤخذ على كل صاع من الأرز، وعلى كل صاعين من المحاصيل الغذائية الأخرى مع نهاية موسم كل حصاد[2].

2- ضريبة الإعفاء من الخدمة العسكرية: كانت تسمى محلياً "باب" كان يدفعها كل من لا يريد المشاركة في الخدمة العسكرية أو لا تسمح له ظروف عمله بذلك كالرعاة الذين لا يستطيعون مفارقة مواشيهم وأبقارهم، فكانوا يدفعون 1500 إلى 5000 ودعة عن كل قطيع، كما فرضت على العبيد الذين لم يسمح لهم أسيادهم بالمشاركة في الحروب[3]، أما التجار وأصحاب الحرف اليدوية فيدفعون هذه الضريبة بالذهب أو الودع حسب ما يحدده المجلس الكبير مراعياً في ذلك نوع الحرفة وقيمة الأرباح التي يجنيها صاحبها منها، وكانت هذه الضرائب كلها موجهة لتغطية نفقات الجيش[4].

---

[1] ابن إبراهيم القاضي أبو يوسف يعقوب: كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1399هـ/1979م، ص ص123-133.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص349.

[3] عبد الله عبد الرزاق: الحركات الإصلاحية...، المرجع السابق، ص80.

4 نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص268.

ونخلص مما سبق أن الإمارة لجأت لفرض هذه الضرائب رغبة منها في تغذية الخزينة العامة بموارد مختلفة لتغطية ضروريات الحياة، غير أن المبررات الشرعية لضريبة المحاصيل الزراعية "كراط" جعلت من الشيخ احمد البكاي يستفتي عن شرعيتها، غير أنه لم يجد جواباً شافياً من الأمير أحمدو الثاني الذي أخبره بأنه لم يجد دليل من الكتاب والسنة يحرم على الدولة فرض ضرائب رمزية على المواطنين لتمويل الخزانة العامة بما يخدم الصالح العام دون إجحاف بالمواطنين أو تضييق عليهم[1]، غير أن هذا المبرر غير منطقي إذا ما تتبعنا الدولة الإسلامية في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، فلم نجد أنها لجأت لفرض أي نوع من الضرائب بالرغم من الظروف الاقتصادية الخانقة التي مرت بها، حتى أن رسول الله ﷺ كان في الأوقات الحرجة يستنهض الهمم لدفع الناس إلى الأنفاق في سبيل الله، فتصدق سيدنا أبو بكر بماله كله، وأنفق سيدنا عمر نصف ماله، وجهز سيدنا عثمان بن عفان جيش العسرة رضي الله عنهم أجمعين، ولم يلجئوا إلى ضرائب يسلطونها على رقاب الناس، بل كانوا يقترضون من بعض الميسورين كما اقترض رسول الله ﷺ أدرعاً لصفون بن أمية لما توجه إلى غزوة حنين وكان مشركاً فقال له صفوان: أغصب يا محمد قال ﷺ: (بل عارية مضمونة)[2]، وقد ورد أنه ﷺ أمر عمه العباس مرة بتعجيل زكاة سنتين في سنة واحدة[3].

هذا وإن كان لبعض العلماء المعاصرين اجتهاد في المسألة وإدراجها في باب المصالح المرسلة كرأي سيد قطب عند حديثه عن الصلاحيات الواسعة التي منحها الإسلام للحاكم بقوله:" فله أن يتجاوز في الناحية المالية مثلاً فريضة الزكاة إلى ضرائب أخرى يتحقق بها التعادل والتوازن، وتزول بها الأحقاد والضغائن، وترتفع بها عن الأمة مضار الترف، ومضار الشظف، ومضار احتباس المال في

[1] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p354.

[2] قحف منذر: الإيرادات العامة للدولة في صدر الإسلام وتطبيقاتها المعاصرة، ط2، البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/2000م، ص ص20-28.

[3] ابي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميدي : الجامع الصحيح وهو سنن الترميدي، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ج3، كتاب الزكاة، رقم الحديث679، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر، 1968/1388م، ص54.

أيدي قلة من الناس، ولكن دون أن يخل بنص أو بقاعدة أساسية من قواعد الحياة الإسلامية."[1]، وبالرغم من ورود مصطلح الضريبة واضحاً إلا أنه من الواضح أنه يقصد بهذه الضريبة الأغنياء من المجتمع لإعادة التوازن الاجتماعي والقضاء على الفاقة والفقر، غير أن الإمارة كانت تفرض هذه الضريبة على كل أطياف المجتمع، ونجد أنه من الصعب تبريرها من الناحية الشرعية، بل كان من الأحرى على الإمارة أن تكتفي بالزكاة الشرعية التي تجبيها نهاية كل موسم زراعي، والله أعلم.

ج- غلات الأراضي الزراعية: كان للإمارة أراضي زراعية واسعة تسمى "أراضي الدين" تابعة لبيت المال، تحت إشراف المجلس الكبير يقوم بزراعتها موالي بيت المال، وهم الموالي الذين تم الحصول عليهم في الحروب، حيث يقسم أربعة أخماسهم على الغانمين طبقاً للشرع الحنيف، ويبقى الخمس لبيت المال، وذلك مصداقاً لقوله تعالى:﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2]، ويتم استغلال موالي بيت المال في الإنتاج الزراعي، وكانت غلات هذه الأراضي يتم تخزينها لحساب الخزينة العامة، وتصرف على الأمور العامة مثل التكفل بالفقراء والمحتاجين، ويتم الإنفاق منها على الوفود التي كانت تأتي إلى العاصمة الحمدلله في المناسبات وغيرها[3].

د- خمس غنائم الحرب: تعد غنائم الحروب مورداً هاماً من موارد الإمارة نظراً لكثرة حروبها المتواصلة مع الدول والقبائل المتاخمة لها والمناوئة لها، لا سيما في سنواتها الأولى خاصة مع قبائل البمبارا في إمارة سيغو وقبائل الطوارق في الشمال والشمال الشرقي، وقد تمخض عن هذه العلاقات المتوترة حروب كثيرة خاصة مع إمارة سيغو، التي قامت بالعديد من الغارات الفجائية على الإمارة

[1] سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت لبنان، 1415هـ/1995م، ص85.

[2] سورة الأنفال: الآية 41.

[3] Maurice,delafosse: Op, Cit,p 235.

أفقدتها الكثير من ثروتها الحيوانية، مما اضطر المجلس الكبير إلى تنظيم حركة الرعي وتنقل الأبقار، وخصص لها فرق من الجيش لحمايتها من الغارات أينما حلت كما اشرنا أنفاً[1].

وكانت الحرب سجال بينهما فقد تمكنت الإمارة من غنم كميات كبيرة من الذهب والودع والمحاصيل الزراعية في حروبها مع إمارة سيغو التي كانت تعتمد في اقتصادها على الزراعة[2]، كما غنمت من قبائل الطوارق العديد من المواشي والأبقار في صرعها معهم، وخاصة في فصل الصيف عندما كانوا ينزحون بمواشيهم إلى المناطق الخصبة حول حوض نهر النيجر، وقد أثر هذا الصراع بين قبائل الفلان والطوارق والممالك السودانية إلى تدهور الحركة التجارية في منطقة السودان الغربي وخاصة مع بداية التوسع الاستعماري في المنطقة[3].

وكان العلماء يشرفون على تقسيم الغنائم وفق ما يقتضيه الشرع الحنيف إلى خمسة أقسام فيقسمون أربعة أخماس على الجند والجزء الخامس يذهب إلى بيت مال المسلمين في العاصمة "حمد الله"، فكانت تدفع من هذه الغنائم أجور الجند و طعامهم وفدية الأسرى وكل ما يتعلق بالمؤسسة العسكرية[4].

والى جانب هذه الموارد الأساسية كانت هناك موارد ثانوية مثل الغرامات المالية التي كانت تقسم إلى خمسة أقسام يذهب الخمس إلى بيت المال وتبقى الأربعة في بيت المال المحلي للإقليم، بالإضافة إلى الهبات الطوعية والركاز وزكاة عيد الفطر وغيرها[5].

---

[1]Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p113.

[2]نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص277.

[3] محمد سعيد قشاط: التوارق: عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ط2، 1989،ص ص 57-78. وينظر أيضاً: عبد الباسط قلفاط: الصعوبات الأمنية للتجارة الصحراوية عبر طريق السودان الأوسط خلال القرن 19م، مجلة البحوث التاريخية، م05، ع02، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة الجزائر، 2021م، ص 224.

[4]Maurice,delafosse :Op, Cit,p235.

[5] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص350.

ونخلص من خلال هذه الإجراءات التي اتخذتها الإمارة مدى اهتمامها بالحياة الاقتصادية إذ حولت المجتمع البدوي الرعوي إلى مجتمع زراعي مستقر، بفضل استصلاح الأراضي التي حولتها من أرض موات إلى أرض منتجة يعتمد عليها السكان في معاشهم، فارتفع بذلك المستوى الاقتصادي الذي انعكس إيجابا على المجتمع الماسيني.

كما نلاحظ أن موارد بيت المال التي أشرنا إليها أنفاً هي نفس الموارد المنصوص عليها في كتب الفقه الإسلامي مع بعض الاختلاف الطفيف، ونلمس من ذلك حرص الإمارة على الالتزام بنصوص الشرع الحنيف في تأمين مصادر الدخل، وذلك رغبة منها في خدمة المواطن الماسيني والحفاظ على تماسك المجتمع وتوازنه، حيث لم يسجل التاريخ أن أحداً من أفراد الشيخ أحمدو لوبو أو أعضاء المجلس الكبير أو أمراء الأقاليم والجند أستحوذ على أموال الإمارة أو اختلس شيء منها، بل كانوا يعيشون نفس المستوى المعيشي الذي كان يعيشه عامة مواطني الإمارة.

ثالثـاً: القضاء في الإمارة

إن من طبيعة النفس البشرية الميل إلى الاجتماع والمساكنة والتعاون على البر وعمل الخير، وحينما يوجد ذلك نجد معه التخاصم والنزاع والخلاف، لأن المجتمع الإنساني يتأرجح بين الخير والشر، وعلى أثر ذلك لا مناص من وجود حاكم يقيم العدل ويشد على يد الظالم والمعتدي، وقاضي ينصف المظلوم من الظالم ويأخذ له حقه، حتى تستمر سفينة الحياة من الغرق ويسود العدل والتآخي والأمن والأمان الذي ينشده الدين الإسلامي القويم، وحتى يتأتى هذا الأمر منح الإسلام للقاضي صلاحيات واسعة تمكنه من ممارسة مهامه على أكمل وجه وأيسر سبيل.

1- المذهب المتبع في القضاء: تميز جهاز القضاء في الإمارة بالأهمية والاحترام رغبة منها تطبيق الشريعة الإسلامية وإقامة العدل والمساواة بين جميع أفراد المجتمع، واعتمد المذهب المالكي مرجعاً

للقضاء في لإمارة ماسينا باعتباره المذهب المتبع في الإمارة، بالإضافة إلى العادات المحلية التي لا تتعارض مع تعاليم الدين الحنيف[1].

2-تعيين القضاة وصلاحيات القاضي:

أ-تعيين القضاة:

نظراً لأهمية القضاء وضرورته الملحة في الحفاظ على نظام الحكم، فقد كانت تخضع عبر تاريخها الطويل إلى نظام الأعراف المحلية، لكن منذ قيام دولة مالي الإسلامية أصبح القضاة يختارون من فئة العلماء والفقهاء المشهود لهم بالتقوى والورع وتحري العدل، هذا بالإضافة إلى الشروط العامة الواجب توافرها فيهم[2].

كان المجلس الكبير يجمع بين السلطتين التشريعية والتنفيذية وفي نفس الوقت يمثل محكمة العدل العليا، وقد كلف الشيح احمدو لوبو " أحمدو حمادي سامبا بوباكاري" المعروف باسم"هامباركي ساماتاتا" بالإشراف على المحكمة العليا منذ الانتصار في نوكوما1818م، وذلك لشخصيته الحادة وصدقه وحرصه على إقامة العدل، فكانت لا تفارقه أربعة أشياء: (القرآن الكريم ، وكتاب الفقه، والسيف، والسوط)، فمن وقع عليه الحكم قضى عليه بما يستحقه فوراً دون تأجيل، وكان "هامباركي ساماتاتا" ينفذ الإحكام بشكل مستقل دون تدخل من أعضاء المجلس الكبير ويشرف على تعيين قضاة الأقاليم دون تحيز أو مداهنة[3]، وقد قال عن ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطابψ:" ينبغي أن يكون في القاضي خصال ثلاث: لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع"[4].

---

[1] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p71.

[2] محمد مولاى: المرجع السابق، ص94.

[3] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص453. ينظر، أيضاً: آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص683.

[4] رسالة القضاء لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضى الله عنه–، توثيق وتحقيق ودراسة احمد سحنون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1412هـ/1992م، ص84.

عينت الإمارة في كل مدينة وقرية كبيرة قاض يشرف على شؤون القضاء و يفصل في الخصومات والنزاعات، بما في ذلك مدينة "حمد الله" التي كانت تحتوي على محكمة خاصة ذات صلاحيات محدودة في كل حي من أحياءها[1]، غير المحكمة العليا التي يشرف عليها المجلس الكبير، وعلى رأس هؤلاء القضاة جميعاً قاضي القضاة، وهو بمثابة وزير العدل في زمننا الحاضر[2].

يتبع قضاة القرى إدارياً لشيخ أو كبير القرية الذي يدعى بالفلانية "جورو" أو "جوم وورو" ولكنه يستقل عنه وظيفياً عنه باعتباره ممثل السلطة القضائية المخولة بالسهر على تطبيق الشريعة الإسلامية، كما يحق للقاضي أن يتصل بأمير الإقليم أو المجلس الكبير أو حتى الشيخ احمدو لوبو نفسه دون الرجوع إلى شيخ القرية[3]، كما يملك الحق في رفع دعوى قضائية ضده إذ تدخل في صلاحياته، حتى أن القاضي كان بإمكانه أن يقاضي الأمراء أمام المجلس الاستشاري، إذا ما ثبت أدانتهم أو تورطهم في قضية من القضايا، أو أخلالهم بالمهام الموكلة إليهم، وذلك رغبة الإمارة في استقلال السلطة القضائية حتى تتمكن من ممارسة مهامها على أحسن وجه[4].

ب–شروط القاضي في الإمارة:

لم أتمكن من الحصول على الشروط والمواصفات العلمية والشخصية اللازم توفرها في القاضي، لكن بالعودة إلى المواصفات التي اشترطتها الإمارة في تعيين أعضاء المجلس الكبير أو في العلماء الراغبين في فتح مدارس قرآنية، نستطيع الوصول إلى كون الشروط المطلوبة في تعيين القضاة لا تقل أهمية عن ذلك من حيث الصرامة والجدية المطلوبة في هذا المنصب الحساس، بالإضافة إلى كون جل علماء المجلس الكبير كانوا قضاة[5]، وهذا الأمر يمكننا من القول أن قضاة الإمارة كانوا مستكملين

[1] عبد الله عبد الرزاق: الحركات الإصلاحية...، المرجع السابق، ص79.
[2] احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص210.
[3] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص242.
[4] احمد بوعتروس: المرجع السابق، ص210.
[5] عبد الله سيسي : المرجع السابق: ص326.

للشروط الشرعية التي يجب أن تتوفر في القاضي المسلم من التقوى والورع وتحري العدل بالإضافة إلى الشروط العامة التي يجب توفرها فيهم[1].

ومن بين أهم مساعدي جهاز القضاء في تحقيق العدالة في المجتمع العملاء المحلفين الذين أطلق عليهم الفقراء الصالحين ويدعون بالفلانية ب "المتاسيبي" و" تيولومبو" كان هؤلاء بمثابة رجال الاستخبارات الذين يبعثهم المجلس الكبير للانبثاث في كل طوائف المجتمع، ومراقبة كل صغيرة وكبيرة مع التركيز على موظفي الإمارة[2].

وكان يتم اختيار هؤلاء بعناية فائقة من الذين اثبتوا زهدهم في حطام الدنيا الفانية وأكدوا إخلاصهم وتفانيهم في العمل ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، وكان اغلبهم من أصدقاء الشيخ احمدو لوبو منذ عهد الصبا والشباب، وقد لعب هؤلاء دورا هاما في الحفاظ على أمن الدولة وسلامتها، من خلال المعلومات الدقيقة التي كانت تصل إلى المجلس الكبير في الوقت المناسب، مما يتيح له الفرصة في اتخاذ القرارات المناسبة أمام كل المستجدات الراهنة، كما كان لهم دوراً كبيراً في حمل موظفي الإمارة على الاستقامة والانضباط في عملهم[3].

ج–صلاحيات القضاة:

كانت المحاكم الكائنة في الأحياء أشبه ما تكون بلجان مصالحة من محاكم حقيقية، حيث كانت لا تلجأ إلى الحكم بين الخصمين إلا تحت ضغط من احدهما، بل تعمد إلى النصح والإرشاد واستثارة مشاعر القربى و علائق الرحم لحمل الخصمين على التراضي وسحب القضية من المحكمة،

[1] للمزيد حول الشروط الشرعية للقضاء ينظر: ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي: الأحكام السلطانية، دار ابن قتيبة، الكويت، 2008م.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p72.

[3] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص241.

وكثيراً ما كانت تكلل هذه المساعي بالنجاح ويرجع الخصمين إلى سابق عهدهما من الود والصفاء، هذا إن لم تكن القضية تتعلق بحد من حدود الله مثل القتل أو انتهاك الأعراض[1].

ومن هذا المنطلق كانت الإمارة تحرص حل النزاعات بالنصح والمصالحة بين الخصوم قبل قطع الحكم بينهما، وإن معظم القضايا التي تصل إلى المحاكم تكون في الغالب استعصت على حكماء المجتمع ولم يعد لها حلاً سوى الشرع القويم، ومن اشهر الوسطاء الاجتماعيين الذين وضعتهم الإمارة للتوفيق بين المتخاصمين " بوريما كليلو" و "سوسوبي دو ماكينا" وكل ذلك رغبة منها في الحفاظ على التماسك الاجتماعي، وإفساح المجال أمام الحكماء والعقلاء من أبناء المجتمع للقيام بدور المصالحة وبتر خيوط النزاع والشقاق بين أفراد المجتمع[2].

أما جرائم القتل والزنا والسرقة ونحوها، فلم يسمح فيها بالتدخل أو الوساطة لأنها تتعلق بحد من حدود الله، ولم تتناول المصادر التاريخية التي أطلعت عليها أمثلة عن السرقة أو الزنا، في حين نجد أمثلة عن القتل يتسبب فيها بعض الأشخاص بدافع مشاحنات شخصية أو رغبة في التمرد، ويتم تنفيذ حكم الإعدام على أحد أبواب مدينة "حمد الله" على يد الجلاد المعروف باسم "كيرسوو"[3]، وقد حدث تمرد في مدينة جني حيث تآمر بعض الأشخاص على ممثل السلطة وقتلوه، مما أدى إلى نشوب فتنة تقاتل فيها الفلان وسنغاي في المدينة، وكاد الأمر أن يتحول إلى حرب أهلية لولا تدخل السلطة الماسينية، وتم محاكمة كل من شارك في الفتنة وصدرت في حقهم غرامات متفاوتة، ما عدا شخصين كانا على رأس الفتنة تم قتلهما[4]، عملاً بقوله تعالى:﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[5].

[1] الهادي المبروك الدالي: قبائل الفلان...، المرجع السابق، ص93.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p72-73.

[3] Op, Cit, p73.

[4] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص238.

[5] سورة المائدة: الآية33.

كان قضاة الأقاليم على اطلاع على ما يصدر من أحكام قضائية في الأقاليم الأخرى، ويسمح لهم بالنظر في القضايا الابتدائية[1]، وإذا استعصت عليهم تحال على المجلس الكبير، كما أن القضايا الكبيرة لم يكن يسمح لقضاة الأقاليم بالفصل فيها مثل القتل والرجم وغيرها، فكانت لا تنفذ إلا في مدينة "حمد الله"، بعد استماع قضاة المجلس الكبير إلى جميع القضايا سواء في المرحلة الابتدائية أو في مرحلة الاستئناف، يتم اللجوء إلى تحكيم أحد الفقهاء المشهورين للنظر في القضية ولإصدار الحكم النهائي[2]،كما كان بإمكان قضاة المجلس السفر إلى الأقاليم للفصل في بعض القضايا أو جمع المعلومات حول قضية شائكة أحيلت على المجلس، وكان كل القضاة يتقاضون رواتبهم من الإمارة[3].

3- قضية غيلاجو أمير كوناري وتداعياتها القضائية: من أشهر القضايا التي أحيلت على المحكمة في إمارة ماسينا قضية حاكم كوناري المدعو غيلاجو ، والتي عرفت تداعيات على المستوى القضائي والعسكري والسياسي، وشكلت منعطفا قضائيا من خلال أطوارها ونتائجها[4].

وخلاصتها أن بعض شيوخ المجلس كانوا متوجسين من تصرفات غيلاجو وغير واثقين من إيمانه، فجمعوا حوله بعض البراهين والأدلة لإدانته، وتمكنوا من استدراجه إلى العاصمة "حمد الله"، وتم تشكيل محكمة مكونة من خمسة قضاة لمحاكمته وقد جرت تفاصيل المحكمة على النحو التالي:

_ جلاجُ بيُّ بوبُ حمبيطيج[5]: هل أنت في كامل قواك العقلية؟ هل أنت مريض أو تحس بالإرهاق؟ ((الكلام للمحكمة)

_ أنا بكامل قواي العقلية، ولست مريضاً ولا مرهقاً؟ ، ولكن لماذا تلقون علي هذه الأسئلة التافهة؟

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص683.

[2] Maurice,delafosse :Op, Cit, p235.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p72.

[4] سنتناول طرفا من هذه القضية في الفصل الأخير.

[5] هذا الاسم الكامل لغيلاجو أو جلاج

_ لإنك متهم بالخيانة والارتداد عن الإسلام، ومحاولة قلب النظام، "حَمبَرَكِ سَمتات"[1] سيقيم الدعوى عليك، ينبغي عليك أن ترد على جميع ما سيوجه إليك من التهم، ونحن مكلفون بالحكم في القضية على وفق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

حمبرك سمتات يتناول الكلام:

_ جلاج بي بوب الذي ترونه أمامكم كان منذ أول يوم من إسلامه تحت رقابة رجالي.

_ صاح غيلاجو محتجاً: بأي حق تضعني تحت المراقبة.

_ أنا المكلف بالأمن في الدولة، لقد أمرت بمراقبتك لأني اعتبرت إسلامك دائماً حيلة ومكراً من طرف أمير محارب يجد نفسه في موقف الضعف، فيتراجع برهة لاستعادة قواه ثم يعود للانتقام، كل تصرفاتك الصغيرة كانت تحت المراقبة الدقيقة.

لقد ثقل رأسك أنت وذووك أكثر من مرة بفعل النبيذ، فكم من مرة شوهدتم فيها وأنتم تترنحون وتتمايلون من السكر، وكم من مرة تقيأتم في الأسواق أمام الناس، وكم من مرة تلفظتم بالألفاظ البذيئة بحق مقدسات الدين وحرماته، ووصفتم العلماء بمسودي ألواح الخشب، وشاربي مياه الحبر الأسود. وبحوزتي هنا كل آلات عصر النبيذ، تم استخراجها من بيتك، لا بل ويكفي للدلالة على خيانة غيلاجو سفره إلى تنبكتو بدون أذن "حمد الله" ومقابلته الشيخ سيدي محمد الكنتي، وعليه فإني أطلب أن يعتبر غيلاجو خائناً للدولة مرتداً عن الإسلام، وأن ينفذ في حقه حكم الإعدام، وأن يمحى أسماء عقبه وجميع المقربين إليه من أفراد أسرة حمبيطج من قائمة الأسر العريقة ذات المجد في المنطقة[2].

[1] هو المسؤول عن الأمن العام في الإمارة وعضو نافذ ي المجلس الكبير.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p.p153-154.

_ هنا يرد أحد القضاة: هذه القضية لا تخص إلا غيلاجو، وجريرة الشخص لا يؤخذ بها غيره مهما كانت عظيمة وواضحة، لان الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[1].

تسأل المحكمة أخيراً: ماذا عندك من الرد فيما وجه إليك من التهم؟

_ ليس لدي كلام كثير، لقد دخلتم في دينكم ظنا مني بأن يعطيني من الحق مثلما ينبغي أن يكون لكل شخص في مستواي، ولكن التقسيمات الأخيرة للأراضي من قبل المجلس أوضحت لي أني أخطأت كثيرا، ولم أخف اعتراضي على ذلك منذ البداية، وهنا أعود لأؤكد لكم عزيمتي الصادقة على غسل هذا العار الذي لحق بي مهما كان الثمن، وقد كتبت رسالة إلى الشيخ احمدو لوبو، لأني لم أشأ الخروج عليه وهو لا يعرف السبب.

لقد ذهبت إلى تنبكتو لطلب النصح والمشورة فأوضح لي الشيخ سيدي محمد أنه لا يستطيع أن يفعل لي شيئاً.

إن الأمير في عرفنا لا يكذب وسوف لن أكون من يخرق هذا المبدأ، أشرب النبيذ، وأصلي على قدر استطاعتي، وأعترف بأن ألآت عصير النبيذ التي بيد حمبرك سمتات لي، ولكن صدق المثل القائل: أن ممتلكات الفيل تؤخذ في غيابه.

لقد سرق حمبرك سمتات ممتلكاتي، وأنا لا أقبل أن يرفع الشكوى ضدي سارق، وعليه فأني أوجه إليه الشكوى أنا الآخر بانتهاك حرمة داري في غيابي[2].

على هذه الكلمات توقف غيلاجو، ثم نهض ودخل دار ضيافته، فأصدر القضاة في حقه حكماً بالإعدام، وصادق المجلس الكبير على الحكم، وبقي غيلاجو رهن الإقامة الجبرية ريثما يتم إيجاد طريقة مناسبة لتنفيذ الحكم دون إخباره بذلك، لأن غيلاجو بطلاً حربياً يحظى بالطاعة والولاء من أهله في كوناري، وقد خشيت "حمد الله" من تنفيذ حكم الإعدام فوراً خوفاً من ثورة أهل

[1] سورة الإسراء: الآية15.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p.154-155.

كوناري، فبقيت تتحين الفرصة لذلك، لكنه تمكن من الفرار والرجوع إلى أهله وإعلان الحرب على الإمارة التي دامت سبع سنوات[1].

يتضح لنا من خلال هذه القضية أن أطوارها ونتائجها لم تكن موافقة للشرع القويم، نلمس في بدايتها نوع من التعسف في الاستخبار على غيلاجو وصل إلى درجة التجسس السافر على مواطن مسلم في عقر داره وهذا محرماً شرعاً بالكتاب والسنة، أما تهمة الخيانة بانتقاله إلى تنبكتو والتقائه بالشيخ محمد الخليفة الكنتي دون أذن من الإمارة، فنلاحظ أنه أخطأ في ذلك لكن الإمارة هي التي لم تحسن التعامل معه بعد أن أخذت جزء من أراضيه، واعتبر ذلك جرحاً لكرامته وكبريائه لم يستطع السكوت عليه.

أما تهمة الارتداد عن الإسلام والاستهزاء به فلم يعترف بها بالرغم من تهاونه بالصلاة، ومن المعلوم أن الردة لا يجوز الأخذ فيها بالظن بل حتى في حالة التأكد والجزم بارتداده فلا يشترط قتله مباشرة بل يجب أن يستتاب، أما التهاون بالصلاة فلا شك أنه من أمارات النفاق إلا أن علاجه لا يكون بالإعدام بل بالنصح والإرشاد والتوبة إلى الله، أما تهمة شرب الخمر فلا ترقى إلى القتل، بل حد شارب الخمر معروفاً في الفقه الإسلامي ثمانون سوطاً على قول جمهور العلماء.

نلاحظ إن هذه المحاكمة كان الهدف منها القضاء على غيلاجو باعتباره خصم عنيد وعتيد، جمعت حوله مجموعة من الأدلة والبراهين للقضاء عليه، ولم تتح له الفرصة حتى على استئناف الحكم الصادر ضده، وقد كانت هذه القضية شرخ كبير في مصداقية العدالة في إمارة ماسينا بالرغم من الضوابط الشرعية التي التزمت بها طيلة فترة حكمها.

وخلاصة القول في نهاية هذا الموجز المتعلق بالقضاء أن هذه المؤسسة كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجلس الشوري الذي يعتبر المسؤول الأول عن تعيين القضاة والأشراف على أعمالهم ومحاسبتهم، وقد كان القضاة ملتزمين بالشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك–رضي الله عنه–

[1]Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p155.

في جميع القضايا التي كانت رفعت إليهم، ولا ريب أن الأخطاء والهفوات التي حدثت فإنها تهون أمام العزيمة الصادقة لهؤلاء الرجال الذين كرسوا حياتهم لتطبيق شرع الله وخدمة دينه القويم.

رابعاً: الجهاز العسكري الماسيني

لقد استطاع الشيخ احمدو لوبو أن يؤسس دولة إسلامية قوية في وسط حوض النيجر، وسيطر على منطقة واسعة امتدت من تنبكتو إلى أراضي الموسي في أعالي الفولتا في الجنوب، وقضى على حكم البمبارا في منطقة ماسينا، وتمكن من تطبيق الشريعة الإسلامية في جل مناحي الحياة، غير أن دولته الفتية نشأت في منطقة مضطربة يتربص بها الأعداء من كل حدب وصوب، وعاشت حروبا متواصلة تتخللها فترات من الاستقرار المصحوب بالترقب والحيطة، فكان لزاماً عليها أن تقيم نظاما عسكريا لحماية حدودها ودفع المتربصين بها وتأديب الخارجين عن طواعيتها، والحفاظ على الأمن العام في أقاليمها[1]، بالإضافة إلى الدور الاقتصادي المتمثل في الدفاع عن قطعان الماشية سواء في أماكن استقرارها أو في طريق انتجاعها[2].

1-تعيين القادة العسكريين:

كان الاهتمام بالقوة الحربية من اهتمامات الرئيسية لهذه الإمارة الفتية التي بدأت بالاستعداد والتنظيم العسكري، منذ الانتصار في معركة نوكوما، فقسم الشيخ احمدو لوبو الإمارة إلى خمس مقاطعات عسكرية وعين على كل مقاطعة قائد عسكري يدعى "اميرو"[3]، يجمع بين الأدوار العسكرية والإدارية ويشرف على النظام الداخلي والخارجي[4]، وأسند القيادة العسكرية إلى عثمان سنكاري صديقه الوفي ولقب بأميرو منغال(أي الكبير) يتولى مراقبة الحركة التجارية على نهر النيجر وفي منطقة الحدود بين نهري النيجر وباني، وكانت حاميته العسكرية في استعداد دائما وفي مراقبة

[1] عبد الله عبد الرزاق: الحركات الإصلاحية ...، المرجع السابق، ص79.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص463.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p75.

[4] Mauro Nobili: Op, Cit, p212.

مستمرة للملكة سيغو المتاخمة لتلك المنطقة، وبعد وفاته ألغي هذا اللقب، وتم تعيين ابنه إبراهيم كقائد عسكري فقط، وتولى "بوري حمسالا" ابن شقيق الشيخ احمدو وحامل الراية في معركة نوكوما حماية الحدود الغربية وأميرو إقليم ماسينا الواقع على الضفة اليسرى من نهر النيجر، وكان " ألفا سامبا فوتا" أميرو "فاكالا " مسؤولاً عن مراقبة الضفة اليمنى لنهر باني[1]، ثم كلف بالحفاظ على الأمن في العاصمة حمد الله فيما بعد، وتولى "غورو مالادو" مراقبة الحدود الشرقية لمراقبة خطر قبائل الدوغون والموسي وساعده ألفا سيوما، كما كلف الحاج مودي ابن عم الشيخ بحماية منطقة البحيرات حتى تنبكتو لمواجهة تحرشات قبائل الطوارق[2].

2-التنظيم العسكري الماسيني:

نظم الشيخ أحمدو لوبو الجيش تنظيما دقيقا للدفاع عن البلاد، وجعل في كل مدينة قوات من الجيش، وكانت العاصمة محاطة بسور كبير ومحروسة بعشرة آلاف جواد من الجياد العتيقة المستعدة للنفير في أي وقت، وتحت إمرة " ألفا سامبا فوتا" ونائبه بوبكر بالبو الذي سيصبح فيما بعد قائدا عاما للجيش في خلافة الأمير احمدو الثاني[3]، وكانت الخدمة العسكرية مفروضة على جميع الأولاد الذكور البالغين عشرون سنة ويلتزم التجنيد دفاعا عن الوطن إلى الستين من عمره فيعتزل الجيش والحرب[4]، وكان التجنيد وقتئذ شبه إلزامي، حيث يجب على كل أسرة أن تُبلغ عن ابنها إذا بلغ عشرين سنة، ولقائد الجيش الخيار في تجنيده أو عدمه، حسب حاجة الإمارة وصلاحية الجندي، ولم يكن للجيش زياً موحداً[5]، بل كان الرؤساء يميزون بعمامة وسيف[6]، وكانت القوات المسلحة في كل

[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص683.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p75-76.

[3] محمود كعت: المصدر السابق، ص49.

[4] محمد بن علي فييريج: المصدر السابق، ص8.

[5] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص49.

[6] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p77.

مقاطعة مقسمة إلى ثلاثة أقسام رئيسية يتناوبون الخدمة العسكرية على مدار السنة كل فرقة أربعة أشهر، وبقية الأشهر يقضونها في الأعمال الأخرى[1].

قسم الجيش الماسيني إلى أجزاء مختلفة شبيهة بأجزاء الجسم البشري، فأولاً "الرأس" أو الطليعة التي تتألف من المرشدين الذين يعرفون طبوغرافية البلاد ويدعون" دابيبي"، ويطلق على الجزء الأكبر من الجيش "السرة" أو "البطن" ونجد فيه حامل اللواء وقائد الحملة "جوم كونو"، بالإضافة إلى الأجنحة التي يطلق عليها الذراعين، والخلف يسمى بالساقين، دون أن ننسى دور الجواسيس الذين كانوا يتميزون بالذكاء ويتنكرون في زي المرابطين أو التجار يقومون بجمع المعلومات في الإمارة وخارجها[2].

كان سلاح الفرسان يمثل قوة الجيش الماسيني وذلك للمؤهلات القتالية التي كانت يمتلكها الفرسان واهتمام الدولة بالخيول فكان لازاماً على كل جندي منحته الإمارة حصاناً أن يعتني به وإذا فرط فيه يسحب منه أو يقاضى، غير أن الإمارة لم تكن تتكفل بتسليح الجنود فهي تتكفل بإطعامهم وعليهم أن يسلحوا أنفسهم، لذلك كانت الأسلحة التي اعتمد عليها الجيش الماسيني بدائية تتمثل في الرماح والسيوف والسكاكين واليباندو[3] والقيد الحديدي وغيرها[4]، واهم سلاح عند الجيش كان البندقية التي تدعى" فونكاري" التي لم تكن متوفرة لذي معظم الجنود، لذلك تمكن الحاج عمر الفوتي من التغلب على الجيش الماسيني1862م لتوفقه في العتاد الحربي خاصة البنادق والمدفع الذي اشتراه من الانجليز[5].

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص454.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p p88-89.

[3] من أهم هذه السكاكين الكفاوي والفندماوي المتدلي من الجانب، أما الياندو: هي عصا طويلة مزودة بشفرة منحنية على شكل منجل. ينظر: Op, Cit,p 87:

[4] Op, Cit,p p83-87.

[5] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص454.

وكذلك عين شرطة لحفظ الأمن والاستقرار في المدن، يشرف عليها سبعة علماء، يساعدهم عديد كثير من الفرسان الذين كانوا يجوبون الأحياء في مجموعات صغيرة، ويروى أن المدينة كانت على قدر عظيم من النظام، كما جعل في كل مدينة شرطة خاصة تشرف على حفظ الأمن العام وتطبيق التعاليم الإسلامية[1].

3-أنواع الحروب التي خاضتها الإمارة:

كان توسيع القوات الحربية وتقويتها من الدعائم التي حرصت عليها الإمارة الفتية، لأنها ولدت في جو مكهرب ينذر بالاشتعال بين الفينة والأخرى، لذلك أشعرت الفلانيين بان حماية الإمارة شرف لهم ولقومهم ولا ينبغي بحال من الأحوال أن يرضوا بخرابها أو زوالها[2]، ولقد شهدت الإمارة خلال عمرها الزمني ثلاثة أنواع من الحروب:

أ-النوع الأول: يدعى "نوتاغو" بمعنى النجدة أو الإعانة عند الفلانيين، وتطلق على الحروب التي خاضتها الإمارة تلبية لصرخات النجدة التي يطلقها الأهالي أو المسلمين المستضعفين عند الإغارة عليهم من عدو خارجي، فان الإمارة تتدخل مباشرة إذا تأكدت أنهم مظلومين تسعى لنصرتهم، وقد تعهد الشيخ احمدو لوبو بنصرة كل مسلم مظلوم يستطيع نصرته في إي مكان من الأرض كان، كما كان يطلق هذا النوع على التعزيزات العسكرية التي يتم إرسالها إلى الوحدات العسكرية في جبهات القتال[3].

[1] علي يعقوب: حياة الشيخ...، المرجع السابق، ص8، وأيضاً: آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص684.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص454.

[3] Ba Amadou et Daget: Op, Cit,p p88.

ب–النوع الثاني: يسمى"كُنو" وتعني بالفلانية الجيش، ويطلق على العمليات الحربية التي توجهها الإمارة لافتتاح منطقة معينة وإدخالها تحت السيطرة، أو القضاء على تمرد أو عصيان منطقة من المناطق مثل ما حدث في مدينة جني[1]، أو إخضاع مدينة تنبكتو1827م[2].

ب– 1 تمرد مدينة جني:

لقد مر بنا سابقاً أن علماء "جني " وأعيانها لم يكونوا على علاقة جيدة مع الشيخ احمدو لوبو بل قاموا بطرده من مدينتهم، وبعد انتصاره في معركة "نوكوما" 1818م سارعت القرى المجاورة وتجار المدينة الانضواء تحت رايته وتقديم البيعة له، غير أن المغاربة (الأرما) رفضوا ذلك وقاموا بقتل ممثلي الشيخ احمدو[3]، فقرر الشيخ إدخالها تحت طاعته كرهاً فأرسل قائده الأكبر عثمان ابوبكر الذي حاصرها تسعة أشهر حتى اضطروا إلى الاستسلام بلا شروط وأعلنوا البيعة له، وتمكن من القضاء على سيطرة المغاربة واستئصال شئفتهم نهائياً من المدينة[4].

بقيت مدينة "جني" تحت طاعة ماسينا حوالي سنتين ثم تمردت عليها، تحت ذريعة أن المسؤولين الماسينين يضيقون على الناس حياتهم اليومية مثل إجبارهم على حضور صلاة الجماعة، وعدم التغاضي على أي سلوك مخالف للشرع القويم، فأرسل إليهم القائد عثمان ابوبكر مرة أخرى وقضى على الفتنة وعاد الهدوء إلى المدينة[5].

وبعد أن عادة الأمور إلى نصابها جمع القائد عثمان علماء المدينة وطلب منهم الإفتاء في شأن الأشخاص الذين حملوا السلاح في وجه الإمارة، فرفضوا وتحججوا أن هذا الأمر من صلاحيات المجلس الكبير، وأحيلت القضية على المجلس الذي اعتبار المحاربين أسرى تجري عليهم أحكام أسرى

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص315-316.

[2] محمود كعت: المصدر السابق، ص49.

[3] Joseph ki Zerbo: Op, Cit, p258.

[4] محمد جاكيتي : المرجع السابق، ص38.

[5] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص308.

الحرب في الإسلام واعتبر أموالهم غنائم حرب، لكن حاكم المدينة تدخل لدى المجلس وبوساطة من الشيخ احمدو لوبو لتخفيف الحكم، وعدم تنفيذ حكم الإعدام علي أي احد من الأسرى، فسمح لكل أسير أن يدفع فدية لروحه وفدية لحريته، باستثناء اثنين كانا على رأس الفتنة تم قتلهما[1].

ونلاحظ من خلال هذه الحادثة أن أحكامها لم تكن مستندة لمرجعية شرعية صحيحة، بل نلمس من خلالها رائحة الانتقام من هذه المدينة المتمردة على الإمارة، فمن المعلوم أن أهلها مسلمون منذ القدم فلا يمكن اعتبار أسراهم أسرى حرب الذين يجوز قتلهم، كما لا يمكن اعتبار أموالهم غنائم حرب تقسم بين الغانمين وهذا الأمر معروف في تاريخنا الإسلامي الذي شهد حروبا كثيرة بين الأشقاء، بل كان يجب على الإمارة أن تغرم المتمردين عنها بغرامات مالية تمنعهم من الخروج على طواعيتها مرة أخرى، وان تكون باسم الغرامة لا باسم الفدية، والله أعلم.

ج–النوع الثالث: تدعى "فِتشُرُ" وتعني الإغارة باللغة الفولانية، يطلق عليها العمليات العسكرية المفاجئة التي تشنها بعض الفرق من الجيش في بعض المناطق قصد إرباك أهلها أو أثارة الرعب في قلوبهم لحملهم لمغادرة المكان أو الدخول تحت طاعة الإمارة، وكان هذا النوع من الحرب محدوداً في فترة الشيخ احمدو لوبو وأبنه الأمير أحمد، وكان يمنع فيها القتال بصورة مطلقة إلا في حالة الضرورة القصوى، وأكثر من استعمل هذا النوع الأمير أحمد الحفيد وذلك بعد أن فقد المجلس الكبير الكثير من سلطته بعد انفراد أحمد الحفيد بالسلطة وغيب المجلس الكبير[2].

وانطلاقاً مما ذكر فان منهج الحرب في الإمارة كان دفاعيا وهجوميا، إذ أن الشيخ احمدو لوبو كان يوصي القادة والأمراء بأن لا يتبنوا منهج الهجوم والملاحقة، وان حظهم في الدفاع أكبر من حظهم في الهجوم، لذلك تميزت حروب الإمارة بطابع النجدة وصد العدوان ونصرة المظلومين، وكان المجلس الكبير حريصا على الالتزام بالضوابط الشرعية في جل الحروب التي خاضها، وإن حدثت بعض الأخطاء بين الحين والأخر.

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص309.

[2] Ba Amadou et Daget: Op, Cit, p88.

وفي الأخير يمكننا الإشارة إلى أن الشيخ احمدو لوبو رجل علم بالدرجة الأولى فقد أولى اهتماما كبيرا بالجانب العلمي، فاستقطب العلماء وكرم الحفاظ وجعل الإمارة تشهد نشاطاً علمياً منقطع النظير، وذلك إدراكاً منه بأن بناء إي حضارة لا يصاحبها بناء الإنسان فمآلها إلى الفشل والاضمحلال، غير أن ما يؤخذ على علماء الإمارة أنهم لم يخلفوا إرثاً علميا تستفيد من الأجيال وذلك لاهتماماتهم السياسية والقضائية شغلتهم عن ترك بصمتهم العلمية في المنطقة، مقارنة بالإمارات الإسلامية المتاخمة لهم مثل خلافة سكوتو التي خلفت أرثا علميا لازال إشعاعه العلمي يرن في إسماع المفكرين والباحثين إلى يوم الناس هذا.

إن الإجراءات الاقتصادية والمالية التي انتهجتها الإمارة غيرت البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الماسيني فحولته من مجتمع بدوي رعوي إلى مجتمع زراعي مستقر، الأمر الذي أنعش الحياة الاقتصادية فتحسن المستوى المعيشي وعم الأمن والسلام ربوع الإمارة، كما نرى أنها كانت حريصة على الكسب الحلال من خلال التزامها بتعاليم الشرع الحنيف في تامين مصادر دخلها، وان أجحفت في بعض الضرائب التي أثقلت كاهل المجتمع وعجزت أن تجد لها مصوغاً شرعياً مثل ضريبة "كراط" التي كانت تفرض على المحاصيل الزراعية.

تميز القضاء الماسيني بحرصه الشديد على تطبيق العدل بين الرعية مستمدا أحكامه من الفقه المالكي، بالرغم من بعض الأخطاء التي سودت صفحته البيضاء مثل محاكمة غيلاجو التي كانت وصمة عار في جبين الإمارة وشرخا كبيرا في القضاء الماسيني، أما غير هذه المسالة فكانت جل أحكامه موافقة للكتاب والسنة.

لم تتوقف أعمال الشيخ احمدو لوبو على المجال الدعوي والاجتماعي بل تمكن من بناء جيش إسلامي قوي حصن الإمارة من غارات المناوئين وأذب المتمردين وحافظ على الأمن العام في المدن والقرى، غير أن هذا الجيش كان بدائياً غير مواكب لعصره فلم يهتم بشراء الأسلحة الأوروبية

الجديدة الأمر الذي جعله يسقط في أول امتحان حقيقي أمام قوات الحاج عمر الفوتي مما عجل من سقوطها بالرغم من الثراء الحضاري الذي شهدته.

الفـصل الخامس: العلاقات الخارجية للإمارة وسقوطها

أولاً: العلاقـات الماسينية الكنتية وأثرها على الإمارة

ثانياً: الصــراع مع الطوارق

ثالثاً: العلاقـة مع الخلافة السكتية

رابعاً: العلاقـة مع الممالك الوثنية

خامساً: نهاية الإمارة وزوالها

إن حركة الجهاد الاسلامي التي قادها الشيخ أحمدو لوبو في منطقة ماسينا خلال القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) كانت لها تداعيات كبيرة على منطقة السودان الغربي التي كانت تعج بالعديد من الصراعات السياسية والدينية بين ممالك المنطقة، مما جعل علاقاتها الخارجية تتأرجح بين الود والعداء سواء مع الممالك الوثنية كمملكة سيغو أو الإسلامية كإمارة سوكوتو أو مع القوى الفاعلة في المنطقة كقبيلة كنته وقبائل الطوارق، ولعل هذه العلاقات الخارجية هي التي قضت على الإمارة في أوج نضجها الحضاري بعد الزحف العمري عليها الذي أتى على الأخضر واليابس.

أولاً: العلاقات الماسينية الكنتية وأثرها على الإمارة:

تتمتع قبيلة كنته بوزن سياسي وديني كبير في منطقة السودان الغربي، خاصة خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، عندما أسس الشيخ المختار الكنتي(ت1226هـ/1811م) زاويته في قرية بلنوار (قرية شمال مالي) التي أصبحت مركز إشعاع علمي وروحي فقد عملت على نشر الإسلام وتلقين الورد القادري والتعليم الشرعي في أرجاء المنطقة، وعندما كثرت الاضطرابات في الحواضر السودانية لجأ الناس إليها لحل مشكلاتهم وفهم معضلاتهم[1].

1- علاقة الشيخ محمد الخليفة بالإمارة الماسينية:

كان أمراء ماسينا يتعلمون في الزاوية الكنتية على يد شيوخها ويرجعون إليهم في حل المسائل الفقهية والشرعية، وقد أشرنا آنفا أن الشيخ أحمدو لوبو تعلم في الزاوية الكنتية على يد الشيخ المختار الكنتي وابنه الشيخ محمد الخليفة ومكث هناك ثلاث سنوات[2]، وأخذ الوردي القادري[3] وتخرج

[1] عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص165.

[2] آدب ولد سيد أمحمد: المرجع السابق، ص192.

[3] ورد الطريقة القادرية: "هو من أجل الأوراد لأنه يغني عن كل ورد، ولا يغني عنه ورد، ومن فوائده أن صاحبه لا يموت إلا على أحسن حال ولو فعل ما فعل وهو أن تقول دبر كل صلاة مكتوبة: حسبنا الله ونعم الوكيل (مائتين)، استغفر الله (مائتين)، لا إله إلا الله (مائة) اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وسلم(مائة)" محمد بلو: المصدر السابق، ص222.

منها مقدما للطريقة القادرية في منطقة ماسينا سنة 1809م[1]، كما تعلم ابنه في الزاوية الكنتية ويقول عن ذلك الشيخ أحمد البكاي:"فقد كان الشيخ أحمد يتعلم على أبي وأبنه على أخي... أيها الفلان فقد كنا نراكم إخوانا في الدين والحسب وكالإخوان في الرحم والنسب، فاخترناكم لظن الدين فيكم عمن هو أقرب نجاراً وداراً، من العرب والتوارق والسودان"[2] ولعل هذه الإشارات تبين مدى متانة العلاقة الكنتية الماسينية.

دأبَ علماء كنته على الوعظ والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونظرا لعلاقة التلمذة التي تربط الشيخ أحمدو لوبو بالزاوية الكنتية رجع إليهم عندما أسس دولته فاستشار شيخه محمد الخليفة في تسيير شؤون الحكم فكتب له رسالة سميت "أوثق عرى الاعتصام للأمراء والوزراء والحكام" والتي تناولت الإمامة والقضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمظالم وعلاقة الراعي بالرعية، ونبه في الأخير إلى العمل بما كتب به إليه بقوله: "وبمثل هذا فيعمل العاملون فإن فيه عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت وجميل الذكر فلينتهز فرصة العمر... وليدخر لنفسه قبل حلول رمسه، وليعلم أن المأكول للبدن والموهوب للمعاد والمتروك للعدو، فليختر لنفسه أي ثلاثة شاء"[3].

كما تدخل الشيخ محمد الخليفة بوجاهته لتهدئة الأوضاع في مدينة جني بعد أن ثارت ضد السلطة الماسينية بإيعاز من الرماة والقبائل الوثنية، فبعث برسالة إلى الرماة(الأرما) جاء فيها:" وإنه من عبد ربه محمد بن المختار...إلى رماة جني وسوقتهم وأتباعهم وأشياعهم من البيضان والسودان..."[4]، دعاهم فيها إلى الرجوع دينهم الإسلام، وذكرهم بما جاء في القرآن الكريم عن عقوبة المرتدين وخاطبهم بقوله:" ويا لله العجب من سخافة عقولكم، وفساد دينكم، وانحطاط هممكم حيث رضيتم بإبدال

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص447.

[2] أحمد البكاي: هذا جواب أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد للأمير أحمد بن أحمد بن الشيخ أحمد الفلاني في شأن النصراني، مكتبة الكونغرس الأمريكي، Arab6756، ص ص5-11.

[3] محمد فرقاني: المرجع السابق، ص ص20-21.

[4] فردوس حناني: الداعية الاسلامي محمد الخليفة الكنتي ومخطوط "رسالة إلى الرماة"، مجلة تاريخ العلوم، ع02، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2016م، ص45.

الإسلام الذي هو أشرف الأديان عند الخاص والعام بالمجوسية التي هي أخس النحل وأوهن الملل فاستبدلتم اسم الإيمان باسم الكفر ووسم الطاعة بوسم الفسوق"[1].

والظاهر من خلال الرسالة أن الرماة (الأرما) قد بايعوا الشيخ أحمدو لوبو على السمع والطاعة، لكنهم خرجوا عن طاعته وارتدوا عن ولائهم له فوبخهم الشيخ الكنتي بقوله: " فإن كان الحامل لكم على الخروج عن دينكم ومن تحت بيعة الشيخ" أحمد لب" بعدما عقدتم له البيعة على رقابكم فأقركم على بلادكم وعلى أملاككم ... فما كان أن توهمتم إمكان الرمية منه، وانتهاز الفرصة فيه " البنبارة" وأشياعهم من المجوس على القيام عليه بمحادة الله ورسوله، فرميتموه عن قوس الكفر والمجوسية[2]، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ويديم لجند الإسلام نصره وحبوره، ويهزم جند الكفر ويبيده، فقد ساءنا منكم ذلك كل الإساءة غيرة للدين وحماية لبيضة المسلمين"[3].

تكشف لنا هذه الرسائل مكانة علماء كنته في المنطقة ودورهم الكبير في إصلاح ذات البين، والدور الروحي والسياسي الذي يتمتع به الشيخ محمد الخليفة في منطقة السودان الغربي حتى أذعنت لها جميع القوى السياسية في المنطقة خاصتهم وعامتهم وكان لكلامه سلطانا وتأثيرا عليهم.

[1] فردوس حناني: محمد الخليفة الكنتي(1179-1242هـ/1765-1826م) حياته وآثاره التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1429-1430هـ/2008-2009م، ص110.

[2] المجوسية: مجس: المجُوسية: نحلة، والمجُوسيُ منسوب إليها، والجمع المجُوس (عبدة النار) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت لبنان، 1955م، ص 213.

[3] فردوس حناني: محمد الخليفة الكنتي...، المرجع السابق، ص110.

2- العلاقة مع الشيخ المختار الصغير:

تولى الشيخ المختار الصغير[1] مشيخة الزاوية الكنتية بعد وفاة والده سنة 1242هـ/1826م، ووجد مدينة تنبكتو في وضع عسير، بعد أن سيطرت عليها إمارة ماسينا ووضعت بها حامية عسكرية وخضع الأرما لسلطتهم، غير أن الطوارق لم يعترفوا بالحكم الفلاني مما أدى إلى تدهور النشاط التجاري بسبب غارات الطوارق المتواصلة، خاصة أن الماسينيين حرّموا تجارة التبغ التي كان يجني منها تجار تنبكتو أرباحا طائلة[2]، ولم يكن موقف الكنتيين واضحا قبل 1833م إلا أنهم كانوا مع إمارة ماسينا لاعتبارات دينية وسياسية وكانوا يؤيدون الاستقرار والسلام الذي فشل الأرما في تحقيقه، وخلال هذه السنة قرر الشيخ المختار الصغير إعادة الاستقرار إلى تنبكتو، فقام بإعداد جيش بناءً على طلب من التجار المغاربة والتواتيين والغدامسيين[3] لحمايتهم من حملات الفولبي[4]، وطلب من الشيخ أحمدو لوبو إعادة النظر في التعامل مع الطوارق لإحلال السلام في المدينة باعتبارها المدينة الرائدة في التعليم

---

[1] سمي بالشيخ المختار الصغير تميزا له عن جده، ولد سنة 1790م ودرس على يد جده الشيخ المختار الكبير ووالده الشيخ محمد الخليفة، وقد وصفه صاحب كتاب منح الرب الغفور:"شيخ الأشياخ وعمدة أهل التوحيد وشيخ المحققين من ظهرت بركاته شرقا وغربا ومناقبه في الناس عجما وعربا ساقي المريد وعمدة أهل التوحيد..." تولى مشيخة الزاوية الكنتية بعد وفاة والده1826م في ظروف عصيبة وحروبا دامية فكانت له وساطات لحل النزاعات بالطرق السلمية، وكانت له علاقات واسعة مع سلاطين المغرب وزعماء الممالك الإسلامية الفلانية ورؤساء القبائل ومن هذه المراسلات رسالة "كتم الغيظ وإخماد الفتن" إلى الأمير أحمدو لوبوالماسيني، ورسالة "العجالة الرائقة في العمالة" إلى السلطان المغربي عبد الرحمن بن هاشم، ينظر: الطالب ببكر أحمد مصطفى: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تح: محمد الأمين بن حمادي، Ens Editions، ليون، فرنسا،2011م، ص138. ينظر أيضا: بول مارتي: كنته الشرقيون...، المصدر السابق، ص89.

[2] AbdelkaderZebadia: The Career And Correspondence Of Ahmed Al Bakkay Of Timbuctu: An Historical Study Of His Political And Religious Rote From 1847 to 1866, Thesis Submitted For The Degree Of Ph.D. In the University Of London, School Of Oriental And African Studies, 1974, p p77-79.

[3] نسبة إلى غدامس: " بفتح أوله ويضم وهي عجمية بربرية فيما احسب وهي مدينة بليبيا، تدبغ فيها الجلود الغدامسية وهي من أجود الدباغ لاشيء فوقها في الجودة كأنها ثياب الخز في النعومة والإشراق، وفي وسطها عين أزلية وعليها أثر بنيان عجيب يفيض الماء فيها، ويقسمه أهل البلدة بأقساط معلومة لا يقدر أحد أن يأخذ أكثر من حقه وعليه يزرعون وأهلها بربر". ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج3، ص377.

[4] بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص90. وأيضا:Op, Cit, t4, pHenri Barth:32

والتجارة، وتم تعيين حاكما فلانيا جديدا على المدينة[1]. وللشيخ المختار الصغير رسالة أخرى إلى الشيخ أحمدو لوبو ينصحه في اختيار الرجال الذين يجب أن يستمع إليهم ويعتمد عليهم في إمارته، وفي نفس الوقت يطلب منه الابتعاد عن النمامين لأنهم يقلبون الحقائق ويورطون الحكام في المظالم[2]، ولعل الحملات العسكرية التي كانت تشنها الإمارة على مدينة تنبكتو ليس الغرض منها المساس بأمن المدينة بل الهدف منها أضعاف الطوارق الذي كانوا يشكلون حاجزا بين مدينتي حمد لله وتنبكتو[3].

ولعل من أسباب الخلاف بين الطريقة الكنتية والشيخ أحمدو لوبو هو أنه منع استيراد وزراعة التبغ في إمارته وكانت هذه ضربة قوية للتجار الكنتيين ولأسواق مدينة تنبكتو التي كانت تقوم بدور حيوي هام في طرق التجارة في السودان الغربي، ويضاف إلى ذلك أن الشيخ أحمدو لوبو منع نظام الزيارات التي كان يقوم فيها شيوخ الطريقة الكنتية برحلات إلى المدن والقرى يتلقون فيها الهدايا من المريدين، وكان يمثل ذلك دخلا كبيرا للزاوية، وقد عارض علماء ماسينا تلك الزيارات خوفا من قيام بعض الشيوخ ببعض الأعمال المخالفة للشريعة[4]، لذلك شارك الشيخ المختار الصغير في حملة عسكرية على المدينة بمعية الطوارق بعد وفاة الشيخ أحمدو لوبو سنة 1845م وطردوا الحامية الماسينية رغبة منه في السيطرة على المدينة والتخلص من القيود الماسينية[5].

تميزت فترة الشيخ المختار الصغير بالتوتر والاضطراب وتراجعت السلطة الروحية لقبيلة كنته بعد تحالفها مع الطوارق ضد الإمارة، وتخلت عن أسلوبها السلمي في حل الأزمات التي عصفت بالمنطقة بعد أن حملت السلاح في وجه الإمارة، مما أدى إلى الانفلات الأمني وتراجع النشاط الاقتصادي في المنطقة خاصة في مدينة تنبكتو التي كان يرى فيها الكنتيين الحاضرة الروحية للطريقة المختارية الكنتية.

[1] AbdelkaderZebadia: Op, Cit, p86.

[2] محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص ص173-174.

[3] فردوس حناني: محمد الخليفة الكنتي...، المرجع السابق، ص34.

[4] عبد الله عبد الرزاق: الحركات الإصلاحية...، المرجع السابق، ص77.

[5] بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص90.

3-الشيخ أحمد البكاي وعلاقته بإمارة ماسينا:

بعد وفاة الشيخ أحمدو لوبو سنة 1845م اضطربت الأوضاع في مدينة تنبكتو وأصبحت المدينة في كرب عظيم بعد الحصار الماسيني لها، وقد نجح الشيخ أحمد البكاي سنة 1846م في إبرام صلحا بين الإمارة والطوارق وسلطات تنبكتو، وبعد ذلك توفي الشيخ المختار الصغير 1263هـ/1847م[1]، وانقسم البيت الكنتي بين الشيخ أحمد البكاي الذي كان يرى في نفسه الأهلية لقيادة قبيلة كنته وابن أخيه حمادي بن المختار الذي انتقل مع أتباعه إلى الضفة اليمنى للنهر النيجر متحالفا مع أعداء عمه البكاي[2].

أ- مطالب ومسائل الشيخ أحمد البكاي وأجوبة الأمير أحمدو الثاني:

1- مطالب ومسائل الشيخ أحمد البكاي:

قام الشيخ أحمد البكاي بزيارة إلى مدينة "حمد الله" 1846م لمناقشة بعد القضايا التي كان يرى أنها مخالفة للشرع أو فيها تضييق على مواطني الإمارة، فهو لم يكن راضيا على القوانين التي كانت تسنها الإمارة وخاصة بعد وفاة الشيخ أحمدو لوبو، وعوض إثارتها في المجلس الكبير الذي هو صاحب الحل والعقد، فضل إثارتها بصفة فردية مع الأمير أحمدو الثاني وهذا نص الأسئلة والأجوبة:

قال الشيخ أحمد البكاي: " يا أحمد بن أحمد: لم يكن لدي وأنا أتجه إلى هنا إلا نية مناقشة قضية واحدة فقط[3]، أما وقد وجدت نفسي الآن في "حمد الله" فإن لدي سبعة مطالب أطلبها منك، وست مسائل ألقيها عليك، ولكني أريد أن يكون اللقاء بيننا ثنائيا، وفي مكان خاص دون حضور أحد من أعضاء المجلس الكبير ولا غيرهم"[4].

---

[1] بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص90.

[2] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص128.

[3] قضية رفع الحصار الذي فرضته ماسينا على مدينة تنبكتو وما حولها.

[4] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص176.

غير أن الأمير اعتذر بأنه لا يستطيع الموافقة على اللقاء إلا بعد إذن من المجلس الكبير، فوافق هذا الأخير على اللقاء الثنائي، وفي الجلسة الخاصة التي جمعت بينهما طلب الشيخ البكاي من الأمير أحمد سبعة مطالب جاءت كالآتي:

1-أن ترفع الحظر على زراعة التبغ في كل الأقاليم التابعة لإمارتك.

2-أن تعقد حلفا مع سيغو وتبني علاقات جيدة مع زعمائها.

3- أن تسند إلي إدارة تنبكتو وما حواليها، وأن تعطيني جيشا على الضفة اليمنى لنهر النيجر وأسطولاً صغيراً، حتى أتمكن من حمل الطوارق على احترام "ساول"[1] والاعتراف به زعيما عليهم، فإني لا أحب الخضوع لـ" سنسرف"[2].

4- أن تسمح لنساء البدو الظاعنين بين "كتوان"و" دوينتزا"[3] بعدم القرار في البيوت ، وبعدم ارتداء الحجاب المفروض من المجلس الكبير، فإن هذه الإجراءات تضاد عوائدهم وتسبب لهم حرجاً بالغاً، فهم ليسوا مزارعين مستقرين، ولكن بدوا ظاعنين يتنقلون وراء ماشيتهم وأبقارهم بحثا عن الكلأ.

5- أن تحرر صيادي الأسماك " هومبولب"[4] من الرق، وأن تسمح لعجائز "حمد الله" الأرامل بالخروج إلى الأسواق لقضاء حوائجهن والحصول على لقمة العيش، فإنهن لا يثرن أي جاذبية أو شهوة.

6- أن تكف على إرسال الرسائل لفرض قوانين تتبع بإجراءات قاسية على المواطنين[5].

7- أن تمنحني قطعة أرض بتنبكتو لأني أريد أن استقر هناك مع أسرتي وذوي وأترك حياة الظعن والترحال[1].

---

[1] أحد زعماء الطوارق كان مواليا للشيخ البكاي. ينظر: نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص177.

[2] هو الشخص الذي اختارته الإمارة لإمامة المسجد الجامع في تنبكتو والقضاء بين الناس، ثم ثار عليه سكان المدينة بإيعاز من كنته.ينظر: نفسه.

[3] أسماء مناطق كانت تابعة لإمارة ماسينا. ينظر: نفسه.

[4] يطلق عليهم كذلك اسم " سومونو" هم فئة من الناس عرفوا بحرفة الصيد على ضفاف الأنهار وأقرهم الملوك والزعماء القدامى على ذلك، ولم تغير الإمارة من وضعهم، ينظر:نفسه، ص178.

[5] Ba Amadou et Daget:Op, Cit, pp350-351.

أما المسائل الست التي سألها الشيخ أحمد البكاي فكانت:

أ- لماذا أحلت قبائل الدغون على الجبل، وصيادي الأسماك "هومبولب" إلى العبودية؟

ب- لماذا يعمل العبيد في جيوش الإمارة ويشاركون في الحروب مع أن الشرع لا يلزمهم ذلك؟

ج-لماذا تعطون جزء من غنائم الحروب للعبيد، مع أن الشرع لا يعطيهم الحق في ذلك؟

د- لماذا تفرضون على الناس ضريبتي "مورغو" و"كراط"[2]؟

هـ- لماذا تفرضون ضريبة "كراط" على بعض المواطنين دون بعض؟

و- لماذا تقوم "حمد الله" بالجهاد ضد الطوارق في أماكن نائية جدا تصل بعضها إلى منطقة "غورما"[3] في حين أن بجانبها كثيرا من وثنيي قبائل "دوغون"[4] الذين يحتاجون إلى الهداية والبيعة[5]؟

نلاحظ من المطالب السابقة أنها جاءت على شكل أوامر وليس مطالب، يظهر من خلالها الشيخ البكاي كأنه وصي حريص على الضعفاء في الإمارة، كما نستشف النظرة الدونية التي كان يرى بها خلفاء "حمد الله"، أما المسائل فهي لا تختلف عن المطالب في أسلوبها وطريقة صياغتها، بل البعض منها تحمل بين طياتها فتنة داخلية إذ لم يتم معالجتها بطريقة ذكية وخاصة السؤال الأول والثاني والخامس.

2- أجوبة الأمير أحمدو الثاني على المطالب السبعة والمسائل الست:

[1]Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p 351.

[2] ضريبتين كانت تفرضهما الإمارة تم الإشارة إليهما في الفصل الرابع.

[3] قرية على الضفة اليمنى لنهر النيجر، ينظر:Op, Cit, p261

[4] مجموعة عرقية تعيش في منعطف نهر النيجر في دولة مالي بهضاب صخرية أشهرها هضبة بانديا‌غارا، في اقليم "موبتي" ونظرا لعزلة المنطقة التي يسكنونها حافظوا على تقاليدهم مما جعلهم مركزا للسياحة الغربية، ينظر: نياني وآخرون: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر(اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1988م، ص168. وينظر أيضا: محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص18.

[5]نوح عيسى سيديبي:المرجع السابق، ص ص178-179.

رد الأمير على المطالب والمسائل ردا مرتبا فبدأ بالمطالب فقال:

1- إن أعضاء المجلس الكبير بالتشاور مع الشيخ أحمدو لوبو في حياته قد توصلوا إلى أن التبغ يضر أكثر مما ينفع، فهو يكره النفس ويلوث الأسنان ولا يشبع الإنسان، وإن استهلاكه مخالف للشرع، كما أن زراعته تكون على حساب المحاصيل الضرورية لحياة الناس واقتصاد الدولة، فمنعوا زراعته واستهلاكه من هذا المنطق، وإن الله يعصمني أن أرفع قراراً أراه حكيما وضروريا، وأن أرى هذه النبتة تعود للحياة مرة أخرى في أراضي الإمارة[1].

2- أما الحلف الذي طلبت مني عقده مع سيغو، فإني أحيطك علما بأن المجلس الكبير قد سبق له القيام بذلك بطلب من أخيك الأكبر الشيخ سيدي المختار الصغير، ولكن سيغو لم تحترم شيئا من نصوص العقد، وأن هذا الحلف قد كلفنا أكثر من الحرب، فلجأنا إلى السلاح لوضع سيغو في مكانها الصحيح، وليس بالإمكان إعادة مثل هذا الحلف مرة أخرى[2].

3- أما بالنسبة لـ" سنسرف" وبالرغم أنه الآن مبعد من تنبكتو من قبل الطوارق، فإنه يبقى بالنسبة إلينا الإمام والقاضي الشرعي المعين من طرف المجلس الكبير للمدينة، ولم نتلق أي شكوى ضده من أحد سواك، مما يدل على أن كرهك له مسألة شخصية فقط، وأنا لا أستطيع في هذه الظروف التي لا نملك فيها القرار على تنبكتو أن أطلب من المجلس الكبير إقصاءه[3].

وعليه فإني أنصحك بالتفاهم معه لأننا سنعيده إلى تنبكتو إن شاء الله، وإذا كانت أحكامه القضائية لا ترضيك فإنك تملك حق الاستئناف مثل أي شخص آخر، أو أن تلجأ إلى قاض آخر

[1]Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p351.

[2]نوح عيسى سيديبي:المرجع السابق، ص180.

[3]Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p p351-352.

خارج تنبكتو، أما الأسطول الذي تريده فستحصل عليه بعد أن تقدم لي البيعة في مسجد "حمد الله"[1].

4- أما ما يخص طلبك إلي بالسماح لنساء البدو الرحل بعدم انعزال الرجال، وعدم ارتداء الحجاب المقرر شرعا، فإنك لو لم تكن الشيخ سيدي أحمد البكاي المشهور، ولولا أنك قطعت مسافة طويلة وكلفت نفسك عناء السفر للوصول إلى هنا، فإني ما كنت لأكلف نفسي حتى عناء الاستماع إليك فضلا عن الرد عليك، لا يمكنني أن أتصور مطالبتي بمخالفة إجراء شرعي أخضع له حتى زوجات النبي ﷺ وإن والدي وأعضاء المجلس لم يزيدوا على أن تأسوا برسول الله ﷺ والتزموا حدود الشرع، وستبقى الأمور على ما هي عليه حتى يشاء الله غير ذلك[2].

5- لم يتخذ والدي رحمه الله في عهده أي إجراء في "حمد الله" لتحرير "سومونو" من العبودية، وأنا لا أستطيع أن أغير شيئا من أوضاعهم، ولكن كل من يأتي منهم إلى الإسلام طوعا أو يشتري رقبته من سيده فسوف لا يعتبر عبدا من جانبنا، أما تحريرهم من العبودية بصورة جماعية بناء على طلبك فلا يصلح شرعا[3].

وأما عجائز "حمد الله" فليس من أجل جاذبيتهن الجسدية فقط نأمرهن بالقرار في البيوت شأن بقية النساء، ولكن لأن الدولة تتحمل كافة نفقاتهن وحوائجهن، بحيث لا يكون لإحداهن حاجة من الخروج لطلب المعيشة أو ارتياد الأسواق، ثم أننا بذلك نحافظ على مشاعر الرجال في أعمارهن من الحنين إلى أيام الصبا الأولى عند رؤيتهن، فإن حكيمنا الكبير برايما كليلو(إبراهيم خليل)

[1] لم يبايع الشيخ البكاي الأمير أحمدو الثاني وكان يرى نفسه اكبر من ذلك، بل صرخ في وجهه عندما طلب منه البيعة قائلا: "أنا أقدم البيعة لفلاني اسأل الله أن لا يأتي علي اليوم الذي اضطر فيه إلى ذلك" ينظر: نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص181.

[2] نفسه.

[3] Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p352.

يعجبه دائما أن يقول: "أن قلبين في نفس العمر يحتفظان دائما بالمشاعر نفسها، الواحد تجاه الآخر"[1].

6- نحن نرسل الرسائل للمناطق التي أخضعنها بالسلاح، والتي يظهر أهلها عدم رغبتهم في ابسط القوانين، فرسائلنا تعد إنذارا مسبقا لهم، وأي مخالفة لتلك القوانين تعطينا الحق في تأديب المخالفين دون أن يتمكن المخالف من التذرع بأي عذر[2].

7- أما عن رغبتك في الاستقرار في تنبكتو مع أهلك وذويك، فلا شك أن ذلك أفضل من حياة البدو الترحال، ومن المؤكد أن بحرك الزاخر الصافي سيروي ظمأ كثير من الناس، لكن هذا البحر الكبير يحتاج إلى مساحات واسعة للانبطاح عليها، فإني لا استطيع أن أمنحك أراضي في تنبكتو دون استشارة أهلها، وسوف ننظر في ذلك عندما ترجع المدينة إلى حظيرة الإمارة[3].

ونلاحظ أن الأمير أحمدو الثاني رفض جميع مطالب الشيخ البكاي، ورد عليها بشيء من الذكاء والتحدي والرزانة تعاطيا مع الطريقة الاستفزازية والاستعلائية التي كان يعاملها به الشيخ البكاي، وجاءت كل ردوده ناضجة وواعية ومدعمة بالأدلة والبراهين تدل على معرفة الأمير بشؤون الحكم وأنه على اطلاع جيد على مجريات الأحداث والظروف والخلفيات التي أدت إلى سن مختلف القوانين في إمارته.

ثم طلب منه الشيخ أحمد البكاي الإجابة عن المسائل الست فأجابه الأمير بما يلي:

أ- لقد تم تحويل قبائل "دوغون" و"هومبولت"إلى العبودية قبل تأسيس إمارة ماسينا بوقت طويل، وأن العلماء المسلمين السابقين وضعوا قائمة الجماعات السودانية التي يمكن استعبادها قسراً، واستشهد بتاريخ الفتاش مثل:"هومبولت" و"تومبـــو" و"تنغارتيب" و"ديارا كوروبكاري"

[1]Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p p352-353.
[2]Op, Cit, p353.
[3]نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص182.

و"كورونغوي"، وبما أن إنشاء هذه القائمة لم يستند لا إلى القوانين التي وضعناها ولا إلى التعليمات التي أصدرناها، فلا يمكننا تحمل المسؤولية عنها أو إجراء أي تغييرات عليها.[1]

ب-قرر المجلس الكبير تجنيد العبيد ومشاركتهم في الحروب لسببين إحداهما: أن الله يأمرنا بالجهاد في سبيله بأموالنا وأنفسنا لإعلاء كلمة الله وبما أن عبيدنا جزء من أموالنا فإننا نوظفهم في جهادنا ابتغاء مرضاة الله، والأمر الثاني يتمثل في أن كل عبد أظهر شجاعة وإقداما في القتال فإنه يستحق أن يعتق من العبودية.

ج-نخصص حصة من الغنائم للعبيد المقاتلين لنثبت لهم أننا نعاملهم على قدم المساواة عندما يعرفون كيف يشاركوننا أحزاننا ومحننا، هذه هي أفضل الروابط لربط عبيدنا بنا، حتى عند إطلاق سراحهم يظلون إخواننا المخلصين لنا[2].

د-لا يمكننا الاستشهاد بأي نص يبرر ضريبتي " مورغو" و"كراط"، ونعترف بأنهما ضريبتان زائدتان على المنصوص شرعا، لكن لا يوجد نص شرعي يمنع الدولة من البحث عن وسيلة لملء خزانتها بهدف الصالح العام فيما لا يضر السكان،كما أن الضريبتين تم فرضهما على المناطق التي تم إخضاعها بقوة السلاح، وقد فرض الرسول ﷺ ضريبة مماثلة على أهل خيبر[3]، ومن هنا استمد المجلس الكبير سنده الشرعي[4].

هـ-أما إعفاء إقليم "سيبيرا" دون الأقاليم الأخرى من ضريبتي "مورغو" و"كراط" كان ذلك بطلب من والدي وقد فعل ذلك اقتداء بالنبي ﷺ الذي أعفى أهل المدينة المنورة من كل أنواع الضرائب

---

[1] يذكر الفتاش أن هذه القبائل المذكورة ضاربة في العبودية منذ عهد إمبراطورية صنغاي أو قبلها، وذكر أنهم أرقاء في الأصل وليسوا أحرارا تم استرقاقهم لاحقا. ينظر: محمود كعت: المصدر السابق، ص328.

[2]Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p 354.

[3]ما فرضه الرسولﷺ على أهل خيبر لم يكن ضريبة بالمعنى المتعارف عليه، وإنما اقرهم على أراضيهم مقابل جزء معلوم مما تدر تلك الأراضي، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال لهم:((على أنا إن شئنا أن نخرجكم أخرجناكم)) وهذه ليست ضريبة بل خراج، ينظر:محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، بدون سنة، ص268.

[4] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص182.

كتعبير عن امتنانه للضيافة الكريمة التي استقبل بها الأنصار إخوانهم المهاجرين[1]، وأن إقليم "سيبيرا" يشكل بالنسبة للإمارة نموذج المدينة المنورة في الخدمات والتضحيات التي قدمها الإقليم من أجل إرساء دعائم الإسلام في المنطقة خلال هذه الحقبة التاريخية.

– خضعت قبائل "دوغون" للإمارة وتحالفت معها، لقد قال لنا هذا الشعب المزارع الوفي المعاهد:" دعونا نأتي إلى إلهكم بحرية، وسوف لن نقاتلكم أبدا ما لم تقاتلونا"، وقد رأى المجلس الكبير أن يمنح هذا الشعب تسامحاً كبيراً دون ضغينة، حتى يدخلهم الإسلام فلماذا العنف عندما يمكنك استخدام اللطف والإقناع[2]؟ ولقد صالح الرسول ﷺ قريشا عشر سنوات على وقف القتال في صلح الحديبية، وأن شيخنا الجليل البكاي في توبيخنا على هذا الإجراء يشبه سيدنا عمر الخطاب عندما رفض صلح الحديبية واعتبره دنية في دين الإسلام، فأجابه الرسول ﷺ : ((إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري))[3].

أما حروبنا مع الطوارق في أماكن نائية وبعيدة فإن الضرورة هي التي اقتضت ذلك، فإن هؤلاء القوم أغاروا علينا ونهبوا أبقارنا ومواشينا مرات عديدة، وحق الدفاع عن النفس هو الذي يدفعنا لقتالهم والإغارة عليهم، ولا أعتقد أنك تقر الطوارق على نهب أموالنا والإغارة على ممتلكاتنا، وتمنعنا حق الدفاع عن أنفسنا واستردادنا أموالنا وتأديب المجرمين[4].

نلاحظ مما سبق أنه بالرغم من بعض المآخذ على هذه الأجوبة من الناحية الفقهية كمثال أهل خيبر أو التاريخية كإعفاء الرسول ﷺ أهل المدينة من الضرائب، إلا أن مجملها جاء موافقة للشرع الحنيف، ومستندة لحجج وبراهين مقنعة تكشف لنا مدى الاطلاع العلمي الذي كان يتمتع به أمراء تلك المناطق خلال الفترة السابقة للاستعمار فقط.

[1] قد تم التعليق على ذلك في الفصل الرابع عند الحديث على الضرائب التي كانت تفرضها الامارة.

[2] Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p p 354-355.

[3] الإمام البخاري(أبي عبد الله محمد بن إسماعيل): المرجع السابق، رقم الحديث2731–2732، ص672.

[4] Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p355.

وقد تمخض عن هذا اللقاء اعتراف سكان تنبكتو بسلطة الفلانيين، وإن رفضوا إقامة جيش فلاني في المدينة، وأسندت شؤونها الإدارية إلى سونغوي يعينه أمير ماسينا وهو"سان شرفي" سنوسي الطريقة مناهضا للشيخ البكاي القادري[1]، واقتصر دور ممثلي ماسينا على تسيير نظام القضاء وجباية الضرائب[2]، بيد أن الأهالي لم يكونوا يلجئون إلى قاضي ماسينا، وإن لجئوا إليه فلا يمنعهم ذلك من استئناف الحكم عند قضاة المدينة الآخرين، ومهما يكن فإن الاتفاق سمح لإمارة ماسينا بمراقبة الطوارق، في حين شعر سكان تنبكتو بنوع من الاستقلال الذاتي وإن قدموا الضريبة لحكام ماسينا[3].

ب- وصول الرحالة هنري بارث إلى تنبكتو وتأثير ذلك على العلاقات الكنتية الماسينية:

تميز القرن التاسع عشر في أوروبا بحب الاكتشافات والمغامرة وحب السيطرة والاستعمار من طرف الحكومات الملكية والجمهورية، ومن بين أهم المكتشفين الذي أثارت رحلته جدلا كبيرا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الرحالة الألماني هنري بارث[4]، الذي بدأ رحلته لصالح الانجليز (1270-1271هـ/1853-1854م) واستقر ثمانية أشهر في ضيافة الشيخ البكاي[5]، وقد أثار وجوده انزعاجا لدى حمادي بن المختار الصغير وأمراء ماسينا وسكان تنبكتو الذين عقدوا العزم على قتله وأخذ أمواله[6].

---

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص41.

[2]Tauxiere, Louis: Op, Cit,p168.

[3]بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص ص99-100.

[4] هنري بارث: ألماني ولد في 1821م، بدأ دراسته في مسقط رأسه وأكملها في برلين درس فقه اللغة والجغرافيا العامة، حصل على الدكتوراه سنة 1844م، وطاف بحوض البحر المتوسط فزار فرنسا وإسبانيا والمغرب والجزائر ووصل إلى اسطنبول وقبرص، ثم اتصلت به الجمعية الانجليزية من أجل تجارة العبيد لبريطانيا بالسودان والصحراء، ليبدأ رحلته إلى إفريقيا فانطلق من طرابلس سنة 1850م والتي استمرت خمس سنوات، وتوجه إلى لندن وأخرج شهاداته في كتاب من خمسة أجزاء بعنوان: رحلات واكتشافات في شمال ووسط إفريقيا، ينظر: محمد الصالح حوتية: المرجع السابق، ص ص179-180.

[5]نفسه.

[6]Henri Barth:Op, Cit,t4, p42.

أرسل الأمير أحمدو الثالث رسالة إلى الشيخ البكاي يتضمن فحواها جواز قتل المستكشف البريطاني لأنه نصراني الدين، ومحارب للشريعة الإسلامية، ويتجول في أرض الإسلام من دون أذن من ولي أمر المسلمين، وعرض مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبيح قتل غير المسلم واستند إلى فتاوى بعض علماء السودان الغربي في ذلك، ومما يحسب له أنه ختم رسالته بطلب رأي الشيخ البكاي في هذه النازلة حتى يستدرك ما فاته من حكمه الأول[1].

وبمجرد وصول الرسالة إلى الشيخ البكاي رد عليه ردا قويا استطرد فيه الأدلة الشرعية والعقلية التي لا تبيح للأمير استباحة دم النصراني "هنري بارث" المدعو عبد الكريم تقية، ومما قاله ما يلي: " فالقول في جوابك أيها الأمير أنه جاء إلى تنبكت كما قلت بغير استئذان ولا إذن، وذلك لا يبيح ماله ولا سجنه، فأنكر عليك أمرك سجنه وطلبك ماله، فإنه حرام عليك وظلم له، فإنه إنما وصل في عهد المسلمين فأن جميع قبائل النصارى اليوم في العهد والصلح إلا الموسك[2] بلغنا في هذا العام أنهم حاربوا السلطان عبد المجيد، وعلى كل فإنك لست إمام المسلمين، إنما إمام المسلمين اليوم مولاي عبد الرحمان[3] أو السلطان عبد المجيد[4] فمولاي عبد الرحمان هو أهلها بالشريعة والسلطان عبد المجيد هو الأكبر والأكثر في الملك، وإنما أنت أمير من حمد الله إلى تنبكت مسيرة خمسة أيام..."[5].

---

[1] ياسين بن روان: تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني)، مركز بلعربي العلوي للدراسات التاريخية، المغرب، 2019م، ص70.

[2] يقصد بها موسكو (عاصمة روسيا).

[3] عبد الرحمان بن هاشم:(1790-1859م) السلطان المغربي الرابع عشر في السلالة العلوية حكم المغرب في الفترة مابين 1822-1859م، خلفا لعمه سليمان بن محمد. ينظر: لويس معلوف: المرجع السابق، ص 366.

[4] عبد المجيد الأول: (1822-1861م) سلطان عثماني حكم الخلافة (1839-1861م) خلفا لأبيه محمود الثاني، أجرى إصلاحات إدارية وفكرية واجتماعية عرفت بالتنظيمات وأصدر خط شريف 1839 وخط همايون 1856 وفي عهده جرت حرب القرم1854-1855م. ينظر: لويس معلوف: المرجع السابق، ص368.

[5]أحمد البكاي: هذا جواب أحمد البكاي بن محمد ...، المصدر السابق، ص3.للمزيد ينظر: الملاحق رقم 19-20- 21-22.

اعتمد الشيخ البكاي في جوابه على مقاربة منهجية متنوعة سعى من خلالها إلى إقامة الحجة، مستدلا بالحجج النقلية والعقلية التي تدعوا إلى تحريم قتل النفس البشرية والتعدي عليها، وذكره بأنه لا يجوز الاعتداء على المعاهد التي تعد من أصول الشريعة الإسلامية ومقاصدها السامية، وقد استطرد عدة أمثلة منها قتل سيدنا موسى عليه السلام للقبطي وكيف عاتبه الله على ذلك: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[1] ، كما استشهد بالأحاديث النبوية وسير الخلفاء الراشدين فكان ردا قويا صارما بعيدا عن المجاملات والمداهنات، وبين للأمير بطلان حجته وضعف دليله في انتهاك حرمة النفس البشرية حتى لو كانت كافرة[2].

ثم أعلمه أنه لا يهاجم مضيفه إلا من أجل ثروته التي قيل له أنها تعادل أربعين صندوقا مملوء بالذهب والأحجار الكريمة، في حين أنه لم يحضر سوى أربعة صناديق احتفظ باثنين لنفسه وآخرين أعطاهما للشيخ البكاي، وأثبت له كذلك بالآيات والأحاديث النبوية تسامح الإسلام مع أهل الكتاب، وكيف أن الرسول ﷺسكن المدينة المنورة مع وجود اليهود فيها، وذّكره بأنها ليست المرة الأولى التي يصل فيها المسيحيين للمنطقة فقد زاروا المنطقة في حياة الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير وابنه الشيخ سيدي محمد الخليفة[3].

وفي هذا المنعطف من الحديث فقد بعث الأمير أحمدو الثالث رسالة أخرى إلى الشيخ البكاي، يأمره بتسليم "بارث" لممثله على تنبكتو، وفي حالة الامتناع عن ذلك فسيشن عليه حربا[4]، وكانت الرسالة بمثابة استفزاز شديد وتقليل من المكانة الروحية التي يحظى بها الشيخ البكاي، ولهذا الاعتبار رد عليه برسالة تتضمن الكثير من السخرية والاتهام بالجهل بالدين الإسلامي ثم أردف قائلا:" إنني لأصاب بالدهشة التي لا حدود لها حينما أتفكر في المقدرات الذهنية لمن لا ينتمون إلى

[1] سورة القصص: الآية 15.

[2] ياسين بن روان: المصدر السابق، ص ص62-63.

[3] Ismail Traore: Les relations èpistolaires entre la famille kunta de tombouctou et la Dina du macina (1818-1864) , Doctorat Etudes Arabes, Ecole Normale Superieure de lyonUniversyte de Lyon, 2012, p152.

[4] Henri Barth:Op, Cit,t4, p84.

العنصر العربي" ثم أقسم بأنه سوف لن يقوم بتسليم ضيفه ولو جاء الطلب من السلطان عبد الحميد أو مولاي عبد الرحمن فما بالك من أمير إفريقي صغير[1]، وعلى أثر هذه الكلمات أرسل الأمير الماسيني جيشا قوامه ألف فارس في مطلع ديسمبر 1853م لاعتقال الرحالة الألماني، وفي هذا الصدد استعد الشيخ البكاي لقتال الجيوش الغازية خارج تنبكتو مستعينا بالعرب والطوارق[2]، ويقول عن ذلك: " كيف يطالبني أحمد أحمد استسلام ضيفي له والسيوف والرماح موجودة، وكيف يأخذه والطوارق والعرب من شاب وشيخ يساندني، يكفيني من شر أحمد أحمد دعوات عليه في الساعات الأخيرة من الليل"[3]، إلا أن الجيش الفولاني رفض قتال الشيخ البكاي وفضلوا الرجوع إلى عاصمتهم بلادهم"حمد الله"[4].

وفي تقديرنا أن تراجع الجيش الفلاني كان لعدة عوامل منها تفكك البيت الماسيني بسبب الصراع الداخلي على الحكم، ضف إلى ذلك العامل الروحي الذي كان يربط شعوب المنطقة بالطريقة القادرية الكنتية التي كانت متجدرة في المنطقة منذ أمد بعيد.

وفي الثامن من جويلية 1854م غادر الرحالة "بارث" مدينة تنبكتو[5]، وأرسل معه الشيخ البكاي رسالة إلى ملكة بريطانيا يطلب منها المساعدة للسيطرة على نهر النيجر سياسيا وعسكريا، وقد ردت عليه الملكة برسالة بتاريخ 15 ابريل 1857م تشكره على حمايته ل"هنري بارث"، غير أنها لم تقدم له أي مساعدات لكونها لا تريد الاصطدام بفرنسا التي كانت قد بثت نفوذها في منطقة السنغال منذ القرن السابع عشر الميلادي بسانت لويس[6].

[1] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي...، المرجع السابق، ص ص174-175.

[2] Henri Barth:Op, Cit,t4, p p91-92.

[3] أحمد البكاي: رسالة من الشيخ سيد أحمد البكاي...، المصدر السابق، ص ص8-9.

[4] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي...، المرجع السابق، ص175.

[5] نفسه، ص176.

[6] بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص103.

نخلص مما سبق أن العلاقة الماسينية الكنتية تأرجحت بين الود والعداء، بالرغم من الولاء الروحي الذي كانت تظهره الإمارة الماسينية للكنتيين، ولعل جوهر الخلاف بينهما كان حول السيطرة على مدينة تنبكتو التي كان يرى فيها الكنتيين العاصمة الروحية للطريقة القادرية الكنتية، ضف إلى ذلك النظرة الإحتقارية والاستعلائية التي كان يعامل بها الشيخ احمد البكاي الإمارة الفلانية وحكامها.

ثانياً: الصراع مع الطوارق

لم يكن عداء الإمارة الماسينية في تنبكتو مقتصرا على الأرما فقط، بل شكل الطوارق "الملثمين" أعظم خطر خارجي واجهته الإمارة، حيث تنافسوا مع البدو الفلانيين في الحصول على مناطق للرعي والملح وموارد الماء في المنطقة الشمالية من الإمارة[1].

ومن المعروف أن الطوارق كانوا يتمتعون بمزايا عسكرية لا تقل عن الفلان، فكانوا فرسان مهرة يحاربون بالحراب المدببة المسممة والسيوف والدروع، وكانوا ينتظمون في الحروب تحت قيادة حربية مقتدرة وبإعداد ضخمة، فشكلوا قاعدة قوية في الصحراء جعلتهم يفرضون سيطرتهم على الكثير من البدو هناك ويحققون انتصارات حاسمة في المعارك التي يخوضونها، وهذا ما أعطاهم مزايا عسكرية تفوق قدرات السكان المستقرين في إمارة ماسينا[2].

بعد أن خضعت مدينة تنبكتو لسلطة الماسينين واستجابة الأرما لشروط البيعة، رفض الطوارق ذلك ولم يرضيهم الحكم الفلاني وقرر زعيمهم "سيريم" محاربة الفلان وشنوا حملات متتالية على المدينة مما أدى إلى انعدام الأمن والاستقرار وتدهور النشاط التجاري[3]، وإمام هذا الوضع تمكن الشيخ أحمدو لوبو من الانتصار على الطوارق في معركة دوكووال سنة (1244هـ/1828) وأصبح من

[1] عبد الله عبد الرزاق: الحركات الإصلاحية...، المرجع السابق، ص78.

[2] حسن علي منيسي: المرجع السابق، ص183.

[3] AbdelkaderZebadia: Op, Cit, p86.

الضروري مراقبة المدينة للحد من خطر الطوارق فعين بها حاكمين مدني وعسكري، ووضع بها حامية عسكرية[1].

ثم شن الطوارق حملة أخرى على تنبكتو سنة1250هـ/1834م وخرجت منها الحامية الماسينية وعاثوا فيها فسادا، فراسلهم الشيخ المختار الصغير وزجرهم عما قاموا به من أعمال الفساد ووعدهم بأن يطلب لهم الصلح من الأمير أحمدو لوبو وكتب لهذا الأخير يطلب منه تأمين الطوارق فقال له: "وتلطف وتألف كفعله ﷺ بأمثالهم من أحداث الأديان حتى ألفوا ورغبوا واطمأنوا، ولا تجد قوما عربا ولا عجما أقرب طاعة ولا مودة من الطوارق لمن رغبهم بعدما رهبهم وتألفهم بعدما خوفهم ولا قوما أشد نفرة ولا أقوى نكرة منهم، لمن شاكسهم وعاكسهم وضيق عليهم وأحرجهم ولا قوما أشكر منهم لقليل الإحسان وكثيره..."[2]، وقد رد عليه الشيخ أحمدو لوبو بشأن تمرد الطوارق بما يلي:"...أما بعد فالسلام بالتمام والإكرام بالاهتمام من الشيخ أمير المؤمنين أحمد بن محمد إلى الأخ في الله والعون المتعاون على طاعة الله سيد المختار جعلنا الله من المصطفين الأخيار، آمين، قد رأيت ما كتبت إلي من أنك تخوفت من أن نذكر ليس في أمرئ برد قائم العير من أموالنا التي نهبوها قبل قدومك وبعده، إلا أن نتبين في ذلك التخوف وعلته إلى ما قلت في كتابك فإنه تعني سر ولم يزل متعلقا بي ولم أزل شافعا له عندك ما شفع شفاعة الشافعين عند السادة النافعين، عقدنا رأينا عقدا مستحكما على أن لا يثنينا مع هؤلاء الطوارق الغلاة البغاة الطغاة العبدة المردة الغدرة الفجرة، لأنهم لم يزالوا منذ زمن والدك المرحوم يغشوننا غشا ويغدرونا غدرا مرة بعد أخرى ويبغتون قرية بعد أخرى... فقد فوضنا أمر هؤلاء الطوارق إلى الله ثم إليك، فافعل في أمرهم كيفما رأيت ..."[3].

---

[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص 40.

[2] آدب ولد سيد أمحمد: المرجع السابق، ص ص197-198.

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، الإسكندرية مصر، 1999م، ص ص230-231.

يتضح من خلال هذه الرسالة حالة العجز والتذمر من ممارسات الطوارق التي أنهكت كاهل الإمارة وأثرت على النشاط الرعوي والتجاري في حوض النيجر، ثم بعد هذا الوساطة الكنتية عادت المدينة إلى حظيرة الماسينية مرة أخرى[1].

غير أن الطوارق رفعوا راية العصيان بعد وفاة الشيخ أحمدو لوبو وشنوا حملة عسكرية على تنبكتو شارك فيها الشيخ المختار الكنتي الصغير وجماعات من كنته وطردوا الحامية الماسينية بعد أن هلك معظمها[2]، وفي مستهل سنة 1846م زحف قائد القوات الماسينية "بالبو" على الطوارق وهزمهم قرب بحيرة "غوسي" وفرض حصارا على تنبكتو مما أدى إلى تراجع النشاط التجاري وعجز الطوارق من الوصول إلى المراعي الداخلية قرب نهر النيجر[3]، وأمام هذا الوضع طلب الطوارق من الشيخ المختار الصغير التوسط لهم لفك هذا الحصار الخانق، فكلف أخاه الشيخ أحمد البكاي الذي نجح في عقد ميثاق بين الفلان والطوارق وسلطات تنبكتو[4].

بالرغم من أن الإمارة الماسينية قد نجحت في تحقيق بعض المكاسب للفلان ومنع الطوارق من السيطرة على المنطقة، إلا أنها عجزت عن حماية المنطقة من تهديداتهم المتوالية، واستمر الوضع على ذلك حتى بعد الاتفاق الذي أبرمه الشيخ أحمد البكاي سنة1846م[5]، وفي عام 1854م أرسل الأمير أحمدو الثالث حملة تأديبية إلى الطوارق، غير أن الفلانيين اضطروا لتغيير خطتهم نتيجة قيام قبائل الموسي بغزو الإمارة من الجنوب[6].

نخلص مما سبق أن العلاقة مع الطوارق فقد شابها التوتر والصراع كون الإمارة حدت من النشاط الرعوي للطوارق وحاربت تجارة التبغ التي كانت مورد أساسيا للقوافل التجارية الصحراوية.

---

[1] آدب ولد سيد أمحمد: المرجع السابق، ص199.

[2] Tauxiere, Louis: Op, Cit,p169.

[3] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص687.

[4] بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المصدر السابق، ص90.

[5] Henri Barth:Op, Cit,t4, p33.

[6] حسن علي منيسي: المرجع السابق، ص185.

ثالثاً: العلاقة مع الخلافة السكتية:

تعد الخلافة السكتية التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي خلال القرن التاسع عشر الميلادي النموذج الأمثل للحركات الإصلاحية في منطقة السودان الغربي، وقد نجح في إقامة دولة إسلامية كبيرة تحكمها الشريعة الإسلامية الغراء، وكان الشيخ أحمدو لوبو يرى فيه النموذج الأمثل والإمام العادل الذي يجب أن يقتدي به، غير أن وفاة الشيخ عثمان سنة 1817م جعل العلاقة بين الإمارتين الإسلاميتين تتغير وتتأرجح بين الود والعداء[1]، وقد قسمت إلى ثلاثة مراحل تمثلت فيما يلي:

1-من البيعة إلى التوتر (1817-1821م):

تأثر الشيخ أحمدو لوبو بالفكر الإصلاحي للشيخ عثمان بن فودي وكان يرى فيه الإمام الأكبر في المنطقة، لذلك أرسل إليه رسالة يطلب الإذن في الجهاد في سبيل الله، غير أن عناصر الديكو وحاكم سيغو هاجموه قبل رجوع الرسولين مما اضطره إلى إعلان الجهاد، وكان الرسولان قد بايعا الشيخ عثمان باسم أحمدو لوبو، الذي منحه لقب "الشيخ" وأذن له بالجهاد وأرسل له علم (راية) كدليل على الولاء والتبعية[2]، وكان هذا النظام متبعا في سوكوتو حيث كان الشيخ عثمان يعين القادة خارج نطاق الإمبراطورية ويمنحهم الأعلام كدليل على الولاء السياسي[3].

غير أن الظروف التاريخية والطموحات الشخصية والدوافع السياسية جعلت الشيخ أحمدو لوبو يتبرم من هذه البيعة وخاصة بعد وفاة الشيخ عثمان بن فودي سنة1817م، والانتصار في معركة نوكوما1818م بدون مساعدة أو دعم خارجي[4].

---

[1]أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص114.

[2]عبد القادر بن تيجان:المرجع السابق، ص ص447-448.

[3]Mauro Nobili:Op, Cit, p186.

[4]أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص114.

وقد جرت مراسلات بين الشيخ أحمدو لوبو وأمير المؤمنين محمد بيلو حول دواعي انسلاخه من البيعة للخلافة السكتية[1]، فأورد الشيخ أحمدو لوبو عدة حجج منها تباعد الأماكن بين الإمارتين، وعدم جواز البيعة لخليفتين، وأشار الشيخ أحمدو لوبو بأن خلعه للولاء كان على الكتاب والسنة إذ لا يجوز عقد البيعة لإمامين متنازعين على السلطة، ويشير في ذلك إلى الصراع حول السلطة بين محمد بيلو وعمه عبد الله[2]، وأنه تلقى كتاب من الشيخ عبد الله بن فودي يطلب البيعة ويعلن نفسه أميراً للمؤمنين ومن محمد بيلو كذلك، فكيف له أن يبايع إمامين في نفس الوقت، ويقول عن ذلك الشيخ أحمدو لوبو:" فأما سبب التوقف فإن سيدي عبد الله أرسل كتابا بخط يده يطلب البيعة ويقول فيه: إنه هو أمير المؤمنين وأنا سمعت غير ذلك، فتوقفت لأنظر ما هو الأصلح للمسلمين لا رغبة في الترأس وهذا سبب التوقف أولا، وأما التمادي عليه بعد سمعنا التئام الأمر بينكم، فما استفدنا به من بركة هذا السيد المذكور في كتابه ضياء الحكم[3]ناقلا عن النفراوي بقوله:« ولا يجوز العدد في العصر الواحد والبلد الواحد إجماعا إلا أن تتباعد الأماكن بحيث لا يصل حكم الإمام إلى محل آخر كالأندلس وخراسان فيجوز التعدد لئلا تتعطل حقوق الناس وأحكامهم»[4].

كما يطلب منه بأن يجادل بموضوعية وأن يعترف بالحقيقة بأن حكمه لم يصل إلى النيجر الأوسط منذ وفاة الشيخ عثمان ويقول له في إحدى مراسلاته:" فانظروا بنظر الإنصاف هل وصل إلينا حكمكم منذ وفاة شيخنا المرحوم عثمان إلى الآن، إذا أنت قبلت حجتي بأن سلطانك لم يصل إلينا فهو كذلك ولا يجوز أن يكون هناك أكثر من سلطة واحدة؟ بل ينضم إليه بعد المسافة كالأندلس وخراسان الذين مثل بهما فقط لا ما دون ذلك من المسافة، ولو تعطل الحقوق والأحكام

[1] ينظر: الملحقين 14-15.

[2] لعل سبب التوتر بين محمد بيلو وعمه عبد الله أن هذا الأخير جاء إلى سوكوتو بعد وفاة أخيه الشيخ عثمان 1817م يطلب الخلافة لنفسه فوجد أبواب المدينة موصدة في وجهه فقفل راجعاً إلى "غوندا" وقطع جميع الاتصالات مع سوكوتو، وبدأ يدير شؤونها دون الرجوع إلى سوكوتو، ثم ينتهي الخلاف بينهما عندما تمكن محمد بيلو من فك الحصار على عمه في "غوندا" من طرف بعض المتمردين والذي دام سنتين في معركة كالمبانيا1821م. ينظر: Mauro Nobili:Op, Cit, p187

[3] أبي بكر العتيق: المصدر السابق، ص49.

[4]أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي: الفواكه الدواني على رسالة ابن ابي زيد القيرواني، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997، ص168.

كما سنورد ذلك أيضا إن شاء الله " ويضيف بقوله: "من المعروف أنك لم تتمكن من إرسال أي شيء منذ وفاة شيخنا المغفور له حتى اليوم بسبب الردة في الأراضي وقطع الطريق والمسافة بين أراضينا"[1].

ولعل من الأسباب الرئيسية التي أثارت حفيظة الشيخ أحمدو لوبو مناصرة السلطان محمد بيلو للشيخ الحسين كويتا زعيم منطقة "فيتوغا" الذي أعلن حركة تمرد في المنطقة الداخلية من دلتا نهر النيجر ضد حكومة ماسينا[2]، وكانت تلك المدينة الواقعة على الطريق التجاري بين تنبكتو وغواند تمثل الشريان الحيوي لحركة التجارة بين الخلافة السكتية وقبيلة كنته بتنبكتو[3]، ومما زاد الطين بلة المساندة الكبيرة التي تلقاها الشيخ الحسين كويتا من السلطان محمد بيلو، ولا يفسر هذا الانحياز إلا في ظل سخط هذا الأخير على الشيخ أحمدو لوبو الذي استغل الفتنة الداخلية في سوكوتو وتراجع عن البيعة، وقد تمكنت "فيتوغا" من الصمود في وجه ماسينا بفضل مؤازرة سوكوتو وقبيلة كنته حتى 1823م حيث تم إخضاعها وإعدام أميرها[4]، ضف إلى ذلك مناصرة السلطان محمد بيلو لـ"غيلاجو" أمير كوناري الذي تمرد على ماسينا وخاض ضدها حربا دامت سبع سنوات وبعد انهزامه اتجه شرقا ودخل في طاعة السلطان محمد بيلو الذي سمح له بالإقامة في منطقة ساي[5] (جمهورية النيجر حالياً)[6].

وقد رد السلطان محمد بيلو على تلك الحجج والبراهين السابقة بأن البيعة منعقدة في رقبة الشيخ أحمدو لوبو للشيخ عثمان وخلفاؤه من بعده، وان الذين بايعوا والده وأذن لهم بالجهاد وسلمهم الراية نيابة عن الشيخ أحمدو لوبو يجعل البيعة تامة ولا يجوز التنصل منها أو قطعها، وأردف قائلا:" أن والده هو الخليفة المجدد ويجب على كل سكان المنطقة مبايعته على ذلك"، وأن انتهاك هذا التعهد

---

[1]Mauro Nobili:Op, Cit, p p187-188.

[2]محمود كعت: المصدر السابق، ص51.

[3] عبد الرحمن ساكو: المرجع السابق، ص47.

[4]آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص680.

[5] كوّن جلاج لنفسه عاصمة سماها "جلاج " تقع على بعد 40 كيلو متر غرب مدينة ساي وهي مسكونة إلى اليوم. نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص168.

[6] نفسه.

تعطيل لوحدة المجتمع الإسلامي، واعتبر أرض ماسينا جزء لا يتجزأ من سوكوتو وأنها أرض واحدة وليس هناك دليل شرعي ينص على وجود حاكمين بسبب البعد والانقطاع وأعطى أمثلة تاريخية على ذلك كالأندلس في عهد الأمويين[1].

2-مرحلة الصلح:1821-1838م

بعد المصالحة بين السلطان محمد بيلو وعمه عبدالله سنة 1821م واعتراف هذا الأخير بأحقية الشيخ أحمدو لوبو بالإمارة، بالإضافة إلى موقف الشيخ محمد الخليفة من جهاد الشيخ أحمدو لوبو الذي كان يرى أحقيته بالإمارة في المناطق التي سيطر عليها والتي تحت إمرته، لأنه قام بالجهاد لوحده ليس مع جيوش الشيخ عثمان ولا بإمدادهم ولا بدعم من الولايات التي تحت سلطتهم[2]، ولعل كل هذه المواقف جعلت السلطان محمد بيلو يعترف باستقلالية إمارة ماسينا عن سوكوتو، وبقبول الأمر الواقع بوجود خلافتين منفصلتين إحداهما في السودان الأوسط (سوكوتو) والأخرى في السودان الغربي(ماسينا)[3].

ومن المواقف التي تدل على العلاقة الجيدة بين الإمارتين تبادل الرسائل والسفراء، كما زوده السلطان محمد بيلو بأربعة كتب من كتب الشيخ عثمان تتناول أساليب الحكم والعلاقة بين الأمير وحكام الأقاليم، وتعليمات خاصة بجهاز القضاء ومصاحف من القرءان الكريم، وحتى لا يبق معزولا عن العالم الخارجي فقد سعى إلى ربط علاقاته مع الدول الإسلامية كما فعل مع الخلافة العثمانية[4].

[1]Mauro Nobili:Op, Cit, p p190-191.
[2]Op, Cit, p194.
[3]أحمد محمد كاني: المرجع السابق، ص114.
[4]أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص ص214-215.

ومن الرسائل التي تثبت العلاقة المتينة بين الإمارتين ما كتبه الشيخ أحمدو لوبو إلى الباشا عثمان قائد تنبكتو بمناسبة وصول المستكشف الاسكتلندي "ألكسندر غوردونلينغ[1]" إلى تنبكتو في اوت 1826م يقول له: " قد سمعت أن مسافرا مسيحيا يرغب في زيارة بلادنا ولكن لا نعرف إن كان قد وصل أم لا، وعليك أن تسعى لمنعه من الدخول إن لم يكن قد جاء، وإذا جاء فاجتهدوا في صرفه، وخد منه كل أمل في البقاء تحت سيطرتنا، فلقد تلقيت رسالة من بيلو ينصحني بمنع الأوروبيين من زيارة بلد مسلم (السودان)، وكان هذا بسب الرسالة التي تلقاها من مصر والتي ارتكب فيها المسيحيون تجاوزات ومفاسد، وكذا الأندلس وغيرها من البلدان"[2]، بالإضافة إلى رسائل التعزية التي أرسلها إلى أبي بكر عتيق[3] بعد وفاة السلطان محمد بيلو سنة1837م[4].

3- عودة التوتر إلى العلاقات1837-1853م:

بعد وفاة السلطان محمد بيلو بن الشيخ عثمان بن فودي تولى الحكم أخاه أبو بكر عتيق، وذلك بعد اختياره من مجلس اختيار الخليفة الذي كونه محمد بيلو، وكان بعض أعضاء المجلس يميلون إلى أخيه محمد البخاري[5]، ولكن أبا بكر عتيق قد سبق محمد البخاري إلى مدينة "ورنو" حيث أعضاء المجلس وتم اختياره بعد أسبوع من وفاة الشيخ محمد بيلو، وأدى ذلك إلى منافرة بين الأخوين حول

[1] الكسندر غوردونلينغ: (1793-1826م) مستكشف اسكتلندي يعد أول أوروبي وصل إلى تنبكتو سنة1826 وأقام بها 38 يوما، ثم اغتيل في نفس السنة، ينظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص ص68-69.

[2]Mauro Nobili:Op, Cit, p195.

[3] الخليفة الثالث للخلافة السكتية تولى الحكم بعد وفاة اخيه محمد بيلو 1837م كان أبو بكر عتيق رجلا صارما في سياسته، كثير الخروج للجهاد في سبيل الله حتى مل الجيش من كثرة حروبه، وكان لا يفارقه السيف والرمح حتى في منزله، توفي سنة 1842م وهو راجع من أحدى غزواته، وهو أول خليفة من خلفاء دولة سكت مات راجعا من الجهاد في سبيل الله تعالى، وكان رحمه الله رجلا عالما كثير الاطلاع، وقد ترك مؤلفات عدة منها:جودة السعادة-منظومة باسم الفواكه الدواني-أسرار الشيخ عثمان-ضياء أهل الرشاد في أحكام الهجرة والجهاد والسنة في سياسة العباد-أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق عن كتاب الفقيه أحمد لوبو.للمزيد ينظر:أبي بكر عتيق: المصدر السابق، ص ص5-6.

[4]Mauro Nobili:Op, Cit, p195.

[5] محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فودي كان قد نازع شقيقه الأصغر ابو بكر عتيق الأصغر على الحكم لكنه تنازل فيما بعد. ينظر: Mauro Nobili:Op, Cit, p196.

الحكم، ولأجل ذلك خصه الشيخ أحمد لوبو برسالة ينصحه فيها، وقد تصالحا بعد ذلك وانتهت المشكلة[1].

ثم توترت العلاقة بين الإمارتين بوصول أبو بكر العتيق إلى الخلافة في سوكوتو الذي كتب إلى الشيخ أحمدو لوبو يطالبه بالمبايعة لخلافة سوكوتو بقوله: "إن الطاعة واجبة عليكم لدخولكم أولا تحت بيعة الشيخ أمير المؤمنين عثمان وكذا نوابه"، كما كتب له ابن عمه خليل الله بن عبد الله بن فودي[2] أمير "غوندا" في نفس الأمر، فرد عليهم الشيخ أحمدو لوبو بعدة رسائل[3]، الأولى في تعزية أبي بكر عتيق في وفاة السلطان محمد بيلو، والثانية إلى محمد البخاري بن عثمان بن فودي لنصحه بسبب المنافرة التي وقعت بينه وبين أخيه أبي بكر العتيق بسبب الخلافة، والثالثة إلى أبي بكر عتيق جوابا على رسالته إليه في شأن البيعة، الرابعة والخامسة إلى الوزير غداد بن ليم[4] ، والسادسة إلى الشيخ المصطفى بن محمد التورودي[5]، وقد تولى أبو بكر عتيق الرد على الرسائل التي أرسلت إليه وإلى وإلى أخيه محمد البخاري وابن عمه خليل الله في مخطوط سمي" أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق عن كتاب الفقيه أحمد لوبو"[6].

وبقيت العلاقة متوترة بين الإمارتين بسبب حداثة سِن خلفاء سوكوتو ورفض الشيخ أحمدو لوبو عقد البيعة لهم بالإضافة إلى انعدام الاستقرار السياسي في سوكوتو والصراعات الخارجية التي كانت تشهد الإمارتين، وأشار هنري بارث عن العلاقة بينهما في مطلع الخمسينات بقوله: "أنه في

[1] ابي بكر العتيق: المصدر السابق، ص6.

[2] تولى الخلافة في عام1833-1858م في غوندو بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بن عبد الله بن فودي. ينظر: ابي بكر العتيق: المصدر السابق، ص12.

[3] ومن المؤسف أننا لم نقف على رسائل الشيخ أحمد لوبو المذكورة.

[4] وزير الشيخ محمد بيلو، توفي عام1851.ينظر: أبي بكر العتيق: المصدر السابق، ص12.

[5] كان كاتبا خاصا للشيخ عثمان بن فودي، توفي عام 1849م. ينظر: Mauro Nobili:Op, Cit, p200

[6] ابي بكر عتيق: المصدر السابق، ص8. للمزيد ينظر: الملحقين: 16-17.

الوقت الحاضر (1853-1854م) لا توجد علاقة ودية على الإطلاق بين حكام سوكوتو وغوندا من جهة وبين حمد الله من جهة أخرى"[1].

نخلص مما سبق أن العلاقة بين الإمارتين قد شابها الكثير من التوتر، وذلك لتبرم الشيخ أحمدو لوبو من البيعة بحجة مبايعته للشيخ عثمان الذي توفي قبل تأسيس الإمارة، كما أن الخلافة السكتية لم تساعده في جهاده ضد الوثنيين ولم ترسل له أي مساعدات عسكرية بالرغم من أسبقيتها وقوتها وتجربتها، ولعل هذه الحجة كانت وافية وكافية لاستقلالية إمارة ماسينا عن الخلافة السكتية، كما أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي تبادل للزيارات بينهما بسبب البعد الجغرافي وغارات القبائل المتمردة وانعدام الاستقرار الأمني في المنطقة.

رابعاً: العلاقة مع الممالك الوثنية:

1-مملكة سيغو:

استهل الشيخ أحمدو لوبو فتوحاته للمناطق الوثنية بشن حملات عسكرية لتأمين حدوده الغربية، من غارات مملكة سيغو المحيطة بمدينة "جني"، وقد تمكنت هذه الحملات من تحقق بعض المكاسب في المناطق الوثنية بالرغم من أن تقدمها البطيء بسبب كثافة غاباتها وكثرة مستنقعاتها التي أعاقت من تقدم القوات الماسينية[2]، وكانت رغبة ملك سيغو "دامونزون جرا"[3] إعادة ماسينا إلى حكم سيغو مرة أخرى والقضاء على الإمارة الإسلامية الناشئة، فجهز جيشا قوامه 20000 جندي بقيادة أركان حربه "غومبيلي" سنة 1825موجهه إلى ماسينا لمحاربة الشيخ أحمدو لوبو، غير أن الجيش الماسيني استطاع أن يفرق فلول تلك الجموع وأن يقتل قائد حربه "غومبيلي" مع ألفين من جنده وأسر

[1] Mauro Nobili:Op, Cit, p200.

[2] عبد المولى علي محمد عمار: أحمد لب الماسيني ودوره في ترسيخ العقيدة الإسلامية بماسينا، مجلة القرطاس، العدد 05 ، كلية الآداب جامعة الزاوية، ليبيا، 2019م، ص203.

[3] هو دا جارا بن مونزون بن انغولو جارا حكم سيغو بعد وفاة والده من 1808الى 1827م. ينظر: عبد القادر تيجان: المرجع السابق، ص387.

حوالي 7000جندي، فكانت هزيمة نكراء تضاف إلى سجل سيغو بعد هزيمة معركة نوكوما1818م[1].

أ.معركة ماديونغو1827: لم يستسغ ملك سيغو "دامونزون جرا" هزيمة جيوشه أمام حفنة من المجاهدين المسلمين، فأخذ يسعى بكل السبل لاستعادة هيبة جيشه، لكن مشاكله الكثيرة مع دول الجوار خاصة مع مملكة "كارتا" لم تسمح له بالتفرغ لماسينا وحدها، كما أن كبار مستشاريه من الكهنة والعرافين حذروه من الاصطدام مع الشيخ أحمدو لوبو الذي رأوا بأن قوة خفية تقف إلى جانبه مما يجعل الاصطدام معه غير محمود العواقب[2].

وحتى يصل " دامونزون جرا" إلى مبتغاه حاول كسب صداقة بمبارا "سارو" الخاضعين لنفوذ " تيون" الذي ساعده في معركة نوكوما، وتعبيرا عن الشكر والامتنان أرسل إليه "دامونزون جرا" هدايا ثمينة من الذهب والجواري، وذكره بأواصر الأخوة التي تربط بينهما، وبخطورة العدو المشترك الجديد المتاخم لهما في المنطقة، وتمكن من خلال ذلك كسب ثقة أحد أهم قادة "تيون" يدعى " فلي تنغرا" ليجعل منه قائد للقوات المشتركة ورأس حربته في مواجهة ماسينا[3].

ثم توجه "دامونزون جرا" نحو مملكة "كارتا" حتى يضمن تحييدها عند مهاجمته لماسينا واستطاع أن يتحصل على ضمانات بعد الهجوم عليه من الخلف وهو منهمك في الحرب مع ماسينا[4].

وبعد أن تمكن "دامونزون جرا" من وقوف ممالك البمبارا إلى جانبه عند توجهه إلى ماسينا، عقد مجلس الحرب وحضره كافة القادة والمستشارين، وأعلن أنه يريد الشيخ أحمدو لوبو حيا لا ميتا لوضع حد لجرأته وللقضاء على دولته الفتية المزعجة، وأمر بتجنيد كل شخص قادر على حمل

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص451.
[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص302.
[3] نفسه، ص303.
[4] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص451.

السلاح في مملكته والممالك المتحالفة معه، وجمع بذلك جيشا عرمرم لا طاقة لماسينا به، بل أصبح تدميرها وسَوق الشيخ أحمدو لوبو إلى "سيغو" مقيد بالأغلال مسألة وقت فقط[1].

ولكن قبل أن يطلق هذا الجيش العرمرم إلى هدفه شاء الله أن يموت "دامونزون جرا" 1827م فاضطربت الأوضاع في "سيغو " بعد صراع على الحكم فتفكك الجيش وفشل المشروع من أساسه[2].

غير أن "فلي تنغرا" رأى بأن يستفيد من هذا الجيش ليحقق هدفه المنشود، فانتقى منه العناصر الجيدة وضمها إلى جيشه واتجه بها صوب ماسينا، وتمكن في طريقه من تدمير بعض القرى الماسينية وارهب السكان ونهب المواشي والمحاصيل الزراعية، وكان يقضي معظم وقته في معاقرة الخمر ولعب القمار مع قادة الجند وكأنه في نزهة، حتى وصل إلى قرية "ماديونغو" دون مقاومة تذكر[3].

وعند وصوله إلى قرية "ماديونغو" لم يعلم بأنه وقع في شرك الاستدراج الذي نصبته له القوات الماسينية التي تركته يتوغل في أرضي المسلمين دون مقاومة فاعتبر ذلك انتصارا، غير أنه وجد نفسه محاصرا بإحكام في "ماديونغو" وفقد الجزء الأكبر من جيشه واستسلم الباقون، وسيق الأسرى إلى مدينة "حمد الله" وتم تشكيل محكمة عسكرية لقائد الجيش "فلي تنغرا" وحكم عليه بالإعدام وقبل تنفيذ الحكم أمهل ثلاثة أيام لعله يتوب إلى الله ويعتنق الإسلام، وأوكلت المهمة لمجموعة من العلماء لنصحه وإرشاده، لكنه رفض اعتناق الإسلام متذرعا بأن سبة الدهر ستلاحق أبنائه من بعده إذا بدل دين آبائه، وبعد أن يئس الجميع من توبته نفذ فيه حكم الإعدام[4].

أما بقية الأسرى فقد اقترح كثير من أعضاء المجلس الكبير أن ينكل بهم ويقتل أكبر عددا منهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم من الوثنيين، غير أن حكيم المجلس إبراهيم خليل تدخل ورأى أن

[1] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص304.

[2] بعد وفاة " دامونزون جارا" رغب ابنه "تشيكورا" في خلافة ابيه بدعم من قائد القوات المسلحة، غير أن بقية قواد الجند رفضوا ذلك واتفقوا على تولية " تشيفولو" بحجة أن تقاليد المملكة لا توافق على تعيين الابن مع وجود أحد أعمامه حياً صحيحاً. ينظر: عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص394.

[3] Ba Amadou et Dage:Op, Cit, p184.

[4] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص305.

القرار الأنسب في حقهم يكون لجيرانهم من أهالي "ورو عالي" الذين أنيطت لهم مهمة مراقبة الحدود الغربية للإمارة، وكان رد أعيان هذه المنطقة أن يصدر في حقهم عفواً عاماً تعبيرا عن علاقات حسن الجوار التي سادت بينهم منذ زمن طويل، فوافق المجلس على إطلاق سراحهم فاعتنق الكثير منهم الإسلام وبقى البعض على وثنيته، لكنهم ظلوا أوفياء للإمارة إلى أخر يوم من حياتها[1].

وبعد وفاة "دا مونزون جرا"خلفه في الحكم أخاه "تشيفولو جارا بن موزون" (1827-1839م)[2]، استتب الوضع خاصة بعد الخسائر التي لحقت بالجيوش الوثنية، وعجز الجيوش الإسلامية من دك حصون مملكة سيغو وذلك لحصانة قلاعها الدفاعية ووعرة دروبها، وقد تحدث عن ذلك الرحالة رينيهكاييه عند وصوله إلى جني 1828م حيث كتب قائلا:" أن سيكو أحمدو أمير بلاد جنه لا يزال يخوض حربه الطاحنة ضد بمباراسيغو الذين يريد أن يضويهم تحت لواء الرسول، بيد أن هؤلاء البمبارا أناس محاربون، وهم الآن بصدد مقوماته "وفي نهاية الأمر لم يجد البمبارا مفرا من الرضوخ إلى أمر الواقع وقبول دولة إسلامية جديدة على حدودهم، وعجزهم في استعادة ماسينا إلى حضيرتهم والقضاء على حركة الشيخ أحمدو لوبو الصاعدة[3]، وأمام هذا الوضع دخل الطرفان الإسلامي والوثني في مفاوضات شاقة سنة 1830م أسفرت عن ما يلي:

1- توقف القتال بين إمارة ماسينا ومملكة سيغو وعدم الاعتداء بينهما، واعتراف كل بما حققه من نفوذ عند الحدود التي توقفت عندها الحرب.

2- حرية التجارة والتنقل بين رعايا المملكتين.[4]

[1] Ba Amadou et Dage:Op, Cit, p188.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص386.

[3] آدى آجابي وآخرون: المرجع السابق، ص680.

[4] عبد المولى علي محمد عمار: المرجع السابق، ص ص203-204.

وفي عهد الأمير أحمدو الثالث تعرضت مملكة سيغو لزحف الحاج عمر الفوتي وطلبت النجدة من إمارة ماسينا، التي اتحدت معها للقضاء على الزحف العمري غير أن هذا الأخير تمكن من القضاء على الإمارتين وأسس خلافة عمرية على أنقاضهما[1].

2. مملكة كارتا البمبارية (المساسي):

تقع إلى الغرب من ماسينا ويحكمها ملوك وثنيون من عائلة كوليبالي تعرف بالماساسي حكمت (1670-1854م)[2] ويعتبر عهد بوجان موريبا كوليبالي أزهى أيام هذه المملكة الذي حكم بين سنتي (1815-1832م)[3]، و في عهده اتحدت مع مملكة سيغو ضد إمارة ماسينا سنة1826م، وشنت غارات متوالية على القرى الماسينية المتاخمة لها مما أضطر الإمارة للقيام بحملات تأديبية ضدها ونصرة المسلمين المستضعفين، وقد تعهد الشيخ أحمدو لوبو على نصرة كل مسلم مظلوم في أي مكان كان[4]، وقد شكلت خطراً حقيقياً على مملكة ماسينا الإسلامية، ثم انهارت بعدما قضت عليها حركة الحاج عمر الفوتي1854م[5].

وبالرغم من وثنيتها وصراعها مع إمارة ماسينا الإسلامية إلا أن الإسلام انتشر فيها بشكل واضح، حيث يذكر "مانجو بارك" على الرغم من الطابع الوثني للملكة إلا أن المساجد كانت منتشرة بها، بل إن نصف جيشها كانوا من المسلمين، ويعود ذلك للحرية التي كان يتمتع بها الدعاة والفقهاء الفلانيين في نشر الإسلام في المملكة، بل تمكن الرعاة الفلانيين من تأسيس عدة مدن إسلامية مثل مدينة "تيسي"[6].

---

[1] حندوقة إبراهيم فرج: الإسلام في بلاد التوكولور في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، 26-27 نوفمبر 2006م/6-7 ذو القعدة1427هـ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا، ص ص290-291.

[2] نور الدين شعباني: عائلة كوليبالي ...، المرجع السابق، ص106.

[3] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص24.

[4] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص315.

[5] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص523.

[6] نور الدين شعباني: عائلة كوليبالي...، المرجع السابق، ص110.

خامساً: انهيار الإمارة وزوالها:

1-عوامل انهيار الإمارة:

أ-العوامل الداخلية:

أ-1 الصراع الداخلي حول السلطة: من أكبر العوامل التي أسهمت في تصدع الإمارة وزيادة الشقاق والخلاف التصدع الذي حدث بين أفراد الأسرة الحاكمة، إثر وفاة الأمير أحمدو الثاني ووصول الأمير أحمد الحفيد إلى سدة الحكم.

وقد بدأ هذا الخلاف خفيا منذ وفاة الشيخ أحمدو لوبو، حيث أن "بالبو" كان يرى في نفسه الأحقية بهذا الأمر لسابقته التاريخية كونه قائد القوات المسلحة وهو الأكبر سنا في العائلة، غير أن المجلس الكبير كان له رأي آخر[1]، كما رأينا في الفصل الثالث.

لم يستطع "بالبو" تقبل الصدمة والسكوت عن هذا الاستخلاف فاتجه إلى عمه الشيخ أحمدو لوبو ووجه إليه بعض الأسئلة يرى من خلالها أنه الأجدر بالحكم، فأوضح له عمه أن مسألة تعيين ابنه أحمد خلفا له، لا دخل له فيه بل هو من صلاحية المجلس الكبير وأنه لم يكن حاضرا في مداولات المجلس، وخاطبه بقوله:" إن هذه الدولة يا بُني لم تكن في يوم من الأيام ملكا شخصيا لي ولا لأبيك حتى أتصرف فيها كما أريد، ولن تكون في يوم من الأيام ملكا شخصيا لأحمد ولا لغيره، فلا تجدنّ في نفسك عليّ ولا على أحمد في ذلك، ولكني أنصحك الآن أن تبايع الإمام الذي اختاره المجلس، أحمد كان أو غيره وتهيئ نفسك للخدمة تحت إمرته في اليوم الذي لا أكون فيه بين ظهرانيكم"[2].

---

[1] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص201-202.

[2] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص ص192-193.

ويتسنى لنا من خلال هذا الحوار مقدار المرارة والألم التي استشعرها "بالبو" وهو يرى ابن عمه الأصغر منه سناً يعين حاكما على الإمارة بدلاً منه، وبعد وفاة الشيخ أحمدو لوبو حاول المجلس الكبير استرضائه فعينه قائدا عاما للقوات المسلحة وأميرا على إقليم "فكلا" إضافة إلى عضويته في المجلس الكبير، غير أن حلم الإمارة بقى يراوده طيلة فترة حكمه ابن عمه، فلم يترك فرصة تسمح له بإظهار تفوقه وأفضليته إلا استغلها وخاصة من الناحية العسكرية، وذلك كله إمعان منهأنه أجدر بالحكم من غيره، ثم جاءت الفرصة المناسبة للانقضاض على الحكم بعد وفاة الأمير أحمدو الثاني، فاستغل "بالبو" الموقف وعين الأمير أحمدو الحفيد بالرغم من صغر سنه كما رأينا سابقا[1].

غير أن الأوضاع بدأت تتغير شيئا فشيئاً مع مرور الزمن، حيث ساءت العلاقة بين "بالبو" والأمير أحمدو الحفيد، وأُقصي أبناء الشيخ أحمدو لوبو وساءت العلاقة بينهم وبين ابن أخيهم، وتم تجاوز المجلس الكبير في العديد من القضايا وفقد بذلك هيبته ومكانته، وأصبحت الإمارة تبتعد عن الحكم الشورى إلى الملك العضوض، وخاصة بعد أن حل الأمير الصغير المجلس الكبير واستأثر بالسلطة[2].

وأسهم ذلك كله في زيادة الشقاق والخلاف بين أفراد الأسرة الحاكمة و ألقى بظلاله على المجتمع الماسيني الذي انشطر إلى مجموعات، بعضها تناصر عبدالله بن الشيخ أحمدو لوبو وترى فيه الوريث الشرعي للحكم، وأخرى تؤيد "بالبو" وترى فيه الأجدر باعتباره الأكبر سنا والأكثر خبرة من غيره، أما الشباب اليافعين فكانوا يرون في الأمير أحمدو الحفيد المثل الأعلى وخاصة أنه قربهم واستشارهم واستبدل بهم شيوخ المجلس الكبير وجعل لهم الكلمة الطولى في الإمارة[3].

[1] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص358.

[2] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص459.

[3] آدى آجابي وآخرون: المرجع السابق، ص688.

أ-2 موقف المجلس الكبير من سلاطين المنطقة:

كان للتغير المفاجئ الذي شهدته منطقة ماسينا بميلاد هذه الإمارة الفتية، أثر كبير على موازين القوى داخل المنطقة، وأثر ذلك على الزعماء المحليين الذين لم يكونوا على استعداد للتخلي عن نفوذهم ومكانتهم ومجدهم الذي شيدوه من زمن بعيد، كما أن المجلس الكبير لم يحسن التعامل معهم وغط الطرف عن بعض هفواتهم أو استمالتهم لخدمة الإمارة الوليدة، وإعطائهم المكانة اللائقة لهم في المجتمع تطييبا لخاطرهم، عملا بما جاء في الأثر: "ارحموا من الناس ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني افتقر، وعالما يلعب به الحمقى و الجهال"[1]، بل عمد إلى تضييق الخناق عليهم لا لذنب ارتكبوه إلاأنهم كانوا من ذوي الجاه والمكانة فيما سلف من الزمن، ولم تسمح لهم ظروف الحياة من أن يكونوا من العلماء، ومن أكبر الأمثلة على ذلك ما ذكر في الفصل الرابع من أمر "غيلاجو" سلطان كوناري الذي تمرد على الإمارة بعد أن تعرض للتصفية الجسدية من قبل المجلس والتي نجا منها بأعجوبة وخاض حربا ضد الإمارة دامت سبع سنوات[2].

ولذلك أصبح هؤلاء يتحينون الفرصة للانقضاض على الإمارة لاسترجاع مكانتهم بعد أن جردوا من كل شيء، فأطل الحاج عمر الفوتي بمشروعه الإصلاحي على المنطقة فسارعوا للانضمام له وقدموا له يد العون ومكنوه من نقاط الضعف التي كان بحاجة إليها، الأمر الذي عجل من سقوط الإمارة، فلقد نسي أعضاء المجلس الكبير أن تغيير التركيبة الاجتماعية لأي مجتمع يتطلب قرون، ولا يمكن أن يتم بهذه السرعة والسهولة[3].

---

[1] هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في الموضوعات، وقال إنما يعرف من كلام الفضيل بن عياض، وأخرجه ابن حبان في تاريخه من حديث ابن عباس والديلمي في حديث أبي هريرة بأسانيد واهية. ينظر: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي(ت1162هـ): كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تح: يوسف بن محمود الحاج أحمد، مكتبة العلم الحديث، دمشق سوريا، 1421هـ، ص136.

[2] Ba Amadou et Daget:Op, Cit, p155.

[3] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص204.

أ-3 طريقة تنظيم الجيش:

كان الجيش الماسيني يمثل قوة عسكرية كبيرة في المنطقة خاصة من ناحية التدريب والمؤهلات الفردية التي كان يمتلكها عناصره، غير أن بعض العوامل ساهمت في تضعضعه مما أثر على الإمارة ومن بينها مايلي:

- تدني مستوى النظام وغياب الروح الجماعية في العمل، حيث كان الفرد في الجيش يقاتل مع إخوانه كأنه يقاتل لمفرده أو لحسابه الخاص، وكانت العقلية السائدة بين قبائل الفلان آنذاك لن أفر في وجه عدوي وابن عمي بأي حال من الأحوال حتى لو كان الثمن حياتي، ولعل هذا الأمر يفقد الجيش روح الانضباط والتعاون الجماعي.

- لم تتكفل الإمارة باقتناء السلاح للجنود بالرغم من الثراء المادي الذي وصلت له، بل كان شراء السلاح من مهمة الجنود أنفسهم لذلك اعتمدوا على أسلحة بدائية مثل الرماح والسيوف، وأهم سلاح عندهم كان البندقية التي تدعى" فونكاري" التي لم تكن متوفرة لدي معظم الجنود[1].

- اعتماد الجيش المفرط على عنصر الفرسان على حساب المشاة، نتيجة الغني والثراء الذي شهدته الإمارة، حيث كان بإمكانها توفير الجياد لجميع أفراد الجيش دون صعوبة، فأصبح العديد من الفرسان لا يستطيعون القتال إلا على صهوات الجياد، وهذه النقطة استغلها الحاج عمر الفوتي في إيقاع الهزيمة بالجيش الماسيني[2].

- تسرب الصراع السياسي إلى الجيش الذي تصدع هو الآخر إلى تكتلات داخلية ذات ولاءات متباينة، حتى وصل الأمر إلى أن الأمير يصدر أمرا فيرفعه "بالبو" والعكس صحيح، حيث لم يبق لأحد سلطة حقيقة على أحد خاصة بين أفراد الأسرة الحاكمة[3].

---

[1]Ba Amadou et Daget:Op, Cit,p p83-87.

[2]نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص197.

[3] نفسه.

أ–4 قبيلة كنته: على الرغم من العلاقة الروحية التي كانت تربط الإمارة الماسينية مع الطريقة القادرية الكنتية البكائية إلا أن هذه العلاقة شابها التوتر وسوء التفاهم في بعض الأحيان، فكانت القبيلة الكنتية ترى في الإمارة منافسا قويا لمركزها الروحي ومكانتها الاجتماعية في منحنى نهر النيجر وخاصة في مدينة تنبكتو التي تعد معقل الزعامة الروحية الكنتية إذ رفضت القبيلة أي سلطة ماسينية على المدينة أو الانطواء تحت إمرتها، وهذا على الرغم من الولاء الروحي الذي كان يعلنه الشيخ أحمدو لوبو لشيوخ القبيلة [1]، كما شكل علماء الطريقة البكائية مصدر إزعاج لخلافة الحمد لله لرغبتهم في التقليص من نفوذها على المنطقة، ولتحريضهم القبائل المناوئة لها كالطوارق[2]، وقد تفجر الوضع بين الجانبين خاصة عند قيادة الشيخ أحمد البكاي للسجادة القادرية لتدخله في الشؤون الداخلية للإمارة، ونظرته الاستعلائية كونه عربي فقد رد في أحد رسائله على الأمير أحمدو الثالث في قضية "هنري بارث" ردا مليئا بالسخرية والاحتقار[3] بقوله:" فإنكم لا علم لكم بالكتاب ولم تأخذوا علمه عن عالم به ثم انتم عجم لا علم لكم بالعربية وهو قرءان عربي لا يا فلان ما يعلمه عربي للاعاريب كيف عجمي الغرابيب"[4].

أ–العوامل الخارجية:

حاولت إمارة ماسينا جاهدة القضاء على الإمارتين الوثنيتين المتاخمتين لها "سيغو وكارتا" غير أنها عجزت عن ذلك، لكنها تمكنت من ألزمهما حدودهما وأصبحت بذلك آمنة مطمئنة، غير أن خطراً آخراً لم يكن في الحسبان طل عليها من الغرب قصر من عمرها الحضاري وقضى على ملكها العتيد تمثل في حركة الحاج عمر الفوتي التي كانت أهم عامل خارجي أسهم في سقوط الإمارة.

[1] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي ...، المرجع السابق، ص173.
[2] حسن علي منيسي: المرجع السابق، ص182.
[3] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي...، المرجع السابق، ص175.
[4] أحمد البكاي: رسالة من الشيخ سيد أحمد البكاي...، المصدر السابق، ص10.

ب-1 الزحف العمري التيجاني وأثره على سقوط الإمارة:

بعد إن استكمل الحاج عمر استعداده الروحي وجولاته العلمية في الحجاز والشام ومصر وبرنو وسكوتو وماسينا، عاد إلى منطقة فوتاجالون يحمل مشروعاً إصلاحياً كبيراً يقوم على توحيد المنطقة تحت لواء دولة إسلامية تيجانية قوية، فاستقر في منطقة "كانكان"بفوتاجالون وأسس بها رباطاً قضى به سبع سنوات يعلم ويرشد وينشر مبادئ الطريقة التيجانية، وانطوى تحت لواءه أنصار كثيرون آمنوا بدعوته الإصلاحية وطريقته التيجانية[1]، وفي فترة وجيزة وصل عددهم إلى عشرة آلاف مقاتل مسلحين بسبعمائة بندقية أشتروها من التجار الانجليز الموجودين على الساحل[2]، وفي ربيع 1849م انتقل إلى "دنيغيراي" وجعلها عاصمة عسكرية لتحركاته ومركز إشعاع روحي تيجاني[3]، واعتبر الهجرة إليها كهجرة الرسول من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وقسم أتباعه إلى مهاجرين وأنصار، ومنها أعلن الجهاد على الممالك الوثنية في المنطقة[4]، فتوجه إلى سلطنة "تامبا" الوثنية وكان سلطانها يومئذ يدعى "غمبا ساخو" فأخضعها إلى سلطانه، ثم توجه نحو سلطنة " كارتا " البمبارية واستولى على عاصمتها "نيورو" وذلك في شهر أبريل 1854م، كما تمكن من السيطرة على مملكة وثنية صغيرة تدعى "كوفود" حيث مناجم الذهب وخلف هذا الانتصار صدى واسع لدى الأهالي والإدارة الاستعمارية الفرنسية[5].

---

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص137. وأيضا عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال من القرن11 إلى نهاية القرن 19، مركز الكتاب للبحوث والدراسات، 2020، ص ص359-363. وأيضا

Yves Sanit-Martin: Un Fils d'El Hadj Omar: Aguibou Roi Dinguiray et du Macina(1843-1907) Cahiers d'Etudes Africanines, vol, 08, cahier29, (1968) p p145-147.

[2] عمر عبد الماجد :حياة الحاج عمر الفوتي...، المرجع السابق، ص150.

[3] علي بوركنة: التجاني عمر بن سعيد الفوتي وإصلاحه الديني والسياسي في غرب إفريقيا(1794-1864م)،مجلة الفكر، المجلد الرابع، ع 02، جامعة الجزائر02، ديسمبر2020م، ص103.

[4] Schmitz Jean: Autour d al-hajj Umar Taal, Guerre sainte et Tijaniyya en Afrique de L Ouest..,In Cahiers d' Etudes africanines, vol, 25, n100, 1985, p556.

[5] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص393.

كان من الطبيعي أن تواجه هذه الحركات الإصلاحية مقاومة عنيفة من القوات الاستعمارية التي كانت تخطط لاستعمار المنطقة، وخاصة فرنسا التي كانت لها أطماع توسعية في غرب إفريقيا، ولقد بدأت العلاقة تأخذ شكل العداء الصريح بين الحاج عمر والفرنسيين منذ 1854م واستمر النزاع المسلح بينهما حول منطقة حوض نهر السنغال، ثم أدرك الحاج عمر بعد عدة هزائم أنه لا يستطيع هزيمة الفرنسيين لقوتهم العسكرية وسلاحهم الحديث فاتجه نحو الشرق على أمل عقد تحالف مع زعماء المسلمين في منطقة النيجر لمواجهة العدو الأوروبي[1].

أ- الصراع الماسيني العمري وتداعياته على الإمارة والمنطقة:

1-أسباب الصراع بين ماسينا والحاج عمر:

كانت أفكار الحاج عمر ومبادئه هي أسلمة كل الأفارقة وكان هدفه الأول هو أسلمة كل الإقليم الغربي كخطوة أولى للتأثير على التوجه الاجتماعي والوحدة السياسية والتقدم الاقتصادي[2]، غير أن مشروعه الإصلاحي اصطدم بطموحات الاستعمار الفرنسي الذي كان يسعى للهيمنة على المنطقة في إطار التنافس الاستعماري على يد "فيدر هرب" الذي كان يرى في جهاد الحاج عمر على أنه يمثل حركة وطنية إفريقية ضد التواجد الاستعماري الدخيل، فتحالف الفرنسيون الغزاة مع أعداء الحركة الإصلاحية من قبائل البمبارا الوثنيين وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالقوات العمرية[3]، التي اضطرت إلى الرجوع إلى الشرق ودخلت في حربا مع مملكة سيغو الوثنية وتمكنت من إخضاعها في 9 مارس 1861م ففر أميرها " علي مونزو ويتلا"إلى إمارة ماسينا مستعينا بأميرها الأمير أحمد بن أحمد ابن

[1] إبراهيم فرج حندوقه: المرجع السابق، ص ص286-289.

[2] عمر عبيد الله ابن عمر: تجربة الإصلاح في فكر الحاج عمر بن سعيد الفوتي في بلاد السودان الغربي، مجلة الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة كردفان السودان، ص141.

[3] أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص ص319-320.

الشيخ أحمدو لوبو، الذي تحالف معه ضد الحاج عمر، الأمر الذي أدى إلى نشوب خلاف بين الأميرين الفلانيين المسلمين ويمكننا تلخيص أسباب هذا الصراع في ما يلي[1]:

- يرى الباحث المالي " إبراهيم عثمان انغوبيا" أن الخلاف بينهما مسألة فقهية وذلك أن الحاج عمر حكم على خصمه أمير ماسينا بالكفر لموالاته مملكة سيغو الوثنية وتحالفها معه ضده[2]، وقال عن ذلك:"إن الإسلام الذي نؤمن به لا يأمر بمصاحبة الكفار ومن صحب قوما فهو منهم"[3]، ولعل بداية الصراع بينهما أنه لما انتصر الحاج عمر على الإمارات الوثنية كتب إلى الإمارات الإسلامية في فوتاتور وفوتاجالون وماسينا والإمارات الإسلامية في المغرب عند البيضان يخبرهم بهذا الانتصار العظيم، ففوجئ برد من إمارة ماسينا يتضمن كلاماً بشعاً من الشتائم والتهديدات إضافة إلى كون السَريَة التي تحمل هذه الرسالة تتكون من لواء كامل من الجند المسلحين بقيادة عبد الله بن أبي بكر همصالح واستمرت هذه السرية في الزحف حتى اصطدمت بالقوات العمرية التي تمكنت من هزيمتها وكان ذلك عام 1271هـ/1856م، وتحدث عن ذلك الحاج عمر بنفسه قائلا:"لما أعاننا الله على جهاد المشركين وأقامنا لهدم دولة المتكبرين وفتح لنا تمبا إلى فقد وسلوج وكنجا وبرنبا وسرمن إلى فربنا ويلمان ... ثم أقامنا الله في انيور ما شاء وكتبنا وثائق نبشر فيها جميع من نعلم من المسلمين وفوجئنا برسالة أحمد بن أحمد مع جيشه بقيادة عبد الله بن أبي بكر همصالح فنزل في دكن فعسكر فيها واتفق مع أهل باغن الكفار على محاربتنا"[4].

- العداء الشخصي بين الحاج عمر الفوتي وملك سيغو علي مونزو ويتلا وذلك أن الحاج عمر تمكن من استمالة العديد من البمبارين إلى الإسلام وذلك لقدرته الفائقة على الإقناع، الأمر الذي أوغر

[1] إسماعيل سعيدي وعبد الله بابا: الصراع بين قبائل الفلان وأثره على منطقة السودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثامن، ع 03، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي الجزائر، جوان 2023، ص814.

[2] عمر عبيد الله ابن عمر: المرجع السابق، ص136.

[3] صالح ساتي مهدي: مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، المركز الاسلامي الإفريقي،الخرطوم السودان،1991م، ص.27

[4] الحسن يرولى: جهاد الحاج عمر الفوتي تال نظريا وتطبيقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد20، 1998م، ص ص74-75.

صدر الملك عليه وأمر بحبسه ثم أطلق سراحه ومغادرة المملكة فوراً[1]، ولعل هذا الاستقبال السيئ الذي حظي به زاد من كراهيته للكفار بصفة عامة، وأسهم في حروبه وسياسته المستقبلية[2].

– توغل قوات الحاج عمر في بعض مدن سيغو التي كان الأمير أحمدو الثالث يراها تحت طاعته، فأراد الانتقام منه بالتحالف مع الوثنيين لمحاربته[3].

– رفض الأمير الماسيني الحرب مع الحاج عمر ضد الوثنيين لما طلب منه ذلك[4].

– الصراع الصوفي الطائفي بين الطريقتين القادرية والتيجانية ومعارضة خلفاء ماسينا القادريين انتشار التيجانية في إمارتهم،بالإضافة إلى الدعم الروحي الذي قدمه الشيخ أحمد البكاي الكنتي لأمير ماسينا لمقاومة الزحف التيجاني باعتباره شيخاً للطريقة القادرية في منطقة السودان الغربي[5].

– فشل الحاج عمر في التوسع نحو الأطلسي بعد اصطدامه بالاستعمار الفرنسي، فتوسع شرقا نحو حوض النيجر[6].

ـ الصراع حول السلطة في إمارة ماسينا بين أفراد العائلة الحاكمة لاسيما بعد وفاة الخليفة المؤسس، وزادت حدته عند انتقال السلطة إلى أحمدو الثالث الذي لم يتجاوز العشرين من عمره وقلة خبرته بشؤون الحياة، بالإضافة إلى قلة العلماء والمفكرين وذوي الخبرة في مجالات الحياة السياسية والاقتصادية في بلاط ماسينا بعد وفاة كبار المستشارين الذين أسسوا الخلافة ودعموها منذ البداية[7].

[1] عمر عبد الماجد: حياة الحاج عمر الفوتي..، المرجع السابق،ص146.

[2] Yves Sanit-Martin:Op, Cit,p146.

[3] الحسن يرولى: المرجع السابق، ص76.

[4] محمد فاضل على باري و سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007، ص202.

[5] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي...،المرجع السابق، ص179

[6] عبده بدوي: شخصيات افريقية، دار الوفاء للمطبوعات، مصر، بدون سنة النشر، ص42.وأيضا، إبراهيم فرج حندوقه: المرجع السابق، ص288.

[7] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص ص201-204.

ـ تسرب الطريقة التيجانية إلى إمارة ماسينا خاصة عند الشيخ أحمد بن محمد كوريل والفقيه المختار وديعة الله وقد لعبا دورا كبيرا في نشر الطريقة بين تلاميذ مدرستيهما القرآنيتين، الأمر الذي سيساعد الجيش العمري في التوغل ويزوده بالمعلومات عن الاستعدادات العسكرية[1].

ـ رغبة الحاج عمر في إنشاء دولة إسلامية مركزية تشمل كل السودان الغربي وتستوحي مبادئها من الطريقة التيجانية[2].

2-السجال الفكري بين الحاج عمر الفوتي والأمير أحمدو الثالث الماسيني:

بعد أن حالف الحاج عمر الفوتي التوفيق في بداية مشروعه إلى حد ما، ونجح في القضاء على مملكة "كارتا" ثاني أقوى مملكة وثنية في المنطقة بعد سيغو، شرع يعد العدة لمداهمة سيغو باعتبارها آخر معاقل الوثنية بينه وبين إمارة ماسينا، غير أن الأطراف الثلاثة الفاعلة في منطقة حوض النيجر (ماسينا وكنته وسيغو) كانت ترى أن هذا الخطر الجديد يهددها مجتمعة أو متفرقة، فسيغو كانت تعلم يقينا أنها الهدف التالي بعد "كارتا"، وإمارة "حمد الله" لم تكن مطمئنة لهذا التقدم السريع نحو أراضيها خاصة إذ سقطت مملكة سيغو فإنها تصبح في صف التماس المباشر مع القوات الفوتية، أما الشيخ أحمد البكاي الذي كان يعلم أن الفوتي ليس مجرد قائد عسكري أو زعيم حربي بل خليفة الشيخ التيجاني في منطقة السودان الغربي ويسعى بكل ما أوتى من قوة لنشر طريقته في المنطقة، ولا يكون ذلك إلا على حساب الطريقة القادرية البكائية، وهذا ما لم يكن الشيخ البكاي مستعدا للقبول به[3]، به[3]، بل كان يصف الحاج عمر بالدجال الذي يجب القضاء عليه[4]، ونظراً للرعب الكبير الذي بثه الحاج عمر التيجاني في نفس الشيخ البكاي القادري، وخوف هذا الأخير على نفوذه الروحي والسياسي أرسل وفداً من خيرة سفرائه إلى ملكة بريطانيا سنة 1862م يطلب مساعدتها العسكرية

[1] عمر عبيد الله ابن عمر: المرجع السابق، ص136. وأيضا، عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي ...، المرجع السابق، ص179. وأيضا، محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص98.

[2] عبد القادر زبادية : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين،المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص96.

[3] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص399-400.

[4] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص205.

للحد من النفوذ العمري، غير أنها لم ترد عليه لأنها كانت لا تريد أن تدخل في صراع مع فرنسا التي كانت قد بثت نفوذها في منطقة نهر النيجر منذ القرن السابع عشر في سانت لويس بالسنغال[1].

استنجدت سيغو بإمارة ماسينا وعرضت عليها الولاء والطاعة وتناسي الأحقاد السابقة مقابل الوقوف إلى جانبها لمواجهة الخطر الفوتي الذي يداهمها، فلجأت "حمد الله " إلى تنبكتو تطلب مشورة الشيخ أحمد البكاي وتستفتيه في جواز مساندة سيغو الوثنية في حربها ضد القوات الفوتية المسلمة، فكان رد هذا الأخير كما يلي:" لا تترك سيغو للحاج عمر، لا تتركه له وإن قالها لك كل عربي وكل فلاني فلا تسمع لهم، مسلمين كانوا أو كفاراً... فإنه إن ملك سيغو عنك وصارت له قوة ذلك الإقليم كله من خيله ورجله وماله وذهبه وودعه ونعمه وزرعه فما تصنع حينئذ؟ أتراه يقعد عنك ولو قعدت عنه."[2]، كما أرسل الشيخ البكاي رسائل إلى ملك سيغو يخبره بأنه يقف إلى جانبه إذا تعرضت سيغو إلى الخطر الفوتي، كما حضه بإلحاح شديد على عدم السماح للغازي التيجاني بالتغلغل في منطقة أواسط نهر النيجر[3].

بعد دخول قوات الحاج عمر إلى أراضي سيغو استعان أميرها بالأمير أحمدو الثالث الذي أمده بجيش من المسلمين اختلط مع الجيوش الوثنية ضد الحاج عمر، وأدى هذا التحالف الإسلامي الوثني ضد الحاج عمر إلى مراسلات بينه وبين أمير ماسينا وصلت إلى خمس رسائل ذكرها الحاج عمر في كتابه (سيف الحق المعتمد فيما وقع بين الحاج عمر وأمير ماسينا)[4] حيث يقول: " أعلم أيها المنصف رحمك الله أن أحمد بن أحمد هذا وجه إلينا خمس وثائق الأولى منها هي التي قدمت علينا في النور وظفرنا بها بعد ما ظفر الكفار بجملتها فأوصلها الله إلينا والثانية التي قدمت علينا ونحن في ساسبري والثالثة والرابعة والخامسة قدمت علينا ونحن في سنسند"[5].

---

[1] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي ...،المرجع السابق، ص171.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص401.

[3] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي ...،المرجع السابق، ص180.

[4] هذه الرسائل موجودة في كتاب الحافظ التجاني" الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا" في القسم الثاني من الكتاب، وكذلك المجموعة الكبرى ليحي ولد البراء في المجلد السابع.

[5] محمد الحافظ التيجاني : المصدر السابق، ص12.

وقد حاول كل منهما أن يبرر موقفه و يثبت بطلان حجج الآخر وقد تضمنت تلك الرسائل ما يلي :

2-1حجج الأمير أحمدو الثالث الماسيني على الزحف العمري:

خاطب الحاج عمر الفوتي في مقدمة رسالته بالأخ الفقيه الحاج عمر بن سعيد رضي الله عنه وقال له أنك توسعت في المناطق التي تحت بيعتنا كسنسند[1] وطالبه بالبيعة أو الرحيل وذلك فيما نصه:"وإذا أتاك كتابنا هذا فاختر لنفسك إحدى الخلتين،إما الدخول تحت بيعتنا كما هو الواجب عليك، وإما أن ترحل عن تلك البلاد فتوجه إلى بلاد غيرها فتقاتل فيها أعداء الله وإلا فليس بيننا وبينك إلا القتال الذي أمر به رسول اللهﷺ"[2]، واتهمه بأنه انتهك حرمة أراضي إمارته، وأرهب رعاياه في الأطراف الغربية ونهب ممتلكاتهم مع علمه بأنهم تحت بيعته، وأنه شرع يتسلل تسللا خفيا إلى عمق أراضيه، وورد ذلك في رسالة بعث بها له يقول فيها: "أما بعد فقد بلغنا على ألسنة الواردين بحيث يصح لدينا أنك حللت سنسند دخلتها بعد ما بلغك وسمعت أنهم بايعونا وأنهم من سائر رعيتنا لشهرة ذلك وشيوعه وعلم العام والخاص بوقوعه، فساءنا منك ما بلغنا عنك، إذ أنت المعتقد المرموق والمقتدى به بين الناس الموثوق، فإن صرت إلى مثل هذا من الأفاعيل والأخذ في إثارة الفتن وإحياء الأباطيل اتخذك أهل الأهواء حجة في ذلك وذريعة إلى ما هناك فعاثوا وأفسدوا وأضلوا" ثم استرسل في القول:"... على أننا نراك تسلل تسللا وتسر الحسو في الارتحال إلينا، فقد تعرضت لنا

---

[1] تقع جنوب غرب تنبكتو على ضفة نهر النيجر الشمالي، تقع في دولة مالي الحالية، وتعرف حاليا بمدينة سان،وعاصمة سيركل سان في منطقة سيغو، تطلق عليها الكتابات التاريخية العربية اسم "سنسند" والكتابات الأجنبية اسم "سانساندنغ" وهي تعتبر ممر ومركز تجارة حيوي، تنافست على إخضاعه قبائل كنتة والبامبارا وفولبه (الفولان) ماسينا خلال القرن (13هـ/19م)؛ وقد سبَّب هذا التنافس إلحاق الضرر بتجارة جني، فحال دون اتصال جني بمستودعات الرقيق في مناطق نيامينا وسانساندنغ وبامكو وبوره، وظلت سنسند رهينة التبعية حتى حررها الشيخ عمر بن سعيد الفوتي التجاني من قبضة البامبارا الوثنيين عام 1277هـ/1860م. ينظر: رمضان هداجي: التواصل الحضاري بين توات وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الدكتوراه في التاريخ (ألمدي)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أحمد دراية أدرار، 1443-1444هـ/ 2022-2023م، ص212.

[2] محمد الحافظ التيجاني: المصدر السابق، ص11.

دون أهل باغنة وهم بغاتنا إذ كلهم داخلون تحت بيعتنا من رئيسهم المختار إلى مرؤوسهم... فإن هؤلاء البنابرة وجدتنا أضعفناهم كل الضعف، نغزوهم ولا يغزوننا، ونغير عليهم ولا يغيرون علينا، فأتيتهم وهم في أضعف حال، وأتيناهم فأخذوا في طلب صلحنا كما كانوا يفعلون قبل مجيئك إليهم والآن أسلموا وكسروا الأصنام وبايعونا، وكتبنا إليك هذا الكتاب لنعلمك بذلك وبكون أهل سنسند مبايعين"[1].

وأشار إلى أن مملكة سيغو تحت بيعته وأن أهلها تخلوا عن وثنيتهم وكسروا أصنامهم بما فيهم أميرهم علي ويتلا فهم مسلمون لا يجوز قتالهم أو الاعتداء عليهم،واعتبر الحاج عمر مثيرا للفتن وذكره بقوله ﷺ:" الفتنة نائمة ملعون من أيقظها "[2].

2-2 رد الحاج عمر على رسائل الأمير أحمدو الثالث الماسيني:

كان رد الحاج عمر قوياً دامغاً منفعلاً حريصاً على إثبات الحجة على غريمه، وقد تميزت رسائله بالطول حتى وصل بعضها إلى عشر صفحات، والرد على كل صغيرة وكبيرة ساعياً إلى إقامة الحجة واثبات الدلائل الدامغة مستشهداً بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسيّر الصحابة رضوان الله عليهم و أشعار العرب والمدونة ومختصر خليل في المذهب المالكي، وقد دلت هذه الرسائل على سعة اطلاع الحاج عمر وثقافته الواسعة وقوة شخصيته، وعدم مداهنته لأمير ماسينا، فلم يصفه حتى بالإمارة وخاطبه في مطلع رسائله بقوله:"منا إلى أحمد بن أحمد وجماعته من الماسينين"[3]، واتهمه بالكذب وإيراد حجج باطلة واهية واثبت له أن هؤلاء الوثنيين لازالوا على كفرهم ووثنيتهم وأن إمارة سيغو لم تكن مبايعة له بل كانت في عداوة معه ومع آبائه من قبل، وأشار إلى أن الذي بين المسلمين و الكفار أمران لا ثالث بينهما إما الدخول في الإسلام أو الحرب" أما قوله في مبايعة أهل سنسند إياكم وكونهم من رعاياكم، وأن ذلك اشتهر وعلمه الخاص والعام وانتشر فالجواب فيه إنا ما سمعنا بهذه البيعة ولا طرقت سمعنا هذه الواقعة... فهذا والله أكبر كذب اخترعه هذا الكاتب وأبهر غريب

[1] محمد الحافظ التيجاني: المصدر السابق، ص ص24-25.

[2] يحي ولد البراء: المصدر السابق، مج7، ص2863.

[3] محمد الحافظ التيجاني: المصدر السابق، ص6. للمزيد ينظر: الملحق رقم 24.

اختلقه هذا الكاذب، والله جل اسمه يعلم المسلمون المحققون يعلمون كذبه صرفا، والكاذب لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا...وانظروا بينكم هل يرضى بنسبة هذا الكذب إليه أدنى المسلمين عقلا، وأحرى من يقال فيه إنه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أصلا ؟ ويعجب العاقل من قول هذا الكاتب أي عجب ويضحك من كذبه في قوله إذ حجب قلبه ماحجب: " فإن هؤلاء البنابرة وجدتنا أضعفناهم كل الضعف"، فيا ليت شعري ما معنى كل الضعف والناس شهداء على أن أقله ما وقع، فكيف ببعضه بل كيف بنصفه بل كله، هذا والله الكذب الصريح ومخالفة الصحيح فإنا والله من باغنة إلى سنسند ما وجدنا في الجميع إلا من لا تقدرون عليه ولا تهمون بأن تزحفوا إليه..."[1].

وإن كنت لا استطيع إيراد نصوص هذه الرسائل كاملة لطولها، فاقتصرنا على بعض المقتطفات التي تتعلق بالذرائع التي تمسك بها كل طرف لتبرير موقفه وإبطال حجج خصمه لعلها توضح الصورة الحقيقية للحدث التاريخي الذي نحن بصدد الحديث عنه.

3-المواجهة العسكرية بين إمارة ماسينا والحاج عمر الفوتي:

وعلى هذا الوتر العنيف الذي جرت عليه المراسلات بين المتخاصمين، تخللتها مواجهات عسكرية في أكثر من موقعة، كان الطرف الماسيني فيها هو السباق في الهجوم على غريمه لكنه لم يحقق نصراً أو تقدماً في تلك المواقع، وقد بدأت الاستعداد العسكري بينهما عندما وصل الحاج عمر إلى سنسند وسيطر عليها في أكتوبر 1860م، هناك شعر أمير سيغو بالخطر وعلم أن لا قدرة له على مواجهة الحاج عمر لوحده فطلب من الأمير أحمدو الثالث الماسيني التحالف معه فكان له ذلك، وتحالفت القوات الماسينية مع قوات سيغو وضربوا خيامهم أمام مدينة سنسند مدة شهرين وكل فريق ممتنع على أن يكون البادئ بالاعتداء، وأمر الحاج عمر قواته بعدم مقاتلة القوات الماسينية المسلمة[2]، غير أن هذه الأخيرة كانت السباقة في العدوان وتمكن الحاج عمر من الانتصار على القوات

[1] يحي ولد البراء: المصدر السابق، مج7، ص ص2879-2882.

[2] آدى آجابي وآخرون:المرجع السابق، ص697.

المتحالفة في أول مواجهة عسكرية بينهما في فبراير 1861 في قرية " تِبُو"[1]، ثم اتجه نحو سيغو التي دخلها في 09مارس 1861 وفر أميرها "علي مونزو ويتلا"إلى مدينة "حمد الله" عند الأمير أحمدو الثالث[2].

وبعد سقوط سيغو في يد الحاج عمر عين عليها قائده " صانمبانجاي" كمسؤولا على الأمن ريثما يتخلص من الماسينين، ثم التقى مرة ثانية مع القائد الماسيني " بالبو" و أمير سيغو في قرية " كُونُو" وهزمهما الحاج عمر شر هزيمة[3]، هنالك أدرك الأمير الماسيني أنه أخطأ في تقديره وأنه تسرع في الحكم على الحاج عمر، فراسله يطلب منه الصلح والصفح والغفران، وذكره بأواصر القربى والرحم، وكان مما ورد على لسان الأمير الماسيني: " فإني لا أحب بيني وبين كل مسلم إلا الخير والصلح فقط، فأحرى أنتم معشر الفوتيين أحبتنا في الله من قديم الزمان"[4]، ولكن الحاج عمر لم يرتض الصلح لأن الأمير الماسيني كان قد رفضه من قبل، فعامله الحاج عمر بالمثل[5].

مكث الحاج عمر في عاصمة سيغو مدة سنة، وبعدما فشلت المراسلات بينه وبين الأمير أحمدو الثالث أعد العدة لمواجهة القوات الماسينية التي حشدت له ما يزيد عن ستون ألف مقاتل بقيادة قائدها "بالبو"[6]، فزحف الحاج عمر نحوها في شهر شوال1277هـ(ابريل1862م)[7] بجيش قوامه أربعون ألف بقيادة "ألفا عمر شرنوبيل"، والتقى الطرفان في معركة شديدة في مكان

[1] محمد جوف بن تفسير باب البرني: إعلام الهدى بغرب إفريقيا، بدون النشر، السنغال، 1999م، ص128.

[2] آدى آجايي وآخرون:المرجع السابق، ص697.

[3] محمد جوف بن تفسير باب البرني: المرجع السابق، ص128. وأيضا، عبد الله عبد الرازق: المسلمون في غرب إفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، جويلية 1989م، ص77.

[4] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص409.

[5] كان الحاج عمر قد بعث الشيخ ألفا خالد برسالة إلى الأمير أحمدو الثالث يدعوه إلى الحوار والمصالحة والتناصر والتآزر غير الأمير رفضها، وكان مما ورد فيها على لسان الحاج عمر: " إننا لا نقاتل المسلمين ولا المؤمنين، بل المشركين وعبدة الطاغوت والأصنام فقط"، ثم أرسل له رسالة أخرى على رأس وفد هام قال له فيها: " أعلم أنك خالفت فينا أمر الله ورسوله، وتركت نهج السلف الصالح وتآخيت المجوس وحالفتهم في محاربتنا" فرد الأمير بالرفض كذلك، ينظر: محمد جوف بن تفسير باب البرني: المرجع السابق، ص133.

[6] الحسن يرولى: المرجع السابق، ص80.

[7] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص698.

يدعي"تسايول"[1] انتهت بانتصار الماسينيين، وفي اليوم التالي أجرى الحاج عمر عدة ترتيبات تمكن من خلالها بإلحاق الهزيمة بالجيوش الماسينية، وتوفي الأمير أحمدو الثالث متأثرا بجروحه التي أصيب بها خلال المعركة بعد أن حمله رجاله ووصلوا به الى قرية "موبتي"، حيث لحقتهم القوات العمرية فوجدته قد استشهد فأخبروا الحاج عمر فترحم عليه[2]، ودخل العاصمة الماسينية "حمد الله" في شهر ذي القعدة1277هـ(ماي 1862م)[3]، وبين لجيشه بأن نساءهم لا تسبى وأموالهم لا تغنم ولا حق للمجاهدين فيها لأنهم مسلمون، وأُلقي القبض على ملك سيغو علي مونزو الذي أعلن إسلامه أمام الحاج عمر فأوكله إلى إسلامه[4].

وبعد سقوط مدينة "حمد الله" أصبح الطريق مفتوحا أمام الحاج عمر ليصل إلى مدينة تنبكتو ولإبعاد هذا الخطر المحذق أرسل الشيخ البكاي رسالة استعطاف للحاج عمر يقول في مطلعها[5]:"من عبد ربه أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد بالسلام والإكرام إلى الأمير الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتاوي أيد الله به الدين وقمع به المفسدين ونصره على المعتدين وبعد فإنا نهنئك بما أعطاك الله تعالى فإني اعتذر إليك وأطلب منك أن تصفح عن أشياء حملني عليها أمران..."[6]، وهنأه على الانتصارات التي حققها وبرر له مواقفه السابقة منه ومن الطريقة التيجانية ونظم قصيدة مدحه فيها وأشاد بأخلاقه وانتصاراته يقول فيها:

الحمد لله على خير خبر قد جـــاءنا من مـغرب أب وسـر

قالوا بأن عمر الفوتي الفتى قـام وبالحـــق وبالـدين ظهـــــر

[1] نسبت تلك المعركة إلى شجرة تسمى "تسايك" بلغة الفولان، وكانت كثيرة في مكان المعركة، وكان الحاج عمر يستظل بواحدة منها كبيرة ويشرف على سير المعركة. ينظر، عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص410.

[2] محمد الحافظ التيجاني: المصدر السابق، ص12.

[3] الحسين بن منحض: المرجع السابق، ص552.

[4] محمد الحافظ التيجاني: المصدر السابق، ص12.

[5] نص الرسالة كاملا موجود في الملحق رقم 25، بالاضافة إلى قصيدة تحت عنوان نصيحة إلى الفوتيين، ينظر: الملحق23.

[6] Lieutenant Bèfontan: Histoire de Tombouctou de Pays Noirdation à l' OccupationFrançnisc, OccupationFrançnisc, Comitè d' Etudes Historiques et Scientifiques de L' Afrique Occidentale Française, n°01, Paris, Gouvernement Gènèral, de L' Afrique Occidentale Française, 1922, p110.

أهـلا بـه أهـلا ومـرحبـا شمس الضحى بدر الدجى وبل المطر
شيخ حقيقة وسلطان هدى شـريعـــة لكـــل شركى قـهـــر
وهـــو ولى عـــالم وعامل بعلمـــه في كل خير قـد بهـــــر
علم وعـدل عينه وميمه مـلك ومجـــــد راؤه راء الظفـــر
يعيبه عـــــدوه بأنـــه مـن أهـــل التجانية فيمـــا نظـــر
قلت له لا عيب في ورد فما فيه سوى ذكـــر فـــمن شاء ذكـــر[1]

لم يكتف الحاج عمر من قتل أمير ماسينا وأفراد عائلته، بل بعث بجيش جرار قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة ألفا عمر شرنوبيل لإخضاع تنبكتو مقر القيادة الروحية للطريقة القادرية الكنتية البكائية لتأديبها وإخضاعها لسلطانه، وذلك سعيا وراء تحقيق مزيد من الاستقرار بسيغو وماسينا، وأمام هذا الوضع وجد الشيخ أحمد البكاي نفسه في حرج فاختار الخروج من المدينة والالتحاق بأتباعه الطوارق في الصحراء تفادياً لوقوع أي اصطدام مع الحاج عمر[2]، وعند وصول هذا الأخير إلى تنبكتو عاث فيها فسادا لعدم وجود من يدافع عنها، كما فعل في بقية المدن التي احتلها من قبل[3]، غير أن هذا الأمر لم يدم طويلا إذ أن الشيخ أحمد البكاي استعان بأتباعه وكون جيشا من قبائل الطوارق وقبائل البرابيش[4]، وانظم إليهم " بالبو" قائد القوات الماسينية بعد أن فر من سجن الفوتيين مع مجموعة من أنصاره[5].

نصب الجيش الكنتي الماسيني كمين لقوات الحاج عمر خارج مدينة تنبكتو، ودارت بين الفريقين معركة كبيرة في فبراير 1863م، انهزم فيها الحاج عمر وقتل قائده ألفا عمر شرنوبيل، وفر

[1] أحمد بن العياشي سكيرج: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، بدون دار النشر، المغرب ،1381هـ/1961، ص334.
[2] آدب ولد سيد محمد: المرجع السابق، ص215.
[3] عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء ...، المرجع السابق، ص96.
[4] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي ...، المرجع السابق، ص182. للمزيد ينظر: الملحق رقم26.
[5] آدى آجابي وآخرون: المرجع السابق، ص699.

جنوده تاركين وراءهم المدفعين الشهيرين اللذين كانا وراء انتصاراته، وكاد الحاج عمر أن يقع في الأسر لولا امتطائه لزورق وفر به في النهر[1].

ثم راسل الشيخ أحمد البكاي الحاج عمر يطلب منه تسليم ماسينا إلى"بالبو" بقوله:" الواجب عليك تسليم أمارة ماسنة لبا لوبو" فغضب الحاج عمر وزحف بجيشه بقيادة ألفا عثمان على تنبكتو فهزم مرة أخرى في شهر أبريل من نفس السنة وقتل فيها خلق كثير من بينهم ألفا عثمان[2]، والجدير بالذكر أن الشيخ البكاي استخدم أساليب الحرب النفسية ضد مقاتلي الحاج عمر بعد أن بث في أوساطهم دعاية تؤكد بأن الحرب التي يشنونها على أتباعه ليست جهادا في سبيل الله، وإنما تحقيقا لأطماع الحاج عمر التوسعية وذلك لأن أتباعه مسلمين مؤمنين وذلك بنص القرءان الكريم قال تعالى:﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3] ولا ينال الشهادة من يسقط في الحرب قتيلا، وهذه الدعاية كانت كافية لإضعاف الروح المعنوية لدي بعض عناصر الجيش الفوتي وخاصة أنهم يحاربون في أرض غريبة عليهم وفي بيئة شديدة العداء لهم[4].

وقبل شهر من الهزيمة الثانية للحاج عمر أمام الجيش الكنتي الماسيني كان قد نصب أبنه الأكبر أحمد ملكا على إمارة ماسينا الإسلامية وسيغو البمبارية اللتان كانتا تلعقان مرارة الدمار الذي لحق بهما من قوات الحاج عمر، فاستغل سكان ماسينا هذه الانتكاسات التي مني بها الجيش العمري وثاروا عليه وعلى جيشه، استغل الشيخ أحمد البكاي هذا الظرف وزحف بجيشه على مدينة "حمد الله"، وفرضوا حصاراً على قوات الحاج عمر دام تسعة أشهر[5]، وقطعوا الإمدادات عليه بين سيغو وماسينا، وأمام هذا الوضع المتأزم طلب الحاج عمر من ابن أخيه أحمد التيجاني أن يخترق الحصار

[1] آدب ولد سيد محمد: المرجع السابق، ص216.

[2] الحسن بن محنض: المرجع السابق، ص ص552-553.

[3] سورة النساء: الآية 93.

[4] عمر عبد الماجد: التنافس الطائفي والسياسي ...، المرجع السابق، ص ص182-183.

[5] نفسه، ص183.

ويطلب النجدة من القبائل المتحالفة معهم سابقا، وتمكن أحمد التيجاني من الخروج ليلة الخميس 11 شعبان 1280هـ(21يناير 1864م)، وبدأ يفاوض القبائل للتحالف معه فاتصل بقبائل "الدغون والبوزو والتومبو" الجبلية البدائية الوثنية[1]، التي وافقت على عرض أحمد التيجاني مقابل حلية أساوير من الذهب والفضة[2]، ولما طال انتظاره قام الحاج عمر بإشعال النار في مخازن البارود داخل الحصون مما أدى إلى انفجارها وتصاعد دويها ولهيبها، الأمر الذي أجبر القوات الماسينية المحاصرة أن تتراجع، وحينها تمكن الحاج عمر من كسر جزء من الجدار والخروج ومعه بعض أتباعه وذلك في ليلة الأحد 28شعبان 1280هـ(8 فبراير 1864م)، ووصل إلى قرية يوغنا فأدركه مطاردوه ثم انتقل إلى قرية أخرى تسمى غورو وبضاحيتها جبل يدعى ديغمبري، فدخل الحاج عمر ومن معه إلى الغار فقام مطاردوه بإضرام النار في باب الغار فأستشهد الحاج عمر مختنقا ومعه ثلاثة عشر آخرون،من بينهم أبناؤه الثلاثة هم: مكي ومالي وهادي عمر الفوتي، وكان ذلك في الثالث من شهر رمضان المعظم 1280هـ (12فبراير 1864م)[3]

وبعد هذا الواقع المفجع وصل أحمد التيجاني معززا بقوات من قبائل الدغون والبوزو والتومبو فاستأنف القتال مع القوات الكنتية الماسينية فهزمهم بعد مقاومة ضئيلة بعد أن انهكتهم الحروب، فاحتل المنطقة مرة أخرى وجعل من مدينة بنجغرا بسيغو عاصمة له إلى أن وافته المنية عام 1887م[4].

بينما كان التيجاني يقاتل الكنتيين والماسينين الذين اختلفوا وتفرقوا، توفي الشيخ أحمد البكاي الكنتي بعد أن أصيب بحمى الناموس ودفن في قرية "ساردينيا" في أعالي نهر النيجر قرب مدينة موبتي

[1] نلاحظ أن الحاج عمر قد استعان بغير المسلمين لفك الحصار الذي ضرب عليه من قبل الشيخ البكاي وبالبو، فوقع في نفس الخطأ الذي كان أخذه على أحمدو الثالث. ينظر عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص415.

[2] نفسه: ص411.

[3] الحسن بن محنض: المرجع السابق، ص554. وأيضا، عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص209.

[4] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص412.

وذلك في رمضان1821هـ(فبراير 1865م)[1]، عكس ما أشار إليه الحافظ التيجاني أنه قتل في حروبه مع الحاج عمر[2].

4-انعكاسات الصراع الماسيني الفوتي على المنطقة: تمخض عن هذا الصراع عدة آثار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية على منطقة السودان الغربي من بينها ما يلي :

- لم يكن هذا الصراع في حقيقته إلا حربا بين القادرية و التيجانية بقيادة زعيمين كبيرين، أحدهما قديم يسعى للحفاظ على مكانته ونفوذه وأرث أجداده بكل الوسائل وهو الشيخ البكاي، وآخر جديد صاعد يسعى لنشر طريقته الجديدة بكل ما أوتي من قوة وهو الحاج عمر الفوتي، مدفوعا بأمر زعيمه الروحي محمد الغالي الذي قال له عند عودته من الحجاز:" ارجع فطهّر بلاد السودان"، وفي خضم هذا الصراع وجدت إمارة ماسينا الإسلامية القادرية نفسها الضحية الأولى والخاسر الأكبر في هذه الحرب[3]، فقد أفل نجمها بالرغم من الرقي الحضاري الذي وصلت إليه، وقامت على أنقاضها الخلافة العمرية التيجانية، كما أسهم في اختفاء شخصيات فاعلة في المسرح الإفريقي كالحاج عمر الفوتي والأمير أحمدو الثالث ثم الشيخ أحمد البكاي[4].

- حسب المؤرخ زبادية فإن الحاج عمر الفوتي كان يسعى إلى تأسيس دولة إسلامية تيجانية في منطقة السودان الغربي، لكن رجال الطريقة القادرية المتأصلة في المنطقة، تصدوا لطموحاته، وكانت النتيجة أن المعارك التي شنها الحاج عمر أضعفت المنطقة وسهلت من مهمة التوسع الاستعماري الفرنسي الذي تمكن من احتلال المنطقة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[5]، كما كان من نتائجها انحصار التيجانية في الجزء الغربي من المنطقة، وحافظت القادرية على نفوذها في المناطق الوسطى والشرقية[6].

---

[1] بول مارتي: كنته الشرقيون...، المصدر السابق، ص106. أيضا، الحسن بن محنض: المرجع السابق، ص554.

[2] محمد الحافظ التيجاني: المصدر السابق، ص20.

[3] نوح عيسى سيديبي: المرجع السابق، ص223.

[4] الهادي هارون: المرجع السابق، ص104.

[5] عبد القادر زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء...، المرجع السابق، ص96.

[6] نفسه، ص231.

– قضت هذه الحرب الأهلية بين أبناء قبيلة الفلان على العديد من الوثائق التاريخية بسبب شراسة المعارك خاصة في مدينتي تنبكتو وحمد لله، ووصل عدد الضحايا إلى ثمانين ألف قتيل بين الإخوة الأعداء، كما أثرت سلبا على النشاط الاقتصادي وتجارة القوافل بين المدن، وتم نهب القوافل المحملة بالمواد الغذائية مما أدى إلى انتشار المجاعة والأمراض وزيادة الهجرات وتشتت العديد من القبائل بحثا عن الأمن والاستقرار الأمر الذي سهل من مهمة التوغل الاستعماري الذي وجد المنطقة مهلهلة ومفككة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا[1].

– حملت تلك المراسلات في طياتها العديد من التساؤلات الفقهية والتاريخية التي يجب كشف اللثام عنها، كما دلت على المستوي الثقافي الراقي الذي وصلت إليه المنطقة ، والثراء العلمي الزاخر الذي تمتع به علماء المنطقة وخاصة رسائل الحاج عمر و الشيخ أحمد البكاي[2]، وعلى الرغم من الصراع بين قبائل الفلان إلا أنها أسهمت في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية وتقوية روابط الوحدة بين سكان المنطقة خاصة حركة الحاج عمر الفوتي[3].

– تبلور الفكر الجهادي عند الأفارقة أسهم في مقاومة المد الاستعماري الذي وجد مقاومة شرسة أعاقت من تقدمه، واعتبر القادة العسكريون الفرنسيون أن الإسلام هو العقبة الكؤود أمام تقدمهم، وعبر عن ذلك " فيدهرب" الحاكم العام الفرنسي في السنغال في معاركه ضد التكرور:" إنهم يندفعون نحونا كما لو كانوا يريدون الاستشهاد "[4].

ومما لا شك فيه أن التوسع الفوتي أدى إلى تزعزع التماسك الديني والسياسي في المنطقة، وخلف صراعاً طرقياً بين الطريقة القادرية والتيجانية، وأنهى العمر الحضاري لإمارة ماسينا واستشهاد خيرة أبناء المنطقة كالحاج عمر الفوتي والأمير أحمدو الثالث، وجعل المنطقة مهلهلة مفككة مما سهل من مهمة التوسع الاستعماري الذي ابتلع المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

[1] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص205.

[2] أحمد بوعتروس: المرجع السابق، ص325.

[3] زهرة مسعودي: المرجع السابق، ص79.

[4] إلهام محمد علي دهني: المرجع السابق، ص38.

ومن خلال ما سبق يمكن القول:

-على الرغم من العلاقة الروحية التي تربط الإمارة الماسينية بالطريقة القادرية الكنتية إلا أن هناك شيئا من الحساسية وسوء التفاهم شاب تلك العلاقة خاصة حول مدينة تنبكتو وظهر ذلك جليا في مشيخة الشيخ أحمد البكاي، لكن على الرغم ما كان يشوب العلاقة إلا أن الزاوية الكنتية كان لها دورا كبيرا في الحد من خطر حلفائها الطوارق على الإمارة.

- رغم سوء العلاقات مع خلفاء الشيخ عثمان بن فودي إلا أنه لم يحدث تهديد عسكري مباشر من جانب مملكة سوكوتو لبعد المسافة بين الإمارتين، وظلت العلاقة على هذا الوضع من الجمود حتى نهاية الإمارة الماسينية.
- نجح الشيخ أحمدو لوبو في إقامة دولة إسلامية في حوض نهر النيجر بعد أن تمكن من جاهد الوثنيين والحكام الذين يمثلونهم ودخل في صراع مرير مع الممالك الوثنية خاصة مملكتي سيغو وكارتا، غير أن المصلحة السياسية للإمارة في عهد أحمدو الثالث اقتضت أن تتحول تلك العداوة إلى صداقة فتحالف مع الوثنيين ضد حركة الحاج عمر الفوتي.
- أدت الحروب الماسينية الفوتية إلى تعميق النزاع بين قبائل الفلان من جهة، وبين أتباع الطريقتين القادرية والتيجانية من جهة أخرى، وأنهت العمر الحضاري لإمارة ماسينا، وأثرت سلبا على المنطقة بأسرها وجعلها عرضة للتغلغل الاستعماري الذي تمكن من احتلالها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين.

الخاتمـــة

حاولنا في هذه الدراسة أن نبرز الدور الحضاري الذي قامت به إمارة ماسينا الإسلامية في منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وخرجنا بجملة من النتائج يمكننا أن نجملها في النقاط التالية:

– لا تختلف منطقة ماسينا في مناخها وتضاريسها عن منطقة حوض النيجر، من حيثُ خصوبة تربتها ووفرة مياهها ومراعيها ورطوبتها العالية، وهو ما يعكس البيئة المدارية التي ساهمت في زيادة الاستقطاب البشري الذي تميزت به المنطقة.

– تميزت منطقة أعالي نهر النيجر قبيل ظهور حركة الشيخ احمدو لوبو بالانفلات الأمني والتسيب السياسي، وتفاقم أعمال السطو والعدوان والصراعات المستمرة بين القوى المحلية التي كانت تسعى لتقاسم النفوذ فيما بينها، ولم يتوقف الخطب عن هذا الحد بل هيمنة إمارة سيغو الوثنية على منطقة ماسينا.

– إن التعدد الإثني الذي كانت تعيشه منطقة السودان الغربي خلال القرن التاسع عشر قصر من العمر الزمني للإمارة الماسينية بالرغم من نضجها الحضاري وتماسكها الاجتماعي، فقد أثرت الظروف الإقليمية والعلاقات الخارجية على المسار السياسي للإمارة سواء في علاقتها مع الممالك الإسلامية مثل سوكوتو أو الوثنية مثل سيغو أو مع القوى الفاعلة في المنطقة كقبيلة كنته والطوارق.

– أحدثت الحركات الإصلاحية الفلانية حركة واسعة ونهضة شاملة في إطار الإصلاح الديني والاجتماعي والثقافي في منطقة السودان الغربي، حيث قامت بنشر الإسلام في أوساط المجتمعات الوثنية وأسست دولاً وقارعت الاستعمار الغربي.

– يعد ظهور الشيخ احمدو لوبو في منطقة ماسينا بداية لمرحلة جديدة من تاريخ الإسلام في المنطقة، إذ أسهم في إحياء العقيدة الإسلامية وبعثها من جديد من خلال جهوده الإصلاحية لإقامة دولة إسلامية يحكمها الشرع الاسلامي.

– أظهرت هذه الدراسة أن المنطقة كانت تعج بالبدع والخرافات وبعض العادات الوثنية المندسة في الإسلام، الأمر الذي جعل الشيخ احمدو لوبو يصنف تأليفه الوحيد المسمى " الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وأحياء بعض ما أندرس من السنن".

– مكنت الإمارة الإسلامية فلاني مالي من الاستقلال الذاتي وعدم الخضوع للمالك الوثنية، وتمكنت من وضع مؤسسات سياسية قارة، وطبعت حياتهم الاجتماعية بالطابع الاسلامي مع الحفاظ على أعرافهم وتقاليدهم التي لا تتنافى مع الشرع الحنيف، كما تمكن من جمع شتات المجتمع الفلاني في منطقة ماسينا في دولة واحدة.

– كانت المؤسسات السياسية التي أنشأتها الإمارة تستمد تشريعاتها من القرءان الكريم والسنة النبوية، وتمكنت من تطبيق تعاليم الإسلام في جميع مناحي الحياة، ويمكن الاستفادة من تجربة الإمارة في النهوض بالعمل الاسلامي إذ توفرت النية الصادقة والعمل المنظم.

– يتضح من خلال المؤسسات السياسية التي أنشأها الشيخ أحمدو لوبو أنها تشبه إلى حد بعيد المؤسسات الدستورية التي أنشأتها الدول الحديثة في القرن العشرين، وكانت مجالسه الدستورية بمثابة البرلمان بغرفتيه، وهنا تتجلى لنا الديمقراطية الحقة، وهكذا برهن هذا الشيخ على دهائه السياسي ونيته الصادقة في إقراره النظام الشوري وعدم استئثاره بكل السلطات، وجعل من نفسه عضو ضمن هذه المؤسسة السياسية بالرغم من أنه المؤسس الأول للدولة.

– تمكنت الإمارة من أن تنظم الحياة الاجتماعية تنظيما دقيقا، بجمع شتات الشعب الفولاني وصهره في بوتقة واحدة في ظل إمارة إسلامية موحدة، وذلك كله بفضل تطبيق تعاليم الإسلام تطبيقاً عملياً، فوطنت البدو الرحل وأخرجتهم من حالة البداوة إلى حالة الاستقرار والتمدن.

– أولت الإمارة اهتماما كبيرا للمجال العلمي فاستقطبت العلماء وكرمت الحُفاظ، وجعلت من العلم مطية للوصول إلى أعلى المراتب في الإمارة، مما مكنها من أن تشهد نشاطا علميا يضاهي حاضرة سوكوتو.

– اهتمت الإمارة بالحياة الاقتصادية إذ حولت المجتمع البدوي الرعوي إلى مجتمع زراعي مستقر، بفضل استصلاح الأراضي التي حولتها من أرض موات إلى أراض منتجة يعتمد عليها السكان في معاشهم، كما أن موارد بيت المال التي أشرنا إليها هي نفس الموارد المنصوص عليها في كتب الفقه الإسلامي مع بعض الاختلاف الطفيف، ونلمس من ذلك حرص الإمارة على الالتزام بنصوص الشرع الحنيف في تأمين مصادر الدخل.

– كانت المؤسسة القضائية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمجلس الشوري الذي يعتبر المسؤول الأول عن تعيين القضاة والأشراف على أعمالهم ومحاسبتهم، وقد كان القضاة ملتزمين بالشريعة الإسلامية على مذهب الإمام مالك–رضي الله عنه– في جميع القضايا التي كانت ترفع إليهم، مع وجود بعض الهفوات التي لا تنقص من العزيمة الصادقة لهؤلاء الرجال.

– لم تتوقف أعمال الشيخ احمدو لوبو على المجال الدعوي والاجتماعي، بل تمكن من بناء جيش إسلامي قوي حصن الإمارة من غارات المناوئين وأدب المتمردين وحافظ على الأمن العام في المدن والقرى، غير أن هذا الجيش كان بدائياً غير مواكب لعصره فلم يهتم بشراء الأسلحة الأوروبية الجديدة، الأمر الذي جعله يسقط في أول امتحان حقيقي أمام قوات الحاج عمر الفوتي مما عجل من سقوطها، بالرغم من الثراء الحضاري الذي شهدته.

– يقال في السياسة أنه لا توجد صداقة دائمة أو عداوة دائمة بل مصالح قائمة، وتصدق هذه المقولة على العلاقات الماسينية الكنتية من جهة وعلاقتهما مع مملكة سيغو من جهة أخرى فبالرغم من العداوة السالفة، إلا أن الكل تحالف ضد الخطر المشترك المتمثل في الزحف العمري.

– إن الصراع الفولاني الذي شهده النصف الثاني من القرن التاسع عشر بين دولتين إسلاميتين قامتا على فكرة الجهاد الإسلامي، يعتبر مأساة حقيقة، عمقت النزاع بين الطريقتين القادرية والتيجانية بالرغم من احتماء الطريقتين بالكتاب والسنة النبوية لتبرير موقفهما السياسي والعسكري، وتمخض عنه زوال الإمارة الماسينية، وسهل من مهمة التوغل الاستعماري في المنطقة.

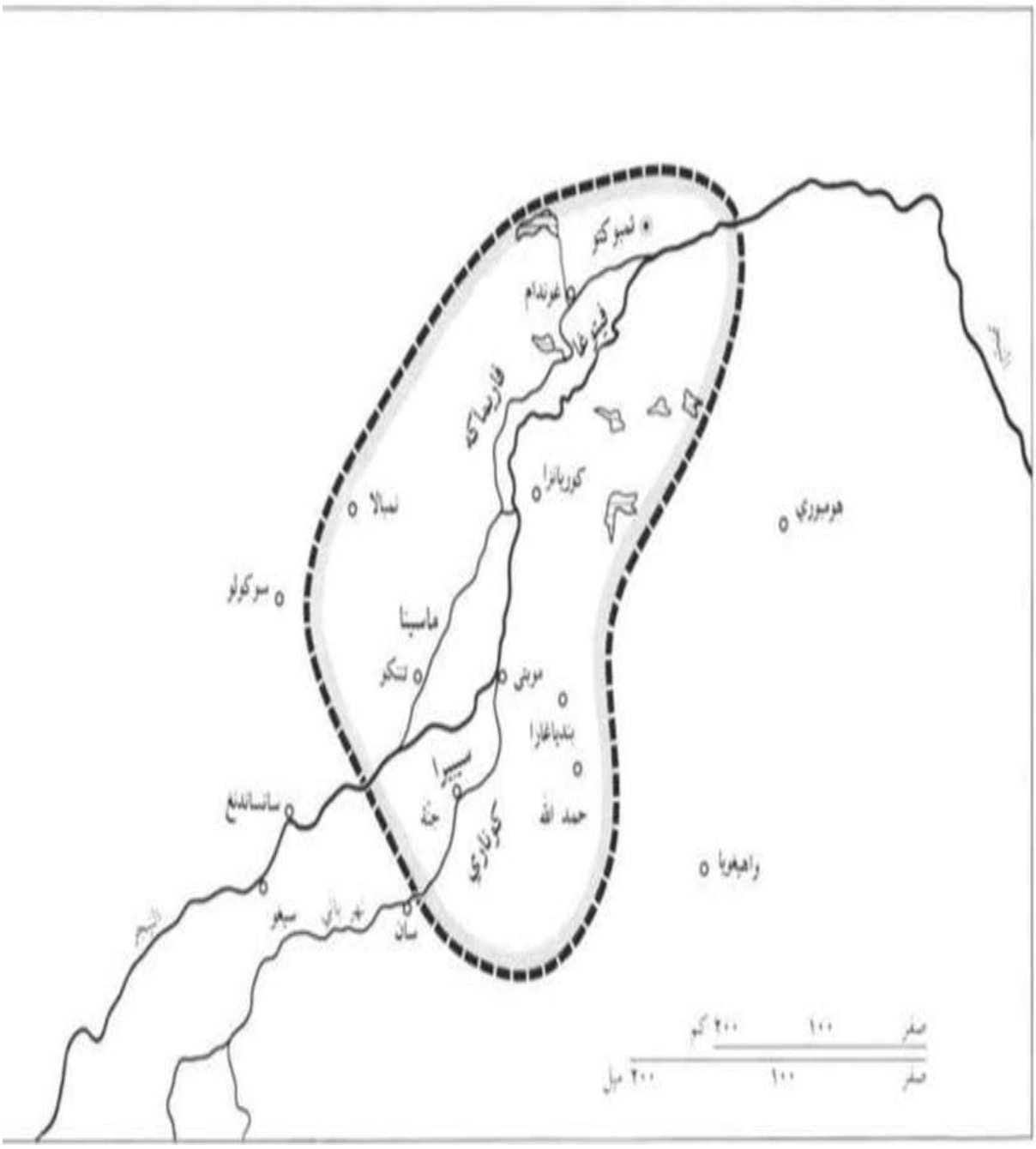
وفي ختام هذه الدراسة التي تناولت الإمارة الماسينية الإسلامية خلال العصر الحديث لا يسعنا إلا أن نخرج ببعض التوصيات والاقتراحات منها:

- إقامة ملتقيات وندوات للتعريف بالشخصيات الإسلامية التي كان لها دور كبير في بعث الحركة الإسلامية في منطقة السودان الغربي خلال العصر الحديث والتي تمكنت من أن تترك بصمتها ناصعة في تاريخ المنطقة بالرغم من التآمر الوثني والمد الاستعماري الذي كانت تشهده المنطقة خلال هذه الفترة.
- تثمين الدور الحضاري للمركز العلمية بين ضفتي الصحراء وإحياء القواسم المشتركة بين المنطقتين، وتكثيف التعاون العلمي والثقافي بين الجزائر ودول الساحل الإفريقي، ليتمكن الباحثين والعلماء من نفض الغبار عن الإرث العلمي الكبير المكتنز في رفوف الخزائن العلمية سواء في الجزائر أو في دول الساحل الإفريقي.
- ومن المواضيع المقترحة لأن تكون بحوثا مستقبلية: العلاقات الماسينية السكتية على ضوء المراسلات الأميرية — الصراع الماسيني الفوتي (دراسة تاريخية وفقهية).

وفي الأخير نرجو من الله العلي القدير إن تجد هذه التوصيات آذانا صاغية لتنفيذها والعمل بها، كما نأمل أن نكون قد وفقنا ولو بجزء يسير في كشف اللثام عن هذه الإمارة الإسلامية، وفتحنا شهية الباحثين لزيادة البحث في هذا الموضوع.

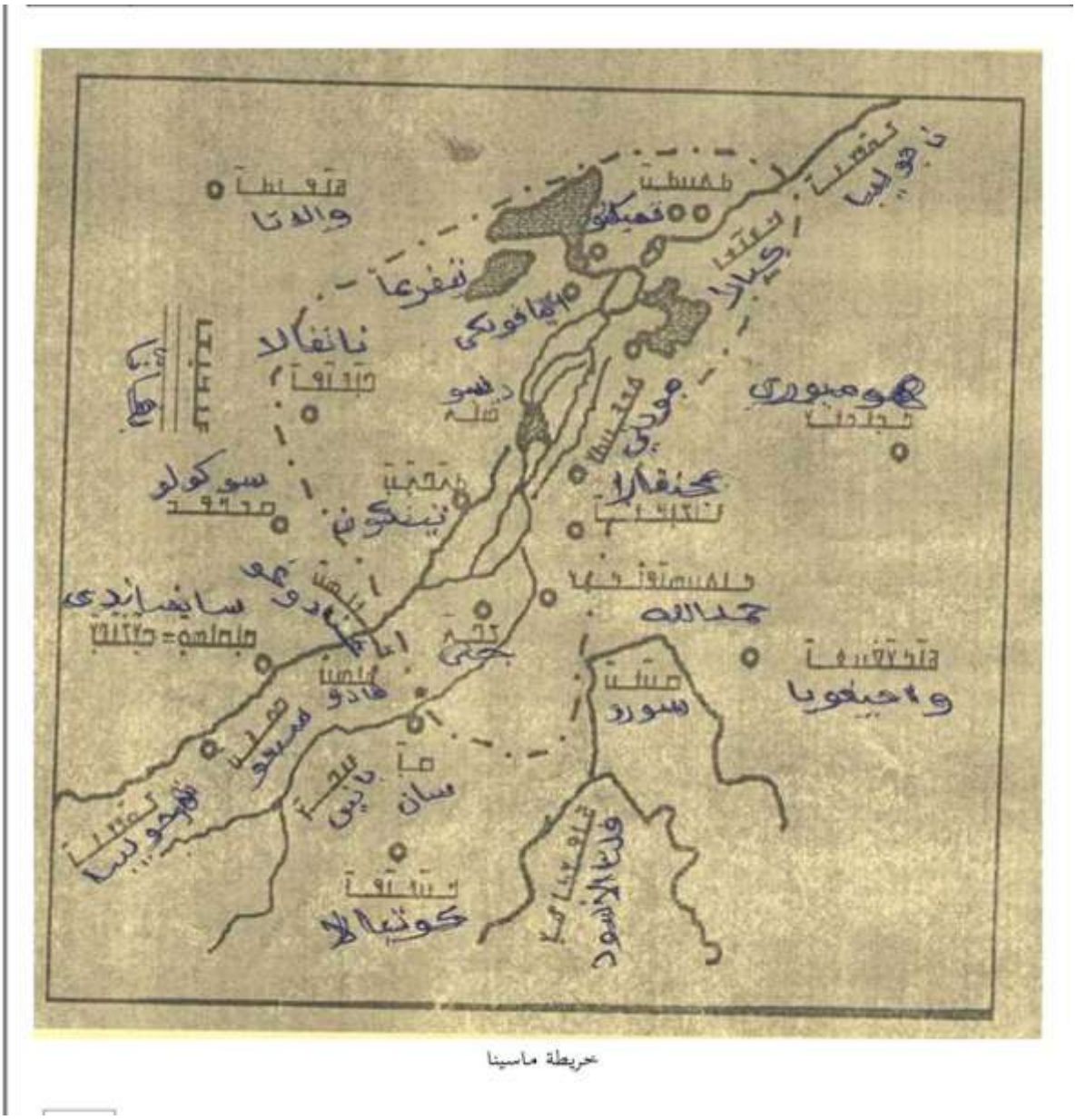
الملاحق

الملحق (1): خريطة ماسينا في أقصى اتساعها[1].



[1] آدى آجايي وآخرون: المرجع السابق، ص681.

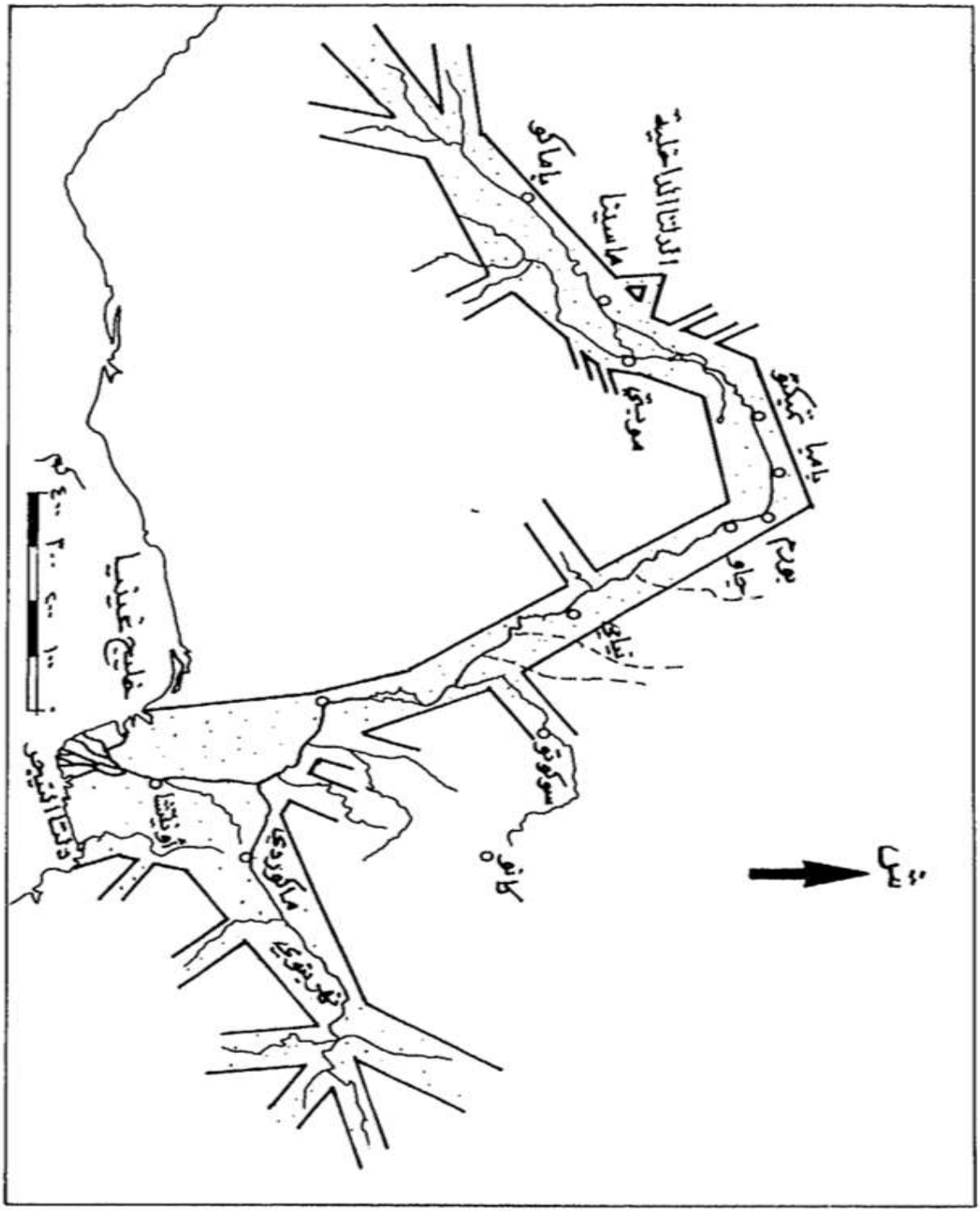
الملحق(2): خريطة توضح أقاليم إمارة ماسينا[1].



خريطة ماسينا

[1] عبد القادر بن تيجان: المرجع السابق، ص468.

الملحق (3): خريطة توضح نهر النيجر[1]



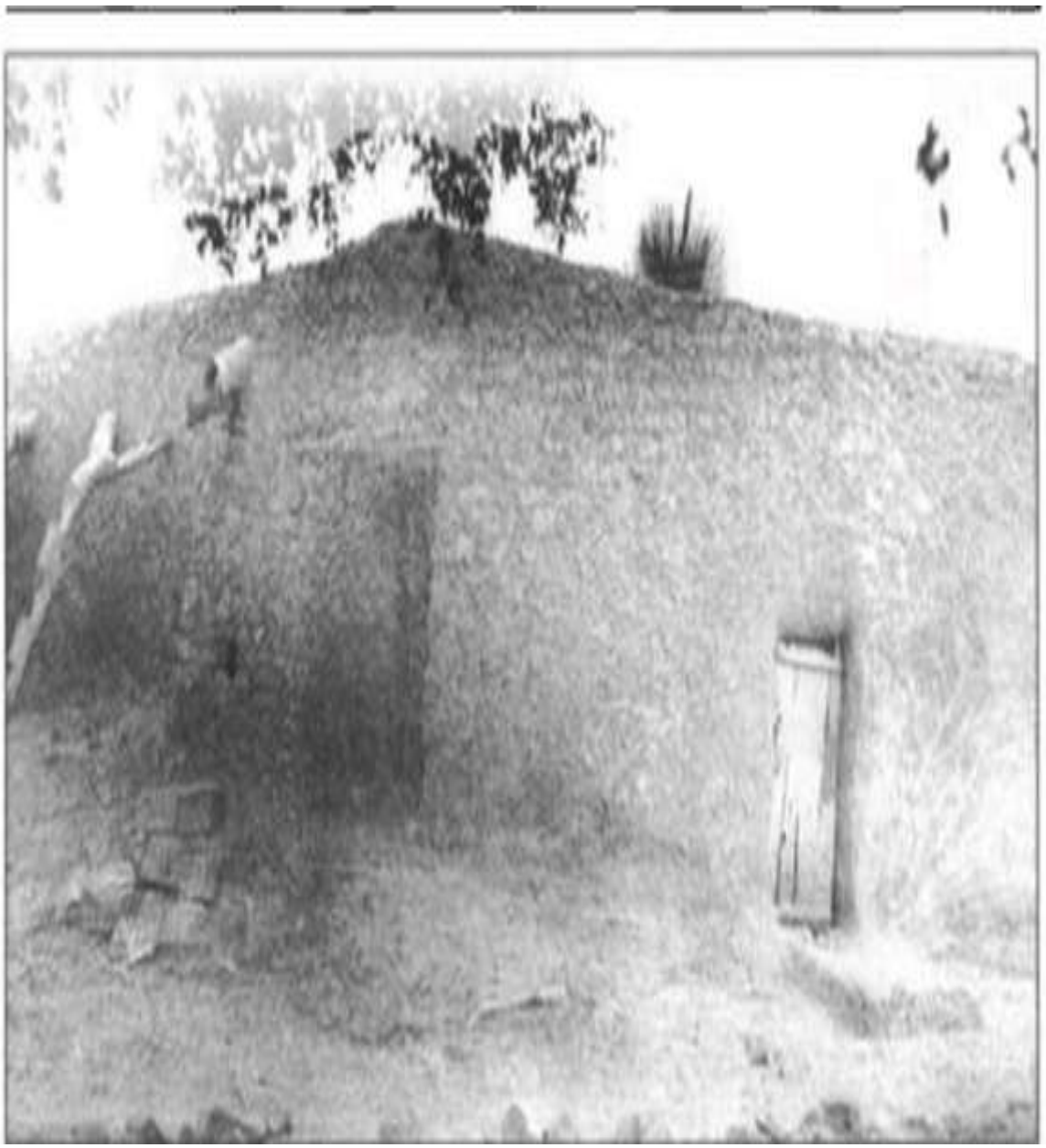
[1] محمد عبد الغني سعودي وآخرون: المرجع السابق، ص43.

الملحق (4): أطلال أحد الأبراج الدفاعية لمدينة حمد الله[1].



[1] آدى آجابي وآخرون: المرجع السابق، ص685.

الملحق (5): ضريح الشيخ احمدو لوبو بصورته القديمة في مدينة حمد الله[1].



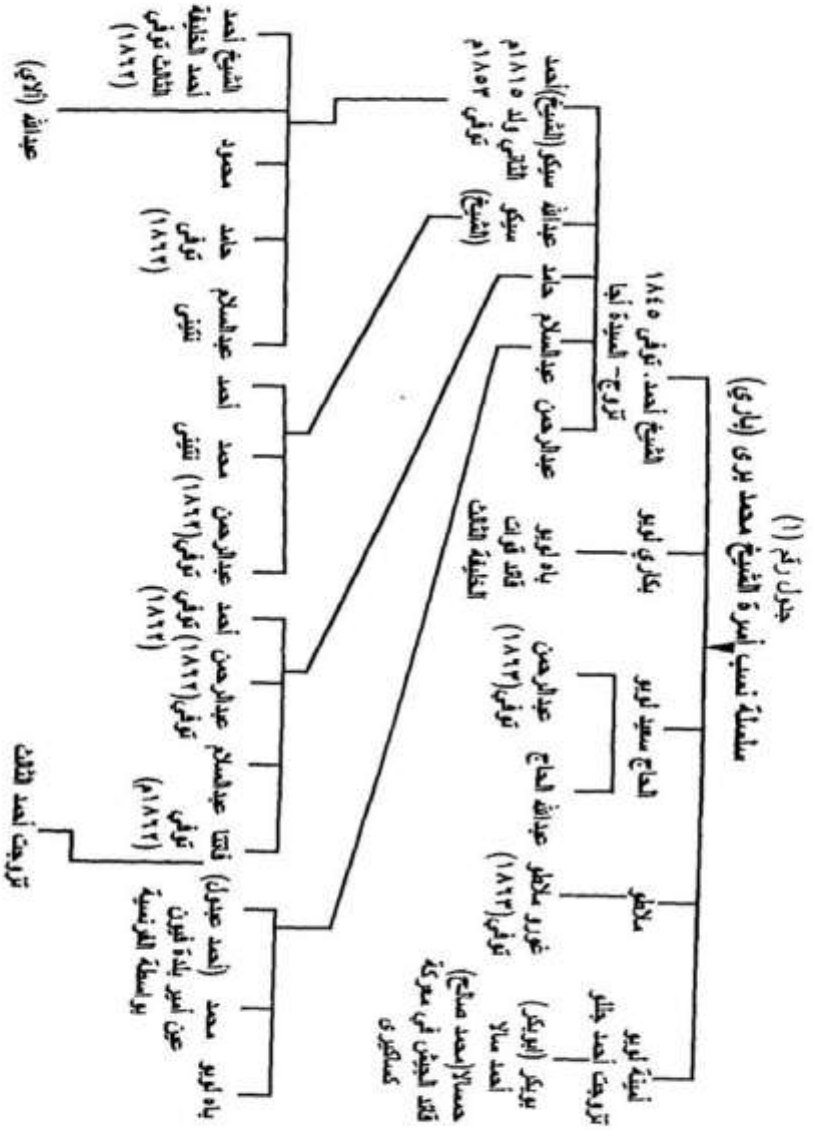
[1] آدى آجابي وآخرون: المرجع السابق، ص686.

الملحق (6): ضريح الشيخ أحمدو لوبو وابنه الأمير أحمدو الثاني والشيخ ألفا نوح بن الطاهر بصورته الحالية[1].



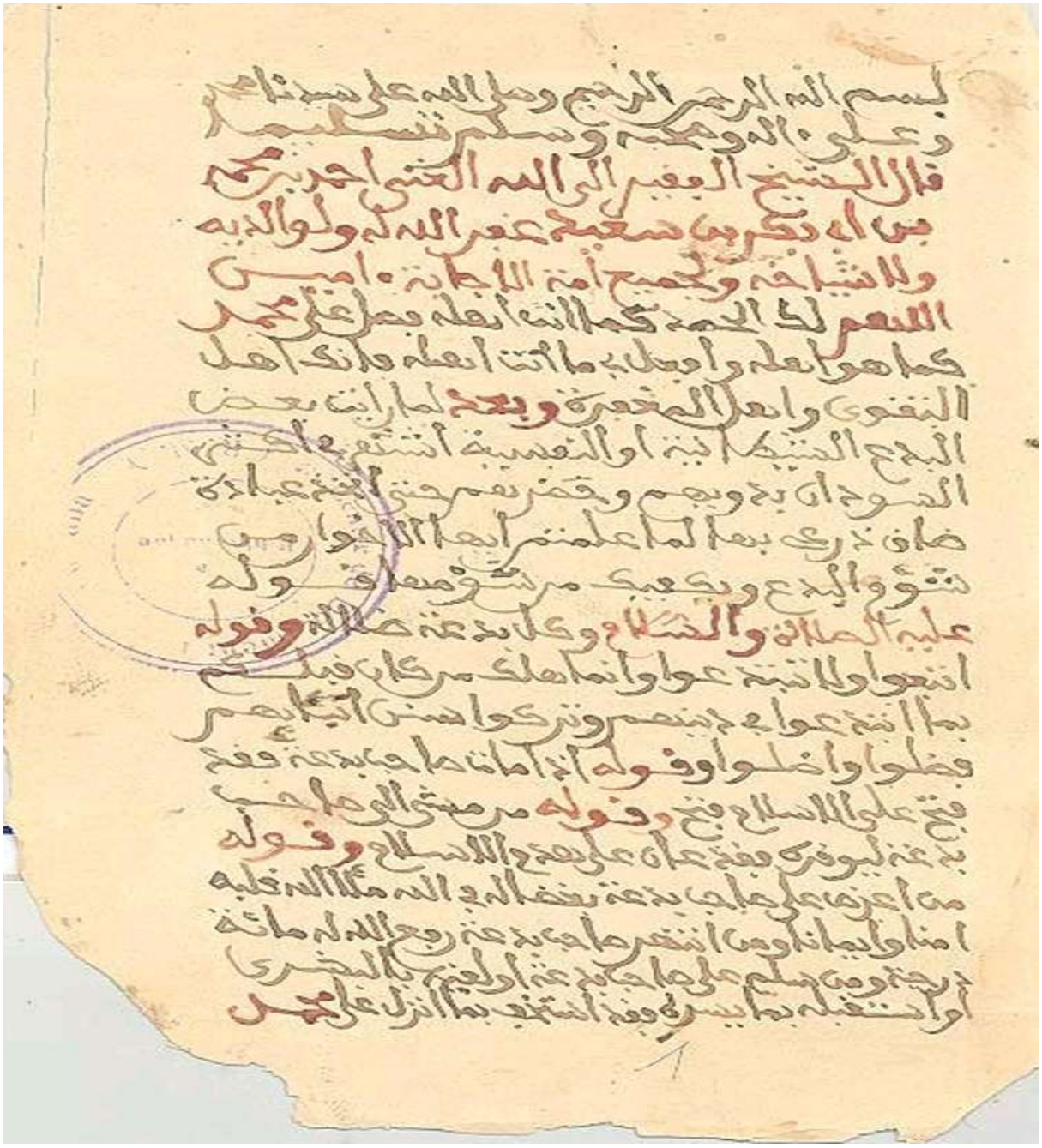
[1] Mauro Nobili: Op, Cit, p90.

الملحق (7): شجرة نسب الشيخ احمدو لوبو الماسيني[1].



[1] عثمان برايما باري: المرجع السابق، ص 166.

الملحق (8): الصفحة الأولى من مخطوط الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء بعض ما اندرس من السنن[1].



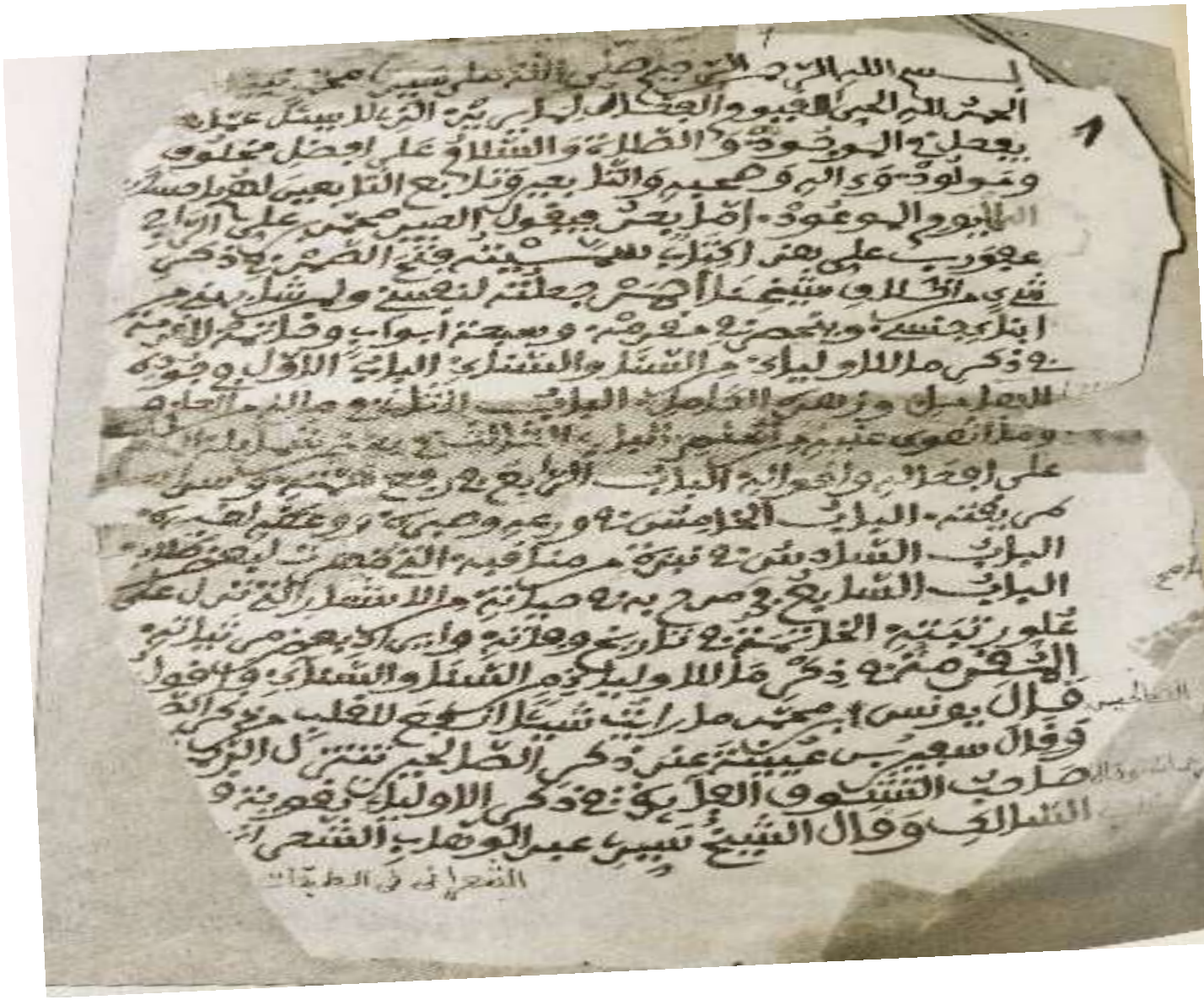
[1] Hamadou Boly: op,cit,p359.

الملحق (9): الصفحة الأخيرة من مخطوط الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء بعض ما اندرس من السنن[1]



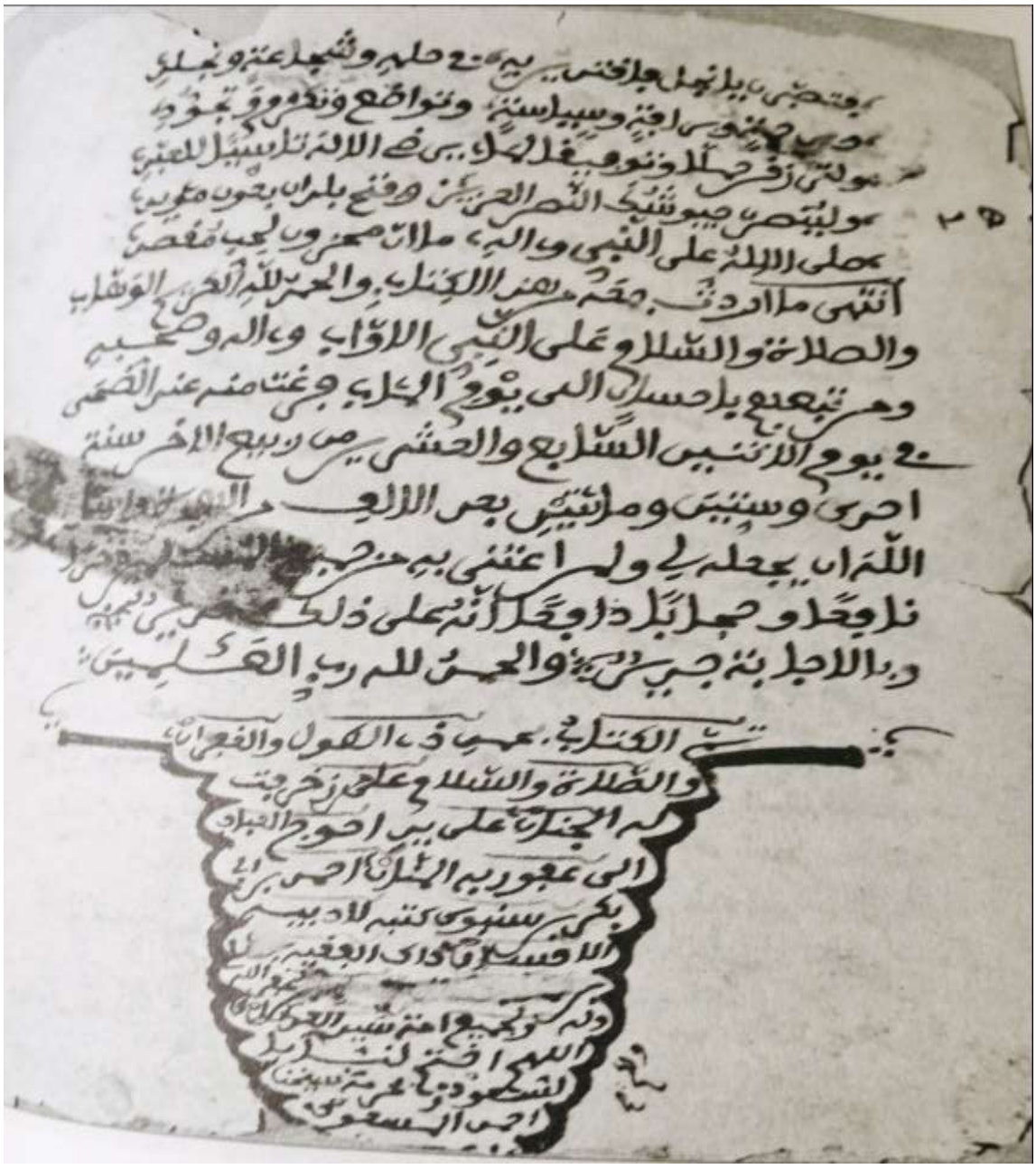
[1] Hamadou Boly: op,cit, p360.

الملحق(10): الصفحة الاولى من مخطوط فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد لصاحبه محمد بن علي فريجو[1]



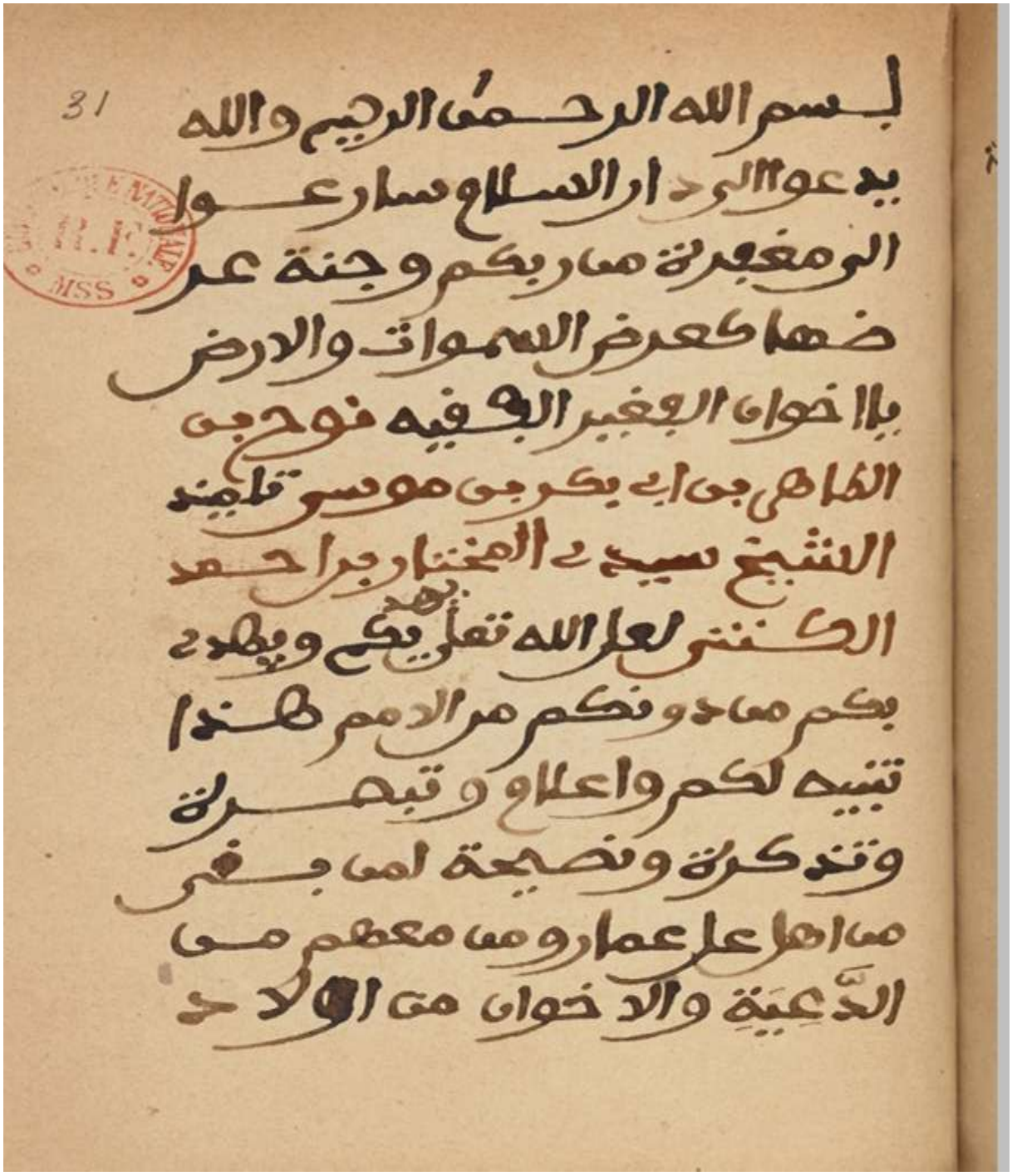
[1] محمد بن علي فريجو: المصدر السابق، ص92.

الملحق(11): الصفحة الأخيرة من مخطوط فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد لصاحبه محمد بن علي فريجو[1]



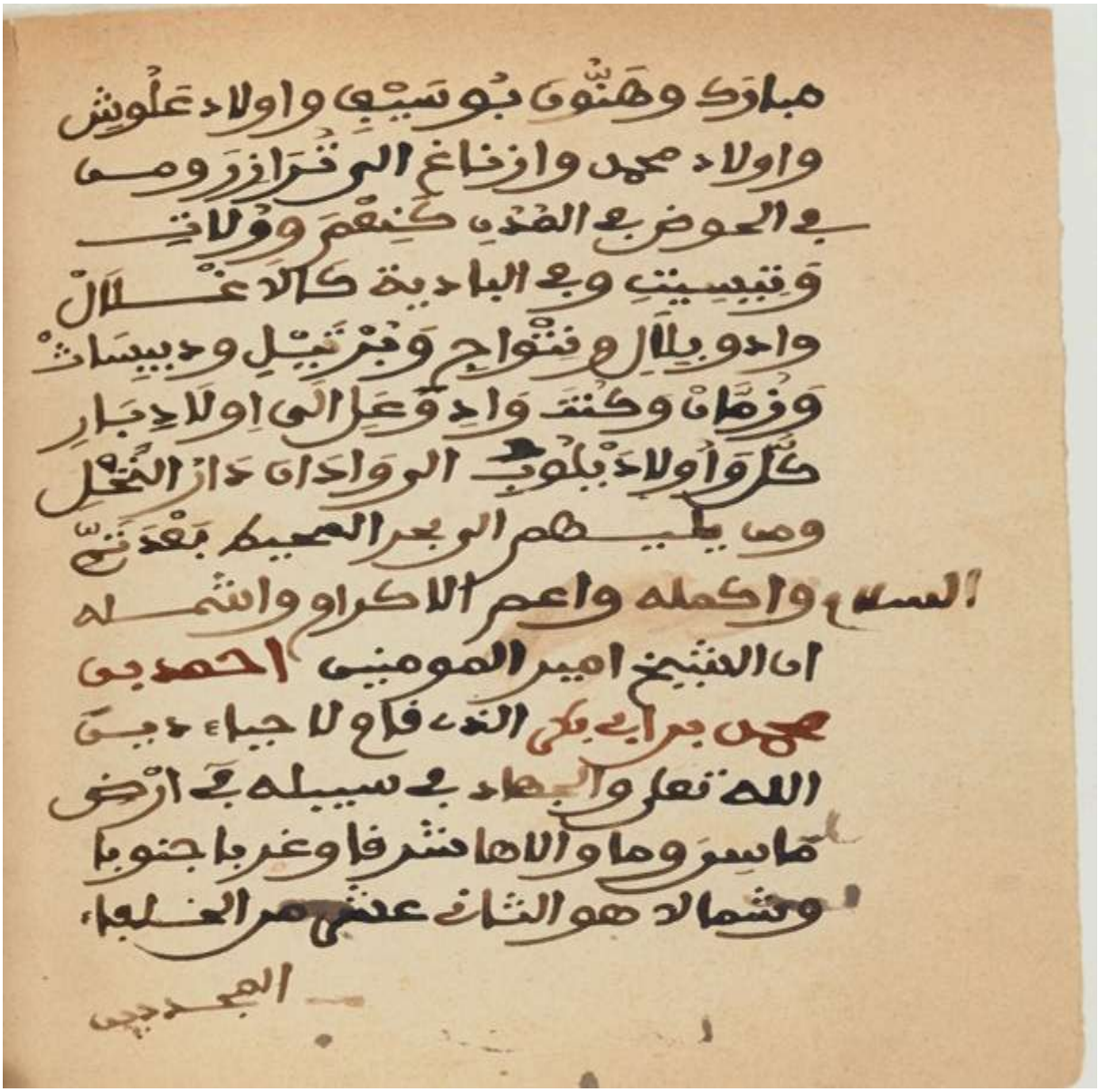
[1] محمد بن علي فريجو: المصدر السابق، ص89.

الملحق(12): الصفحة الأولى من رسالة الشيخ ألفا نوح بن الطاهر في ظهور الخليفة الثاني عشر[1]



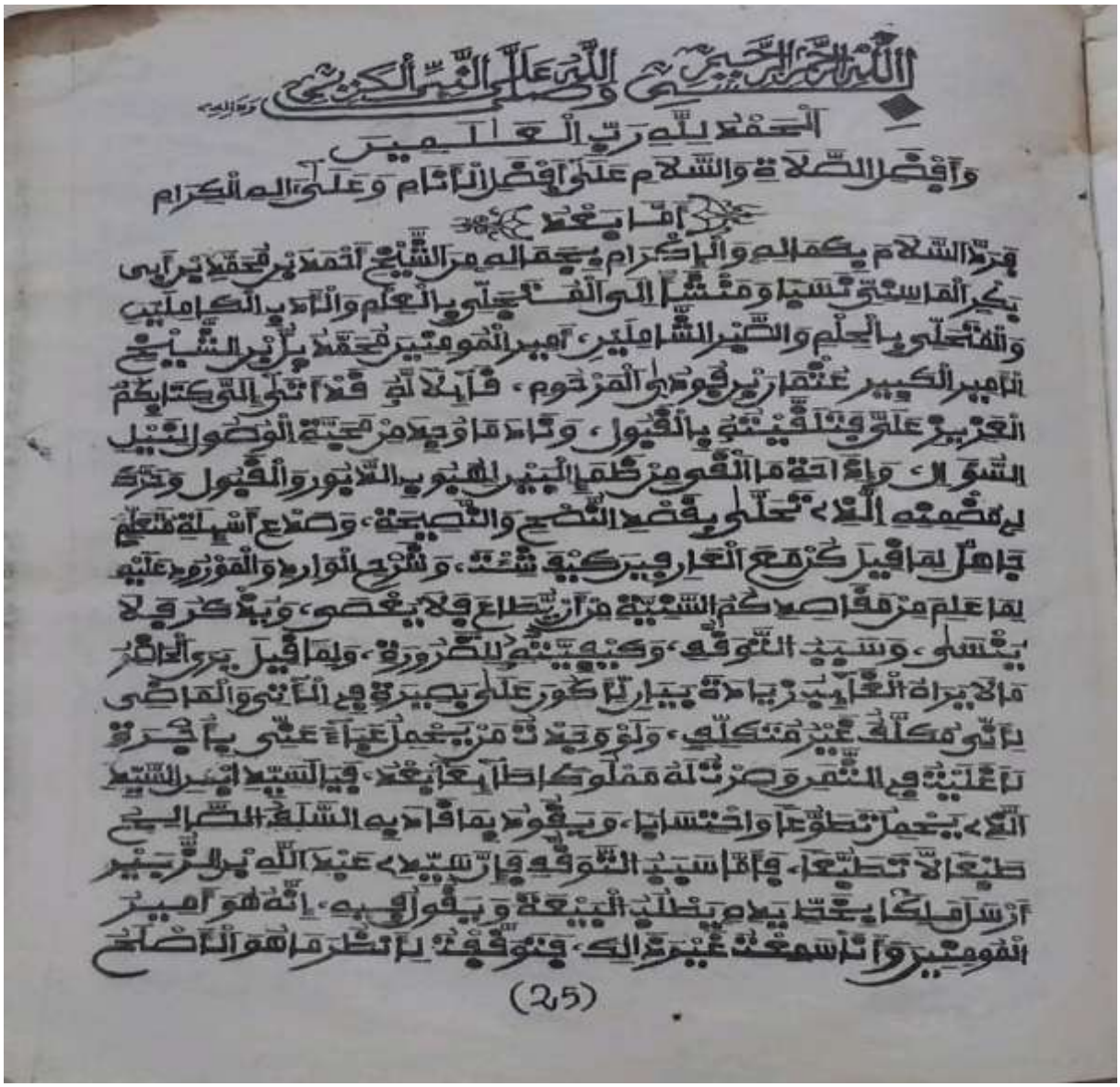
[1] مكتبة الكونغرس الامريكي، Arab6756

الملحق(13): الصفحة الثانية من رسالة الشيخ ألفا نوح بن الطاهر في ظهور الخليفة الثاني عشر[1].



[1] مكتبة الكونغرس الامريكي، Arab6756

الملحق (14): الصفحة الأولى من رسالة من الشيخ احمدو لوبو إلى أمير المؤمنين محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي[1].



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على النبي الكريم وآله

الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة والسلام على أفضل الأنام وعلى آله الكرام

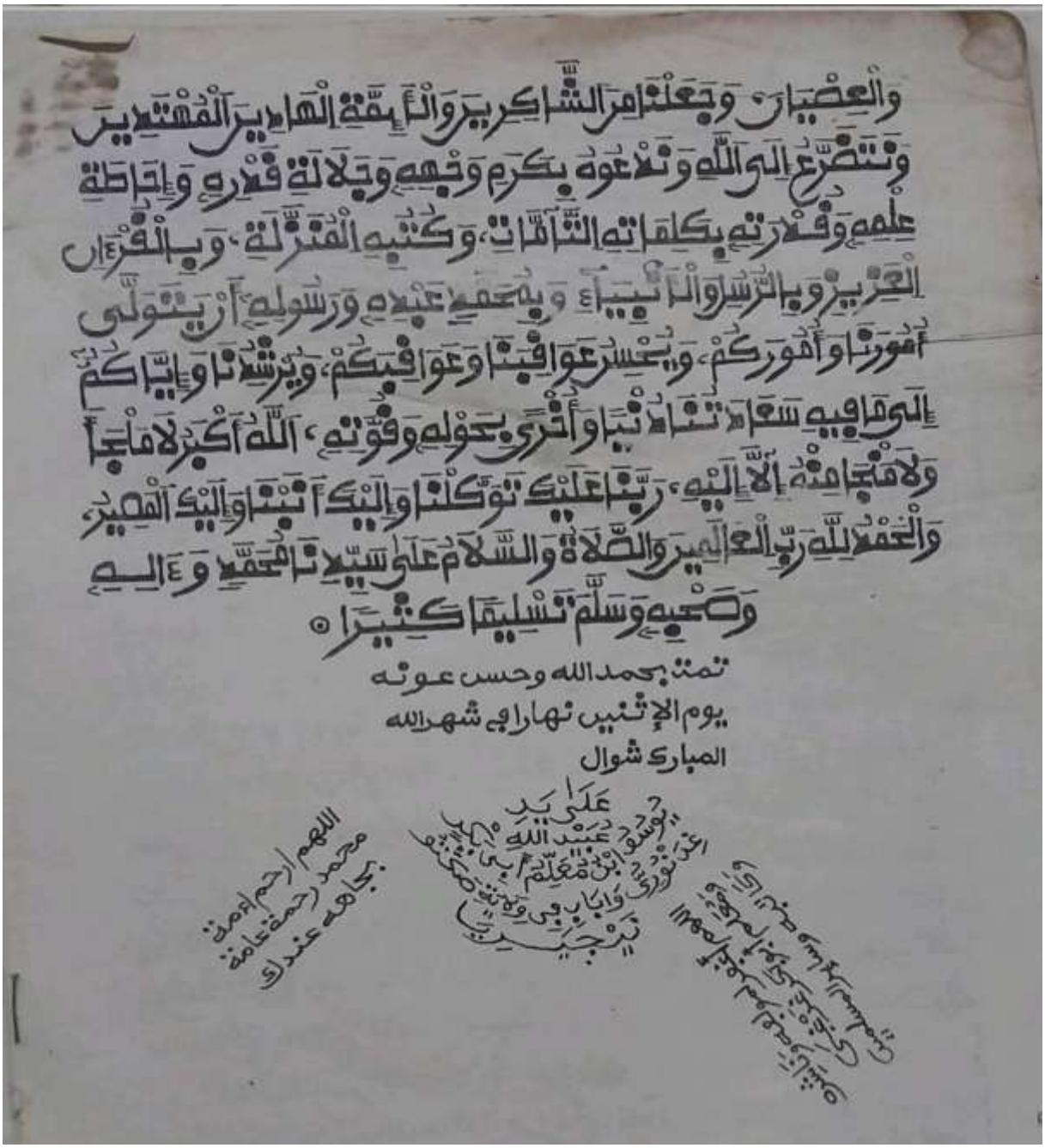
أما بعد

فرد السلام بكماله والإكرام بجمالهم من الشيخ أحمدو بن محمد لوبو إلى بكر الماسني تسيا ومنشأ إلى الفاضل الجلي بالعلم والأدب الكاملين والمتحلي بالحلم والخير الشاملين أمير المؤمنين محمد بل بن الشيخ الأمير الكبير عثمان بن فودي المرحوم، فإنه قد أتى إلي كتابكم العزيز علي وتلقيته بالقبول، وتأملت ما وجد من محبة الوصول لنيل السؤال، وإذا حتة ما النقوم من كلم البين المبرور والقبول وترك لم تضمنه الذي تحلى بمقتضى النصح والنصيحة، وصنع أسهلة متعلم جاهل لما قيل كرمع العار فيركبه شنة، وشرح النوازل والفوز وعليه لما علم من مقاصدكم الشنيعة من أن يطاع فلا يعصى، وبه كر فلا يتسلى، وسبيد التوفيق، وكنيته تنتهي للضرورة، ولما قيل يرى الحاضر ما لا يراه الغائب زيادة بيان لا كور على بصيرة في الآتي والماضي لأني مكلف غير متكلف، ولو وجدت من يحمل عني بأجرة لأعليته في الشهر وصرت له مملوكا طائعا، فيا السيد ابن السيد الذي يحمل تطوعا واحتسابا، ويقوم بما قام به السلف الصالح طيعا لا تطيعا، وأما سيد التوفيق فإن سيدي عبد الله بن الزبير أرسل لكما بخط يده يطلب البيعة ويقول فيه، إنه هو أمير المؤمنين وأنا سمعته غير مرة لك، وتوقف لا أنظر ما هو الناصح

(25)

[1] خزانة شيخ صرغه ديما تكاتكو، صكت، نيجيريا.

الملحق (15): الصفحة الأخيرة من رسالة من الشيخ احمدو لوبو إلى أمير المؤمنين محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي[1].


والعصيان وجعلنا من الشاكرين والأئمة الهادين المهتدين
ونتضرع إلى الله ونتلوه بكرم وجهه وجلالة قدره وإحاطة
علمه وقدرته بكلماته التامات، وكتبه المنزلة، وبالقرآن
العزيز وبالمرسلين والأنبياء وبه جميع عباده ورسوله أن يتولى
أمورنا وأموركم، ويحسن عواقبنا وعواقبكم، ويرشدنا وإياكم
إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة بحوله وقوته، الله أكبر لا ملجأ
ولا منجا منه إلا إليه، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وصحبه وسلم تسليما كثيرا ۞
تمت بحمد الله وحسن عونه
يوم الإثنين نهارا في شهر الله
المبارك شوال
على يد
عبد الله
اللهم ارحم أمة
محمد رحمة عامة
بجاهه عندك

[1] خزانة شيخ صرغه ديما تكاتكو، صكت، نيجيريا

الملحق(16): الصفحة الأولى من مخطوط أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق بن الشيخ عثمان بن فودي عن أسئلة أحمدو لوبو أمير أهل ماسينا[1].



بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله وصلى الله على النبي الكريم وآله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله الذي يسر قلوب المؤمنين لأمرهم بموالاة بعضهم بعضا، ونهى عن موالاة الكافرين، والصلاة والسلام على من أتى بتيسير المهاجرين والأنصار، وعلى آله وأصحابه الذين هم أشداء على الكفار رحماء بينهم، الدالة على المؤمنين بالعزة على الكافرين وعلى الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم.

إلى السيد الذي انتشر في الأقطار الماسينية علمه وديانته وفشا في الأقطار المغربية نقواه وصيانته الشيخ الفقيه والعالم النبيه أحمدو بن محمد بن أبي بكر بن سعيد، تحيات متتابعة وافرة، وتسليمات متواترة وتكريمات طيبة متضافرة، وعلى سائر من معه من الأخوار وجميع الجماعة والأعوان.

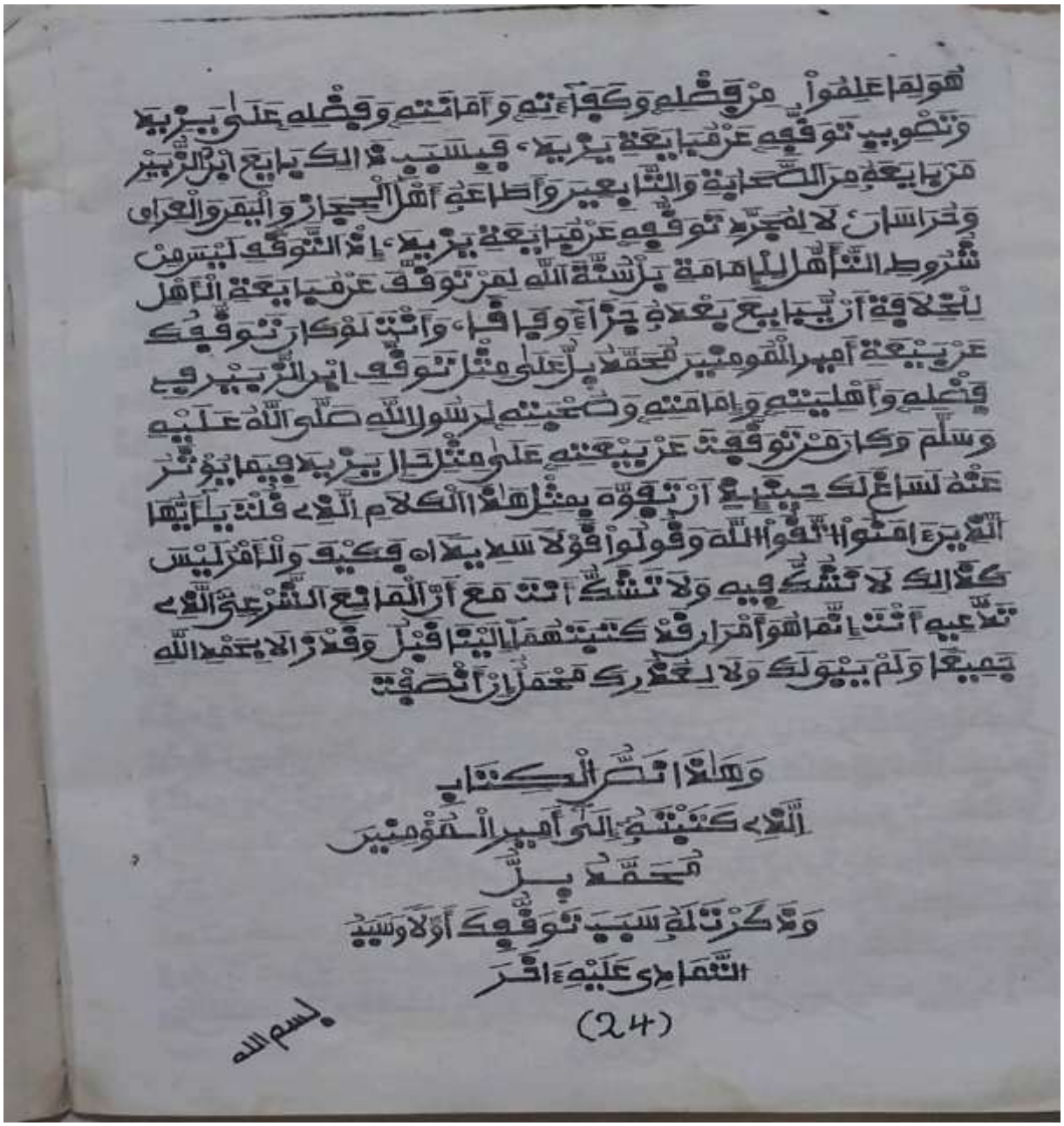
أما بعد: فقد وصل إلينا بريدك الفقيه الصالح علي بن إبراهيم صحبة مكاتيبك الشريفة، فتلقيناه بالتبجيل والإكرام والمبرة والإعظام، ثم تصفحنا ما بيده من الكتب فإذا في أحدها تعزيتنا عما وقع من المصاب العام والبلاء الطام، من وفاة سيدنا أمير المؤمنين محمد بل رحمة الله تعالى، فقد عزيناك أنت وسائر جماعتك في ذلك، أجرنا الله وإياكم وأجزل ثوابنا، وجمعنا وإياكم وإياه في دار السلام بجاه محمد سيد الأنام.

والثانية من الوثائق وهو مشتملة على الصحيفة التي كتبتموها إلى جنابكم في الله محمد البخاري بن عثمان بن فودي، وأخسر بها من صحيفة بارعة ووصية بليغة نافعة، والثالثة، وجهتم بها إلينا وإلى الشيخ العالم المصطفى، وإلى الأمير خليل الله بن العالم العلامة الشيخ عبد الله وإلى وزيرنا

(2)

[1] خزانة شيخ صرغه ديما تكاتكو، صكت، نيجيريا.

الملحق (17):الصفحة الأخيرة من مخطوط أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق بن الشيخ عثمان بن فودي عن أسئلة أحمدو لوبو أمير أهل ماسينا[1]


هو لما علموا من فضله وكفاءته وأمانته وفضله على يزيد
وتصويب توقفه عن مبايعة يزيد، فبسبب أنه كان بايع ابن الزبير
من بايعه من الصحابة والتابعين وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق
وخراسان لا لمجرد توقفه عن مبايعة يزيد، إذ التوقف ليس من
شروط التأهل للإمامة بل لسنة الله لم تزل توقف عن مبايعة الأهل
للخلافة أن يبايع بعده جزاء وفاقا، وأنت لو كان توقفك
عن بيعة أمير المؤمنين محمد بلو على مثل توقف ابن الزبير في
فضله وأهليته وإمامته وتعيينه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان من توقفه عن بيعته على مثل حال يزيد فيما يؤثر
عنه لساغ لك حينئذ أن تقوه بمثل هذا الكلام الذي قلته يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم وأمركم ليس
كذلك لا تشك فيه ولا تشكك أنت مع أن المانع الشرعي الذي
تدعيه أنت إنما هو أمر اخترعته هممك أتيتا قبل وقد زال بحمد الله
جميعا ولم يبق لك ولا لغيرك محمل أن أنصفت

وهذا آخر الكتاب
الذي كتبته إلى أمير المؤمنين
محمد بلو
وقد كرت له سبب توقفك أولا والسيد
التمامي عليه أثر
(24)
بسم الله

[1] خزانة شيخ صرغه ديما تكاتكو، صكت، نيجيريا.

الملحق(رقم 18): رسالة مجهولة المصدر إلى الشيخ احمدو لوبو يبلغه صاحبها عن تصرفات ممثله إبراهيم الذي فرض غرامة مالية على عثمان القايدي بوبكر بسبب حضور حفل زفاف فيه اختلاط بين الرجال والنساء[1].



الحمد لله وحده لا وصلى الله على من لا نبي بعده لا

الى امير المومنين وقايد جيوش المسلمين الشيخ احمد
ابن محمد اللبي الولاتي السلام عليك ورحمة الله وبركاته
وبعد فليكن في كريم علمك ان امير الدرب تركه ببكر
غزو في تنبكت واسمه ابراهيم جعل على عثمان
ابن القايد ببكر مائتين الفا لاجل نكاح رجل من اهل
تنبكت وعثمان مشى ليسلم عليهم ووجد الحال
يدخل النساء في دارهن انفرد في دارهن بغير الرجال
ورجل بداره انفرد فيها بغير النساء اسير فادى عثمان
عند مولاي محمد القادر وذكر له مائتين الفا
المذكورة وزعم انه يرسل له براءته ولاجل ذلك
ارسلت لك هذا البراءة فبارك مرفا بعطايه فيما هي
امر الله ثم امرك منذ امرتنا ان لا يجتمع الرجال والنساء
لا يجتمعن في عرس ولا غيره وقد له جوابه عاجلا بلا تاخير
وفي زعمهم ان عقد نكاحهن على الوالي هو في دارهن
يسلم عليهن وان كان يلزم عليه زوجه وجعل
النساء كليل على زعمه والسلام

[1] Lieutenant Bèfontan : op,cit,p107.

الملحق(19): قصيدة بعث بها الشيخ احمد البكاي إلى الأمير احمدو الثالث في شأن النصراني "هنري بارث" المسمى عبد الكريم[1].



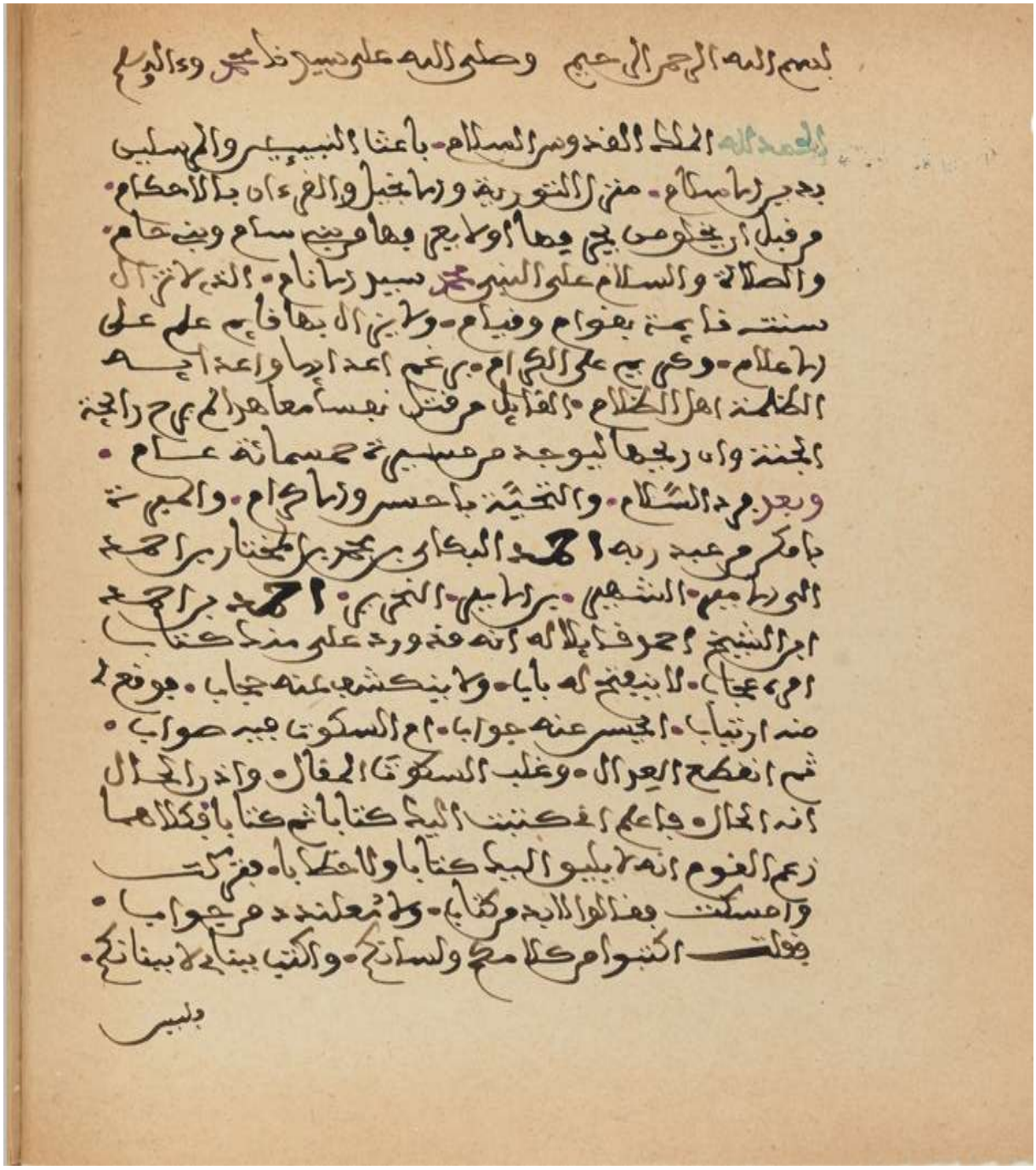
[1] Lieutenant Bèfontan : op,cit,p109.

الملحق(20): الجزء الاخير من القصيدة التي بعث بها الشيخ احمد البكاي إلى الأمير احمدو الثالث في شأن النصراني "هنري بارث" المسمى عبد الكريم[1].



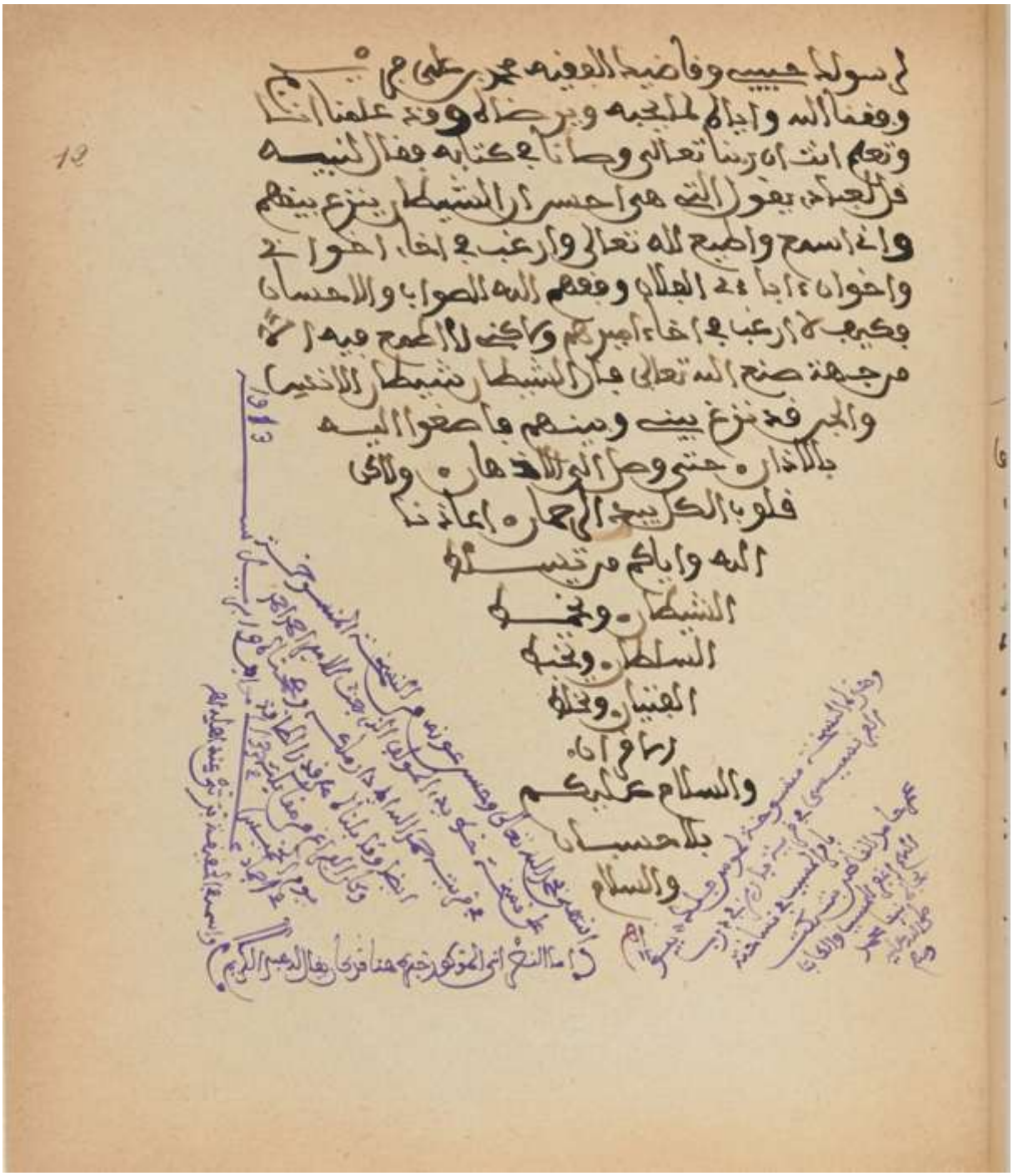
[1] Lieutenant Bèfontan : op,cit,p108.

الملحق (21): الصفحة الأولى مخطوط جواب الشيخ احمد البكاي إلى أحمد بن أحمد بن الشيخ احمد الفلاني في شأن النصراني[1].



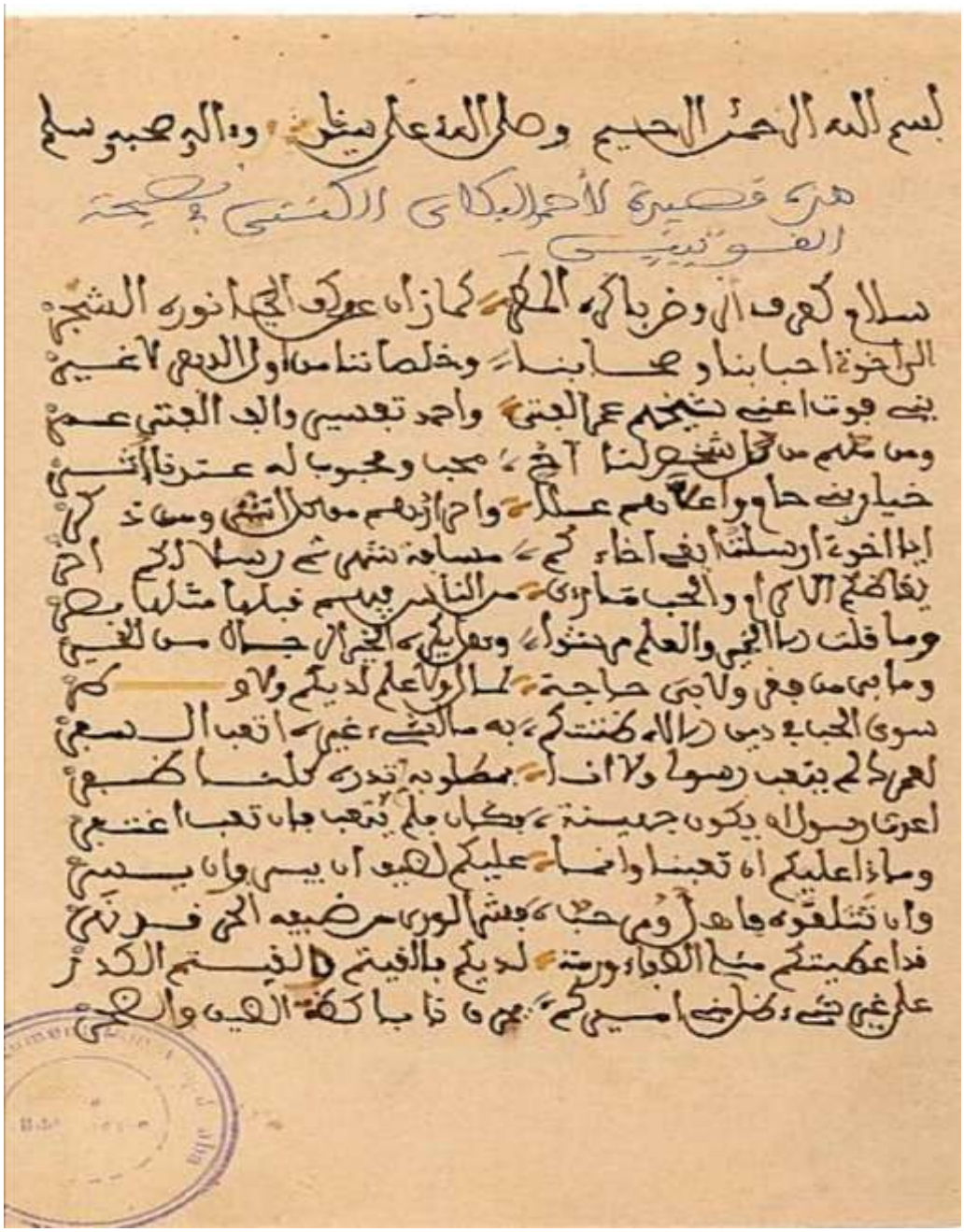
[1] مكتبة الكونغرس الامريكي، Arab6756

الملحق (22): الصفحة الأخيرة مخطوط جواب الشيخ احمد البكاي إلى أحمد بن أحمد بن الشيخ احمد الفلاني في شأن النصراني[1].



[1] مكتبة الكونغرس الامريكي، Arab6756.

الملحق (23): من قصيدة الشيخ البكاي في نصيحته للفوتيين[1].



[1] محمد جاكيتي: المرجع السابق، ص257.

الملحق(24): رسالة الحاج عمر الفوتي الى أهل ماسينا[1].



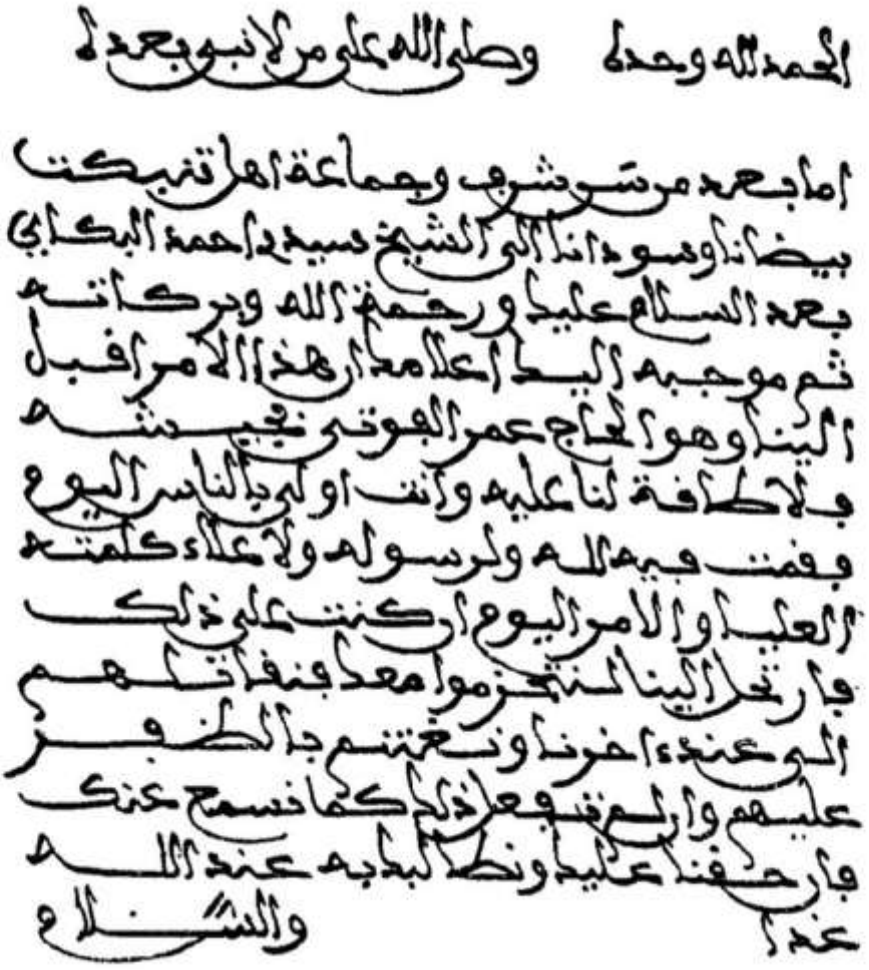
[1]Hamadou Boly: op,cit,p366.

الملحق(25): رسالة استعطاف من الشيخ احمد البكاي إلى الحاج عمر الفوتي[1].



[1]Lieutenant Bèfontan : op,cit,p111.

الملحق (26): رسالة استنجاد من أهل تنبكتو إلى الشيخ احمد البكاي ليخلصهم من الحاج عمر الفوتي[1].



الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

اما بعد من شرفاء وجماعة اهل تنبكت
بيضانا وسودانا الى الشيخ سيدي احمد البكاي
بعد السلام عليك ورحمة الله وبركاته
ثم موجبه اليك اعلامنا بهذا الامر اقبل
الينا وهو الحاج عمر الفوتي نجيبه
بالطافة لنا عليه وانت اولى بالناس اليوم
فقمت فيه لله ولرسوله ولاعلاء كلمته
العليا والامر اليوم اركنت على ذلك
فارتحل الينا لنحزموا معك فنقاتلهم
الى عندك اخرنا ونغنم الظفر
عليهم وان لم تفعل ذلك كما نسمح عنك
فارحفنا عليك ونطالبك به عند الله
عند ا والسلام

[1] Lieutenant Bèfontan : op,cit,p112.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم (برواية ورش)**
- **كتب الحديث النبوي الشريف**
- الحافظ ابو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1416هـ/1996م.
- أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترميدي : الجامع الصحيح وهو سنن الترميدي، تح محمد فؤاد عبد الباقي، ج3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر،1968/1388م.
- الإمام البخاري(أبي عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان،1419هـ/1998م.
- الإمام البخاري(أبي عبد الله محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، دار بن كثير، دمشق بيروت، 1423هـ/2002م.
- الإمام مسلم (أبي الحسن النيسابوري): صحيح مسلم، دار طيبة، الرياض السعودية، 1427هـ/2006م.
- **أولاً: المصادر**

1 – المخطوطات:

- ألفا نوح بن الطاهر: رسالة في ظهور الخليفة الثاني عشر، مكتبة الكونغرس الأمريكي، Arab6756.

– البكاي أحمد: هذا جواب أحمد البكاي بن محمد بن المحتار بن احمد للأمير احمد بن احمد بن الشيخ احمد الفلاني في شأن النصراني، مكتبة الكونغرس الأمريكي، Arab6756

– العتيق أبي بكر: مخطوط أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق عن كتاب الفقيه أحمد لبو، خزانة شيخ صرغه ديما تكاتكو، صكت، نيجيريا.

– الماسيني أحمدو لوبو: رسالة من الشيخ احمدو لوبو إلى أمير المؤمنين محمد بل بن الشيخ عثمان بن فودي، خزانة شيخ صرغه ديما تكاتكو، صكت، نيجيريا.

2– المصادر المطبوعة:

- الاخضري أحمد بن داود القاضي: العقد الجوهري في التعريف بالقطب الشيخ سيدي عبد الرحمن الاخضري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017م.
- الإدريسي الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، المكتبة الثقافية الدينية، مصر، 2002.
- الاشعري أبي الحسن علي بن إسماعيل: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 2005.
- البرتلي ابي عبد الله :فتح الشكور في معرفة أعيان وعلماء التكرور، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1981.
- البكاي أحمد: رسالة من الشيخ سيد أحمد البكاي إلى أحمد أحمد الماسيني الفلاني، تح اسماعيل تراوري، مكتبة اسماعيل تراوري.
- البكري أبو عبد الله: المغرب في ذكر افريقية والمغرب، مكتبة المثنى، ببغداد العراق، 1964.

–بن الخطاب عمر: رسالة القضاء لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، توثيق وتحقيق ودراسة : احمد سحنون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية 1412هـ/1992م.

- بن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج6، دار الفكر، بيروت لبنان، 2000.
- بن روان ياسين: تاريخ التسامح في الصحراء (دراسة لفتوى الشيخ سيدي أحمد البكاي الصغير في شأن النصراني)، مركز بلعربي العلوي للدراسات التاريخية، المغرب، 2019م.

- بن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد:كتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،بدون سنة.
- بن فودي عثمان: نور الألباب أو نور الألباب في ذكر الأمور التي عمت البلوى بها في بلاد الحوس- (مخطوط)، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 240.
- بول مارتي: البرابيش، ترجمة محمد محمود ولد ودادي، دار زيد بن ثابت، بيروت، 1983م.
- بول مارتي: كنته الشرقيون، تعريب محمد محمود ولد دادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، 1985م.
- بيلو محمد بن عثمان بن فودي : إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، دار ومطابع الشعب، القاهرة، 1383هـ-1964م.
- التنبكتي أحمد بن بابا: نيل الابتهاج في تطريز الديباج، تح حماه ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1971.
- التنبكتي محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 2014.
- التيجاني محمد الحافظ: الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب افريقيا، الكتاب الاول:شيء من جهاده وتاريخ حياته، الكتاب الثاني: ما وقع بينه وبين أمير ماسينا بغرب إفريقية، مطبعة الزاوية التيجانية ، مصر، 1383هـ.
- الجراحي إسماعيل بن محمد العجلوني: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تح يوسف بن محمود الحاج احمد، مكتبة العلم الحديث، دمشق سوريا، 1421هـ.
- الرومي أبي محمد عبد الله بن محمد بن يوسف الحنفي: نجاح القاري لصحيح البخاري،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2021م.

- السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة (د.ت) ج3.
- سكيرج أحمد بن العياشي: كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، المغرب ،1381هـ/1961.
- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت لبنان، 1423هـ/2003م.
- الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي: الموافقات في أصول الشريعة، تح عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت لبنان، مجلد 2.
- الطالب ببكر احمد مصطفى: منح الرب الغفور في ذكر ما أهمل صاحب فتح الشكور، تح محمد الأمين بن حمادي، Ens Editions، ليون فرنسا،2011م.
- العتيق أبي بكر: مخطوط أجوبة أمير المؤمنين أبي بكر العتيق عن كتاب الفقيه أحمد لبو، تح علي يعقوب، المركز الإسلامي لإحياء التراث الإسلامي التابع للجامعة الإسلامية بالنيجر، النيجر، 2003.
- الفزاري تاج الدين عبد الرحمن المعروف بابن الفركاح الشافعي: شرح الورقات لإمام الحرمين الجويني، تح سارة شافي الهاجري، دار البشائر الإسلامية، الكويت، 1997م.
- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح، عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972.
- الفوتي الحاج عمر بن سعيد: رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم، دار التجاني، الجزائر، 2009م.
- فييريج محمد علي: الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وأحياء بعض ما أندرس من السنن ويليه فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد، منشوراتGrandvaux، فرنسا، 2011م.

- القاضي أبو يوسف يعقوب: كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان،1399هـ/1979م.
- القزويني زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت لبنان.
- الماسيني أحمد بن محمد بن ابي بكر: الاضطرار إلى الله في إخماد بعض ما توقد من البدع وإحياء ما اندرس من السنن، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج ابوبكر صو، بامكو مالي، 1998.
- الماوردي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: الأحكام السلطانية، دار ابن قتيبة، الكويت، 2008م.
- النفراوي احمد بن غنيم بن سالم: الفواكه الدواني على رسالة ابن ابي زيد القيرواني، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1997م.
- الوزان الحسن: تاريخ السودان، مطبعة بردين، باريس، 1981.
- ولد البراء يحي: المجموعة الكبرى الشاملة لفتاوى ونوازل وأحكام أهل غرب وجنوب الصحراء، المجلد الأول، المكتبة الوطنية بنواكشط، موريتانيا، 2009م.

ثانياً: المراجع باللغة العربية:

- آدى آجايي وآخرون: تاريخ إفريقيا العام، المجلد السادس، القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانياته (اليونسكو)، المطبعة درغام واولاده، لبنان، 1996.
- آغافا شعيب عبد الباقي: أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، مكتبة دار الأمة، نيجيريا، 2008م.
- الباجي: المنتقى شرح الموطأ،تح محمد عبد القادر أحمد عطا،ج1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1999م.
- باري محمد فاضل على و سعيد إبراهيم كريدية: المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2007.

- بدق محمد محي الدين: إفريقيا وحوض النيل، ط2، مطبعة عطايا، مصر، 1934م.
- بدوي عبده: شخصيات افريقية، دار الوفاء للمطبوعات، مصر، بدون سنة النشر.
- برادة علي حرازم بن العربي المغربي الفاسي: جواهر المعاني وبلوغ الاماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني – رضي الله عنه–، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد اللطيف، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1979
- برايما باري عثمان: جدور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة، 2000م.
- بلعالم باي: قبيلة الفلان في الماضي والحاضر ومالها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومه، الجزائر، 2004.
- بن حامد المختار: حياة موريتانيا، مطبعة النجاح، الدار البيضاء المغرب، 2009م.
- بن لالم كجيري عبد القادر بن تيجان: موسوعة تاريخ مالي، مؤسسة كجيري للبحوث والدراسات التاريخية، مالي، 2015م.
- بن محنضن الحسين: تاريخ موريتانيا الحديث، دار الفكر، موريتانيا، 2010
- البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، بدون سنة.
- بوعتروس احمد: الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء أبان القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، دار الهدى،الجزائر، 2009م
- بوعزيز يحي: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية، دار هومة، الجزائر، 2001م.
- جعفري مبارك: الأزواد خلال القرن 13هـ/19م، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2021م.
- جلال يحي: تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 1999م.

- جودة حسين جودة: قارة إفريقيا دراسات في الجغرافيا الإقليمية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.
- جوف محمد بن تفسير باب البرني: إعلام الهدى بغرب إفريقيا، السنغال، 1999م.
- الحريري محمد مرسي: جغرافية القارة الإفريقية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994م.
- حسام الدين إبراهيم عثمان: موسوعة دول العالم، دار العلوم للنشر والتوزيع، القاهرة، 2014م.
- حماه الله ولد السالم: تاريخ موريتانيا قبل الاحتلال الفرنسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2017.
- حماه الله ولد سالم: الإسلام والثقافة العربية في الصحراء الكبرى دراسات ومراجعات، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2010م.
- حوتية محمد الصالح: آل كنتة دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008.
- الدالي الهادي المبروك: التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، الإسكندرية مصر، 1999م.
- الدالي الهادي المبروك: قبائل الفلان دراسة وثائقية، شركة الحصراء للطباعة والنشر، ط4، بنغازي ليبيا، 2009م.
- ذهني إلهام محمد علي: جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850-1941، دار المريخ ، الرياض، 1988م.
- زبادية عبد القادر: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.

- زبادية عبد القادر: مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493-1592م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، دون تاريخ النشر.
- ساكو عبد الرحمن حسين محمد: حركات تجديد الفكر الإسلامي بمنطقة الغرب الإفريقي، بدون دار نشر، القاهرة، 2019
- السحمراني أسعد: التصوف منشؤه و مصطلحاته، دار النفائس، بيروت لبنان، 1987.
- سعودي محمد عبد الغني وآخرون: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الثاني عشر، إقليم غربي افريقيا، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1999م.
- سيسي عبدالله: حركات الإصلاح والتجديد في غرب إفريقيا خلال القرن الثامن والتاسع عشر الميلاديين، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1439هـ/2018م.
- شاكر محمود: التشاد، وزارة المعارف للمملكة العربية السعودية، 1972م.
- الشرنوبي عبد المجيد بن إبراهيم الأزهري: تقريب المعاني على متن الرسالة لابن ابي زيد القيرواني في مذهب الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2011م.
- شعباني نور الدين: محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي، دار الجزائر، 2015م.
- شلبي احمد: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج6، دار النهضة، مصر، 1990م.
- صالح ساتي مهدي: مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، المركز الاسلامي الإفريقي، الخرطوم السودان، 1991م.
- عبد الجليل عبد السلام: السفينة القادرية، دار الكتب العلمية، لبنان، 2002.
- عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مطبعة يوسف، القاهرة، 2001م.
- عبد الطاهر حسن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفلاني، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة مصر، 1991م.
- عبد الله عبد الرازق وشوقي الجمل: دراسات في تاريخ غرب إفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الاسكندرية، مصر، 1998م.

- عبد الله عبد الرازق: اضواء على الطرق الصوفية، مكتبة مدبولي، 1989م.
- عبد الله عبد الرازق: الحركات الإصلاحية في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر، نشر معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، 1983.
- عبد الله عبد الرازق: المسلمون في غرب إفريقيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، جويلية 1989م.
- عبد الله عيسى: مجمل تاريخ السنغال من القرن11 إلى نهاية القرن 19، مركز الكتاب للبحوث والدراسات، 2020.
- العبودي محمد بن ناصر: سطور من المنظور والمأثور عن بلاد التكرور، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض السعودية، 1999م.
- العربي إسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- العقاد أنور عبد الغني: الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ، الرياض، 1982م.
- العمومري عبد الغني: العقيدة الأشعرية وأدلتها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2021.
- الغربي محمد: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م.
- فتح الله مصباح محمد: بردة البوصيري وأثرها في الأدب العربي القديم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،2011م.
- فضل الله يوسف : الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، بحث مقدم لندوة العرب وإفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربي، بيروت، 1987م.
- فلاتي الطيب عبد الرحيم محمد : الفلاته في افريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية في السودان، دار الكتاب الحديث، الكويت، 1994.
- فليجة احمد نجم الدين: افريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، مصر،

- الفيتوري عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قان يونس، ليبيا، 1998م.
- فيج. جي.دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، راجع الترجمة الى العربية بهجت رياض صليب، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- قحف منذر: الإيرادات العامة للدولة في صدر الإسلام وتطبيقاتها المعاصرة، ط2، البنك الإسلامي للتنمية المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/2000م.
- القشاط محمد سعيد: أعلام من الصحراء، دار الملتقى، بيروت لبنان، 1997.
- القشاط محمد سعيد: التوارق: عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ليبيا، 1989م.
- قطب سيد: العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت لبنان، القاهرة مصر،1415هـ / 1995م
- كام جوزفين: المستكشفون في إفريقيا، تر، يوسف نصر وآخرون، دار المعارف، القاهرة، 1983م.
- كاني أحمد محمد: حركة الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي، الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1987م
- مارمول كربخال: إفريقيا ،ج1،تر، محمد حاجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م.
- متولي عبد الحميد: الإسلام ومبادئ نظام الحكم في الماركسية والديمقراطيات الغربية، منشأة المعارف، ط2، الإسكندرية مصر،1981
- محمد المنصور إبراهيم: تحفة الأحباب بأدلة كتاب نور الألباب، مركز الصحابة، نيجيريا، 1433 هـ/2012م.
- محمد رياض وكوثر عبد الرسول: إفريقيا، هنداوي، بيروت لبنان، 2015م.

- محمد صبحي عبد الحكم: دراسات في الجغرافيا العامة، دار النهضة العربية، مصر، 1980م.
- محمد عبد المجيد عامر: دراسات في جغرافية الموارد الاقتصادية في العالم، منشأة المعارف، مصر، 1982م.
- محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، القاهرة، 1966م.
- مرموري حسن: التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م
- المحيشي عبد القادر مصطفى: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 2000م.
- الملاح بشار أكرم جميل: تاريخ الإسلام في إفريقيا، دار الفكر، الأردن، 2014.
- مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي افريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات التاريخية، الرياض السعودية،1998.
- ميغا عبد الرحمن محمد: الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن8 إلى القرن13الهجري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1423هـ/2011م.
- نبيلة حسن محمد: في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2009م.
- النقيب غاستون دوفور: تاريخ العمليات العسكرية في موريتانيا ق17-1920، تعريب المقدم محمد المختار ولد محمد ولد بيه، مكتبة القرنين21/15، موريتانيا، 2012.
- نياني وآخرون: تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر(اليونسكو)، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1988م.
- هوراد : أشهر الرحلات في غرب إفريقيا،تر، عبد الرحمان عبد الله، الهيئة المصرية للكتاب، 1996م

- ولد السالم حماه: تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء المغرب، 2007م.

ثالثاً: المنشورات باللغة الاجنبية:

- Zebadia Abdelkader: The Career And Correspondence Of Ahmed Al Bakkay Of Timbuctu: An Historical Study Of His Political And Religious Rote From 1847 to 1866, Thesis Submitted For The Degree Of Ph.D. In the University Of London, School Of Oriental And African Studies, 1974.
- Ba Amadou Ampate et Daget,Jacques : L' empir peul du Macina(1818-1853).
- Batrick d Aquino: Du sable à l argil (l occupation de l espace dans le djelgodji) nord burkina faso, La recherche agronomique pour le dèveloppement, burkina faso, 1996.
- Boly Hamadiu: Le soufsme ou Mali du 19 sècle à nis jours, thèse doctorat, dirigèe par Geoffroy Eric, Ecole doctoral des humanitès, Universitè de Strasbourg, 2013.
- Barth Henri: Viyages et dèciuvertes dans L afrique septentrionale et centrale pendant les annèes 1849 à 1855, Bruxelles, paris ,1863.
- Traore Ismail: Les relations èpistolaires entre la famille kunta de tombouctou et la Dina du macina (1818-1864) , Doctorat Etudes Arabes, Ecole Normale Superieure de lyon Universyte de Lyon, 2012.
- Joseph ki Zerbo: Histoire De L Afrique Noire, Librarie Hatier, Paris, 1972.
- Lieutenant Bèfontan: Histoire de Tombouctou de Pays Noirdation à l' Occupation Françnisc, Comitè d' Etudes Historiques et Scientifiques de L' Afrique Occidentale

Française, n°01, Paris, Gouvernement Gènèral, de L' Afrique Occidentale Française, 1922.

- Maurice Delafoss :Les noir L Afrique , Edition Payot ,paris,1941.
- Maurice delafosse,haut sènègal Niger ,Paris, Emile Larose Libraire Editeur,1912
- Mauro Nobili: Sultan, Caliph, and th Renewer of the Fatih Ahmad Lobbo, the Tarikh al-fattash and the Making of an Islamic State in West Africa, university of Illinois, Urbana-champaign, university printing House, Cambridge, United Kingdom, 2020
- Mgr A Hacquard: Monographie De Tombouctou, Societe Des Etudes Coloniales a Maritimes, Paris, 1900.
- Schmitz Jean: Autour d al-hajj Umar Taal, Guerre sainte et Tijaniyya en Afrique de L Ouest..,In Cahiers d' Etudes africanines, vol, 25, n100, 1985.
- Tauxiere, Louis, Moeurs et Histoire des Peules (Peuls du Fouta Djallon, Peuls de Macina, Peuls d'Issa Ber). Paris: Ed Payot, 1937.
- Victor Azarya :Traders Center in Massina Kong and Samoris Stat, The Internationl, Journal of African Historical Studies, Boston University African Studies Center,1980
- Wane Yaya: Les Toucouler de Fouta Tooro(Sènègal), stratification sociale et structure familiale, initiation et ètudes africaines, n° XXV, IFAN, Universitè de Dakar, 1969.
- Yves Sanit-Martin: Un Fils d'El Hadj Omar: Aguibou Roi Dinguiray et du Macina(1843-1907) Cahiers d'Etudes A fricanines, vol, 08, cahier29, (1968).

رابعاً: الرسائل الجامعية والمذكرات

- آدب ولد سيد محمد : دور علماء كنته في الحياة الإصلاحية والسياسية في موريتانيا والسودان الغربي 1759- 1864م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2022/2021م.
- جاكيتي محمد: الفلانيون في مالي وإسهامهم في الحضارة الإسلامية بمالي خلال القرنيين 12هـ-13هـ/18م-19م، أطروحة دكتوراه في الحضارة الإسلامية، قسم المعهد الأعلى لأصول الدين، جامعة الزيتونة، تونس، 2006-2007م.
- حناني فردوس: محمد الخليفة الكنتي(1179-1242هـ/1765-1826م) حياته وآثاره التاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 1429-1430هـ/2008-2009م.
- الحواس غربي: السيادة السعدية بالبلاد السودانية 1591م- 1660م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008م-2009م.
- سنكري علي عثمان: تعليم العلوم الشرعية في ماسنة الواقع والآفاق، بحث لنيل الإجازة في العلوم الشرعية، معهد ابن عباس للدراسات الإسلامية، مالي، 1435هـ/2014م.
- سيدبي نوح عيسي : تطبيق أحكام الشريعة في إمارة ماسن الإسلامية ما له وما عليه، أطروحة ماجستير في الدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا، الجامعة الإسلامية في النيجر ،2007-2008م.
- شرويك محمد الامين : الطريقة التيجانية ودورها في المجتمعات الإفريقية الإسلامية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الانسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجيلالي اليابس بسيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015.

- صالحي مليكة: النظام السياسي عند قبائل الفولان:دراسة نموذجية لمنطقة الفوتاجالون 1751-1840، مشروع لنيل شهادة الماجستير في تخصص دراسات افريقية في الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2011-2012م.
- عطية عبد الكامل: الروابط التجارية والثقافية بين بلدان المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء 1494- 1894، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر، 2014-2015م.
- قدوري عبد الرحمن: الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي في القرنيين 9هـ و10هـ/15م و16م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابوبكر بلقايد تلمسان، الجزائر، 2010-2011م.
- مزدلفة عمر محمد ثاني: التاريخ الاجتماعي لمجموعة الفولاني بجنوب النيل الازرق في الفترة (1900-2006)،بحث تكميلي لايفاء درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية والأسيوية،كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم بالسودان،2007.
- مقاديم عبد الحميد: المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي – سنغاي) ق 7-10هـ/13-16م، أطروحة دكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة احمد بن بلة وهران، 2017-2018م
- منيسي حسن علي: دولة ماسينا الإسلامية 1818-1863م، رسالة دكتوراه، الفلسفة في الدراسات الإفريقية، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1999.
- مولاي محمد: القضاء والقضاة ببلاد السودان الغربي من أواخر القرن التاسع هجري حتى الثاني عشر هجري (15م-18م)، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية،جامعة أحمد بن بلة وهران، الجزائر، 2019/2018م.

- ميغا عبد الله إدريس أبو بكر: نظام الخراج والعشر في الفقه الإسلامي، رسالة لنيل شهادة الماجستير، قسم الدراسات العليا شعبة الفقه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1405-1406هـ.
- الناني ولد الحسين: صحراء الملثمين وعلاقاتها بشمال وغرب إفريقيا من منتصف القرن2هـ/8م إلى نهاية القرن 5هـ/11م، أطروحة دكتوراه في التاريخ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط المغرب، 2000م.
- الهادي هارون: الطريقة القادرية في وسط وغرب إفريقيا ودورها الحضاري من القرن16م الى 19م، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة غرداية، الجزائر، 2015 -2016م.
- هداجي رمضان: التواصل الحضاري بين توات وشنقيط خلال القرنين (12-13هـ/18-19م)، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الدكتوراه في التاريخ (ألمدي)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة احمد درارية أدرار، 1443-1444هـ/ 2022-2023م.

خامساً: الملتقيات والمجلات:

- بوركنة علي: التجاني عمر بن سعيد الفوتي وإصلاحه الديني والسياسي في غرب إفريقيا(1794-1864م)، مجلة الفكر، المجلد الرابع، ع 02، جامعة الجزائر02، ديسمبر2020م.
- حناني فردوس: الداعية الاسلامي محمد الخليفة الكنتي ومخطوط "رسالة إلى الرماة"، مجلة تاريخ العلوم، العدد الثاني، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 2016م.
- حناني فردوس: محمد الخليفة الكنتي شيخ الطريقة القادرية بغرب إفريقيا ومريديه، مجلة الحضارة الإسلامية، ع29، جامعة وهران الجزائر، رمضان 1437هـ/جوان2016م.

- حندوقة إبراهيم فرج: الإسلام في بلاد التوكولور في غرب إفريقيا في القرن التاسع عشر، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 26-27 نوفمبر 2006م/6-7 ذو القعدة1427هـ، ليبيا.
- دوباخ الطاهر: دور قبائل الفولاني في الثورة المهدية بالسودان 1899/1881، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد2، جامعة الجزائر 2، ديسمبر 2019.
- ديالو على كلطغ: الثقافة الإسلامية في إفريقيا، مجلة دعوة الحق،ع266، المملكة المغربية، 1408هـ/1987م.
- زبادية عبد القادر: حركة التعليم في تمبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م ودور الأوقاف في ازدهارها، مجلة دعوة الحق،ع230، المملكة المغربية، أوت 1983م.
- سعيدي إسماعيل وبابا عبد الله: الصراع بين قبائل الفلان وأثره على منطقة السودان الغربي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد الثامن، ع 03، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي الجزائر، جوان 2023.
- شعباني نور الدين: عائلة كولیبالي ودورها في مملكة البمبارا (1600-1800م)، مجلة الدراسات الإفريقية، جامعة الجزائر2 ابو القاسم سعد الله، العدد، 2015م.
- طرخان إبراهيم: إمبراطورية الفلانيين الإسلامية، مجلة كلية الآداب،ع06، جامعة الرياض، السعودية، 1979م.
- عبد الله عبد الرازق: أحمدو لوبو وحركته الإصلاحية في ماسينا، جامعة إفريقيا العالمية، التداخل والتواصل في إفريقيا، السودان، يناير2006م.
- عبد الماجد عمر: التنافس الطائفي والسياسي على مدينة تمبكتو في القرن التاسع عشر، مجلة دراسات افريقية، العدد48، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ديسمبر2012.
- عبد الماجد عمر: حياة الحاج عمر الفوتي،مجلة دراسات افريقية الصادرة عن المركز الاسلامي الإفريقي، السودان، العدد الأول، افريل 1985م.

- العربي نصر الدين البشير: أثر اللغة العربية على اللغات الإفريقية اللغة الفلانية في النيجر نمودجاً، مجلة الدراسات الإفريقية، المجلد 03، ع 08، الجزائر ، 2020.
- علي يعقوب: الدولة الإمامية في فوتاتور ودورها في نشر الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، مجلة قراءات افريقية الصادرة عن المنتدى الاسلامي، السودان، ع 9، 2011.
- علي يعقوب: الفلانيون الشعب واللغة، مجلة قراءات افريقية الصادرة عن المنتدى الاسلامي، السودان، ع 24، 2015.
- علي يعقوب: حياة الشيخ أحمد حمدي لبو ودولته الإسلامية في ماسينا، مجلة قراءات إفريقية، ع08، المنتدى الاسلامي، الخرطوم السودان، 1432هـ/2011م.
- عمار عبد المولى علي محمد: أحمد لب الماسيني ودوره في ترسيخ العقيدة الإسلامية بماسينا، مجلة القرطاس، العدد 05 ، كلية الآداب جامعة الزاوية، ليبيا، 2019م.
- عمر عبيد الله بن عمر: تجربة الإصلاح في فكر الحاج عمر بن سعيد الفوتي في بلاد السودان الغربي، مجلة الدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، جامعة كردفان السودان.
- قلفاط عبد الباسط: الصعوبات الأمنية للتجارة الصحراوية عبر طريق السودان الأوسط خلال القرن 19م، مجلة البحوث التاريخية، م05، ع02، جامعة جيلالي بونعامة، خميس مليانة الجزائر، 2021م.
- نعيمة الطيب بوجمعة وأزهار غازي مطر: القبائل الفلانية ببلاد السودان الغربي التسمية والأصل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، كلية العلوم الأساسية،جامعة ديالى، العراق، بدون سنة.
- الهاشمي عبد الوهاب: التعريف بمخطوط قصيدة في التوحيد لأحمد البكاي، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج13، ع01، جامعة وهران01 احمد بن بلة ،الجزائر، 2018.
- يرولى الحسن: جهاد الحاج عمر الفوتي تال نظريا وتطبيقيا، مجلة الدراسات الإفريقية، العدد20، 1998م.

سادساً: المعاجم والاطاليس

- ابن منظور: لسان العرب، تح عبد الله على الكبير وآخران، دار المعارف، القاهرة، بدون سنة.
- ابن منظور: لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت لبنان، 1955م.
- مؤنس حسين: أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، مصر، 1407 هـ/1987م.
- دائرة المعارف الإسلامية، تع محمد ثابت الفندي وآخرون، م1، مكتبة محمد حسنين هيكل، 1933م.
- الزركلي خير الدين: الأعلام،ج4 ،دار العلم للملايين، ط15، بيروت لبنان،2002م.
- الفيروزابادي : القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،1399هـ/1979م.
- لويس معلوف: المرجع المنجد في الإعلام واللغة، دار المشرق، بيروت لبنان، ط39، 2002م.
- الحموي ياقوت: معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
- توني يوسف: معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م.

الفهـــــارس

فهرس الأعلام والشخصيات:

- أ-

الخليفة أبوبكر الصديق: 129،130،184

ابوبكر العتيق: 230،231

ابوبكر مودي:125.

الصحابي أبو موسى الأشعري 182.

ابن خلدون 160.

أبو يوسف 182.

ابن عاشر: 164.

ابن ابي زيد القيرواني: 164.

ابن عاصم:164.

ابن حاجب:165.

ابن رشد 165.

ابن مالك 165.

ابن عقيل 165.

الاخضري 164.

احمد ولوبو: 15، 33، 48، 53، 64، 66، 69، 70، 72، 73، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 98، 100، 101، 102، 103، 104، 106،110، 111، 112، 113، 114، 116، 117، 118، 119، 120، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 142، 143، 147، 154، 156، 157، 158، 159، 161، 164، 168، 171، 172، 173، 175، 176، 177، 180، 187، 188، 189، 190، 194، 196، 197، 199، 200، 201، 202، 203، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 213، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231ن 232، 233، 235، 236، 237، 238، 241، 243، 259.

احمدو الثاني: 128، 129، 130، 132، 137، 138، 172، 182، 184، 197، 210، 213، 215، 236، 238.

احمدو الثالث: 111، 127، 131، 132، 133، 219، 221، 225، 235، 241، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 256.

احمد البكاي:65، 74، 126، 128، 170، 184، 206، 210، 212، 213، 214، 215، 216، 222، 224، 241، 245، 246، 247، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258.

احمد التيجاني:170، 255.

احمد بن بابا التنبكتي 49.

احمد بن محمد كوريل 169، 246.

احمد شلبي 104

احمد عليك 127.

أحمد حما بركي سماته 166.

أحمدو حمادي سامبا بوباكاري 188.

احمد ألفاكا كوجاجو 124.

أحمد بن حم غرل 168.

أحمد بن ابي بكر 169.

اسماعيل جاكيتي 87، 88.

القشتالي:23

ألفا عثمان :254

ألفا عبد الله:172.

ألفا حامد سيسي:72

ألفا غورو71، 90.

ألفا حمابرك سنغري 71.

ألفا سليمان 133.

ألفا سامبا فوتا 124، 197،147.

ألفا سمبا حمدي بما 71،77.

ألفا سيوما 197.

أردو حمدي ديكو 44، 91، 92، 94، 95.

ابراهيم عثمان انغوبيا 244.

ابراهيم جالو 61.

ابراهيم طرخان38.

اسحاق الاسكيا46.

أدي 80، 139.

آمادو توماني توري 150

أم هانئ الصالحة الفولبية 70.

امادو همباتي104.

آل جارا 52.

أنيا جالو 45.

ابوبكر فلات 36.

ألكسندر غوردون لينغ 229.

-ب-

الامام البخاري 165.

بالبو:124، 131، 132، 135، 138، 139، 197، 224، 237، 238، 240، 251، 252، 254.

البوصيري 166.

الباشا بن عثمان47، 125، 126.

باي بلعالم 35.

بوبو مريم بن حمد الفلاني 46.

بوبو عائشة بن حمد الفلاني 47.

باغن فاري 44.

بوكاري حمادي 102.

بوري هماسالا 103.

بوري حمسالا 197.

بوري غورال 125، 126.

بونتي 56

بوريما كلبلي بوريما 133.

برايما كليلو 142، 191، 215.

بينتون ماري كوليبالي 48.

بوجان موريبا كوليبالي 52.

بينا بوك كوليبالي 52.

بيولس يورغو 45.

بيرو أسكلا 75، 121.

- ت -

تشيفولو جارا بن موزون 234.

-ج-

الصحابي جعفر بن ابي طالب 35.

الجويني 165.

جودي باراس40.

جبريل بن عمر57،35.

جونسون 180.

-ح-

الحسن الوزان 23،160.

الحسين كويتا227.

حمادي بن المختار الكنتي 209.

حمبركي سمتات 81، 193، 194.

حامد بن احمدو لوبو 80، 138.

حمادي ديولدي 102.

حمد آمنة46، 47، 48.

حمد فاطمة 48

حمدي آمنة الثالث 48.

حمادو سيرو 46.

- خ-

الشيخ خليل 164.

- د-

الادريسي25.

الاسكيا داود 46.

دا مونزو جار 232، 233، 234.

ديشتال 40.

دولافوس 36.

داويد روبينسون 38.

ديامو غوسري 103.

- ر-

رينه كاييه 24، 40.

- ز -

زبادية عبد القادر 256.

- س-

السيوطي 84، 85.

السعدي عبد الرحمان:26، 29، 31، 39، 44، 47، 49.

الامام سحنون 165.

سيد قطب 184.

سليمان تال:60، 61، 62.

سعيد عثمان تال 60،64.

سان شرفي 218

سيريم 223.

سوسوبي دو ماكينا 191.

سنسرف 211، 213.

سني ابوبكر 45

سودي جالو 46.

سامبورو كولادو 125.

- ش -

شمهروش الجني 85.

- ص-

صفية بنت جعفر بن ابي طالب 35.

- ط-

طارق بن زياد31.

- ع -

الخليفة عمر بن الخطاب 151، 182، 184، 188،217 .

الخليفة عثمان بن عفان184.

الصحابي العباس بن عبد المطلب 184.

التابعي عقبة بن نافع الفهريي33، 34، 35، 36، 60.

القاضي عياض 165.

عثمان بن فودي: 31، 33، 34، 53، 57، 58، 59، 64، 66، 67، 70، 75، 76، 84، 87، 97، 98، 102، 108، 112، 117، 118، 157، 171، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 258.

عثمان بوبكر سنكري: 72، 88، 90، 123، 136، 200.

عثمان تورو:34.

السلطان عبد المجيد الاول 219، 220.

مولاي عبد الرحمان بن هاشم 220.

عبد الله بن فودي: 34، 35، 58، 66، 87، 226، 230.

عائشة بنت محمد بيلو 64.

عبد الله بن ابي بكر همصالح:244.

عبد الكريم بن احمد النقيل 64.

عمر الفوتي: 28،29، 33، 51، 52، 59، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 127، 133، 169، 170، 198، 203، 235، 236، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259.

عمر فال 60

عمر شرنوبيل 252، 253، 254.

الشيخ عبد القادر الجيلاني73 .

عبد القادر كن 62.

عبد الله بن احمدو لوبو: 131، 132، 133، 138، 139، 140.

عبد الله بن الحاج:127.

على بن النجيب 171.

علي يعقوب 42،104.

عليون 45، 48، 49.

علي مونزو ويتلا 243، 244، 251، 252.

علي غردو 34.

علي غيدادو 168.

عمر كومد باجو 45.

- غ-

غداد بن ليم 230.

غيلاجو: 48، 53، 80، 105، 106، 119، 123، 124، 171، 175، 192، 193، 194، 195، 202، 227، 239.

غيدادو45، 94، 95.

غالوها جالو الثالث 48.

غوروي جالو 48.

غورو مالادو 197.

غيلاجو جالو 48.

غيدادو جالو 48.

- ف-

الفيروزبادي 178.

فاطمة شيلفو 34.

فاطمة الفاغور غطاط 70.

فيليكس ديبوا 37

فيد هرب 243، 258.

- ق -

القشتالي23.

القائد مارون 46.

قريمال دوقيغوندو 36.

- ك -

كبرا فرما 72،73 ،77.

كوغتوميغ 37.

كانلا بن ابراهيم 45.

- م-

سيدنا موسى عليه السلام 37.

الإمام مالك بن انس 196، 165.

الامام مسلم 165.

المقريزي 39.

محمد بن عبد الكريم المغيلي:54، 77، 85.

محمد الخليفة الكنتي:74، 84، 100، 106، 157، 168، 171، 172، 193، 194، 195، 205، 206، 207، 221، 228.

محمد بن علي فيريج: 75، 78، 81، 82، 84، 104، 168، 172.

محمد الغالي 63، 256.

محمد الاسكيا: 31، 43، 45، 46، 51، 85.

محمد بيلو: 30، 34، 58، 64، 66، 70، 75، 124، 168، 226، 227، 228، 229، 230.

محمد البخاري230، 231.

محمد جاكيتي104.

محمد بن ابي بكر بن سعيد84،69.

محمد بن عبد الله بن سعاد:172.

محمد سنب 48

محمد فلان 34.

محمود كعت 29.

محمود بن احمدو لوبو 80، 138.

المصطفى بن محمد التوردوي:230.

مصطفى تركي47

المختار الكنتي الكبير:55، 74، 77، 106، 171، 205، 221.

المختار الكنتي الصغير: 128، 208، 209، 210، 213، 223، 224.

المختار بن وديعة الله: 79، 169، 172، 246.

المنصور الذهبي 152.

مولود فال الشنقيطي 64.

مولاي العباس: 85.

مودي سعيد 125، 126، 127.

ماثيو 37.

موريس دولافوس36،22.

موليان أول 37.

ماري كوليبالي 48، 51، 52.

مانجو بارك 23، 236.

- ن-

نوح بن الطاهر 83، 85، 114، 133، 135، 137، 157، 158، 167، 171، 172.

نوح عيسى سيدبي 15 ، 85.

النفراوي226.

نابا توتيبالبو 127.

- هـ-

الهادي الدالي 39.

هنري بارث: 24، 37، 40، 178، 182، 218، 219، 222، 231.

هام بوديجو بن باتي 53.

- و -

الونشريسي 165.

ولحوري 80، 81.

ونتربوتون 36.

- ي-

يحي ولد البراء 104.

يورو سيلغما91.

ياغالو 49 ، 91

الأماكن والقبائل

-أ-

إفريقيا: 22، 33، 36،35، 38، 39، 41، 42، 56، 57، 59، 66، 118، 173، 242.

الاندلس:38، 228،227، 229.

الارما (الرماة):46، 47، 49، 75، 100، 101، 123، 125، 126، 207،206،200، 208، 222، 223.

أولاد غلان:33.

أولاد دليم:33.

الازهر الشريف:55.

أدرار:38.

إفريقيا الوسطى: 41، 42.

ايدوكال: 62.

أبيري: 60.

أربي: 122، 141.

اثيوبيا: 36.

الانجليز: 41، 199، 218، 242.

الاستعمار: 33، 38، 59، 68، 186، 218، 258، 259.

الاستعمار الفرنسي: 29، 41، 63، 242، 243، 245، 257.

-ب-

بيت المقدس: 64.

البربر: 22، 28، 29، 30، 37.

البمبارا:27، 28، 44، 47، 48، 52، 70، 87، 96، 97، 99، 100، 103، 106، 119، 123، 130، 185، 196، 233، 235، 242، 243، 244، 254.

برقة: 36، 64.

بنو هلال: 26

بنو معقل: 26.

بنو سليم:26.

بوركينافاسو: 32، 41، 42، 43، 51.

البراكنة: 33، 61.

البحر الاحمر:41.

البحر المتوسط:36.

بحيرة التشاد:17، 18، 30، 32.

البينين: 41، 42.

البرابيش: 33، 254.

البيضان: 61، 207، 244.

البرنو: 65، 241.

بريطانيا:24، 222، 247.

بانغو 17.

بورغو 17.

برابولي: 127.

بنجغرا: 106، 124،120، 256.

برورو(قبائل): 42.

البوزو: 27.

- ت-

تنبكتو: 19، 22، 23، 30، 46، 47، 49، 51، 74، 118، 120، 122، 125، 126، 169، 171، 172، 176، 177، 193، 208، 210، 212، 213، 214، 215، 218، 219، 220،

221، 222، 223، 224، 227، 240، 247، 248، 253، 254، 257، 258.
الترارزة: 33، 61.
التيجانية: 57، 64، 65، 66، 67، 169، 170، 241، 242، 245، 246، 253، 256، 257، 258، 259.
التشاد: 32، 33، 57.
التكرور: 24، 26، 28، 42، 160، 258.
توات:32، 208.
تلمسان : 64.
توغو:41
تونغومابيل: 127.
تينتكون: 47.
تيننيتكو: 122.
توندبي 46.
تغازة: 23

- ج-

جني: 23، 43، 46، 48، 72، 85، 86، 88، 91، 92، 93، 94، 96، 97، 120، 122، 123، 135، 136، 177، 181، 191، 200، 206، 207، 231، 235،
الجزائر: 32، 35.
الجكاكنة: 33.
جبل لوار 21.
جيلغوجي: 122، 127.
جافارابي: 122.
جيبو: 127

ح-

الحمد لله: 65، 106، 119، 122، 126، 129، 133، 139، 166، 167، 168، 169، 188، 191، 192، 193، 195، 197، 210، 211، 212، 214، 215، 247، 252.
الحجاز:241، 256.
حمير: 35.

- خ-

خراسان 227.

- د -

الديكو: 45، 49، 91، 92، 94، 97، 100، 101، 102، 141، 143، 176، 225
دمشق: 64.
دوكووال 223.
الداهومي: 22.
دانقيرا 65.
دعل: 59

- ر-

روندي سرو: 92، 93، 94، 96.

- ز-

الزنوج: 28، 38.
الزاب: 35.
الزيتونة: 55.

- س-

السودان :17، 23، 24، 25، 26، 28، 36، 37، 39، 42، 57، 58، 70، 99، 100،

107، 120، 205، 206، 207، 216،
229، 256.

السودان الغربي: 16،15، 17، 18،
19،20،22، 23، 26،27،28 ،29، 31،
33، 36، 38، 40، 52، 54، 55، 56، 57،
60، 63، 64، 66، 67، 68، 69، 98،
100، 108، 110، 117،142، 152، 156،
157، 160، 176، 186، 205، 207،
209، 219، 225، 228، 245، 246،
256.

السودان الشرقي: 40.

السودان الاوسط: 228.

سيغو: 27، 48، 51، 52، 53، 64، 65، 87،
91، 94، 96، 97، 98، 101، 102، 103،
105، 123، 124، 185، 186، 197،
205، 211، 213، 225، 231، 232،
233، 234، 236، 241، 243، 244،
245، 246، 247، 249، 250، 251،
252، 253، 254، 255، 256، 258.

سجلماسة: 23.

سيناء: 35.

سوريا: 37.

السوننك: 27، 28.

سوكوتو: 56، 58، 64، 75، 97، 117، 125،
157، 205، 225، 227، 228، 230،
231.

سنغاي: 29، 30،

السنغال: 18، 21، 22، 23، 24، 25، 27،
28، 29، 37، 39، 40، 41، 42، 56، 59،
63، 65، 222، 242، 247، 258.

سيبيرا: 91، 92، 96.

سنسند:248، 249، 250، 251.

سيماي: 93، 94، 95، 96.

سانت لويس : 24، 25، 62، 222، 247.

ساردينيا:256.

سارو: 96.

ساي: 228.

ساحل العاج: 19.

سيراليون36 ، 42.

سانت هيلانة 21.

- ش-

الشام: 38، 241.

شنقيط:61

- ص-

صنهاجة: 32، 62.

- ط -

الطوارق: 29، 31، 32، 39، 125، 126،
185، 186، 197، 204، 205، 208،
209، 210، 211، 212، 213، 217،
218، 219، 221، 222، 223، 224،
225، 241، 253، 254، 258.

- ع-

-غ-

غانة: 28، 51.

غانا: 41، 57.

غامبيا: 22، 24، 25، 27، 41، 42، 43.

غينيا: 21، 22، 27، 28، 41، 42، 43، 57، 177.

غوندا : 227، 230، 231.

غمتوغو 87.

غل 59.

غاو 46.

غوندام: 125.

غمبالا: 122، 124

- ف-

الفلان: 14، 15، 17، 27، 28، 31، 33، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 53، 54، 56، 66، 67، 68، 69، 70، 75، 80، 86، 89، 90، 91، 92، 96، 98، 99، 100، 101، 103، 106، 110، 120، 123، 124، 125، 126، 127، 140، 141، 142، 144، 145، 146، 147، 149، 150، 154، 160، 161، 164، 170، 171، 172، 173، 175، 177، 180، 186، 189، 190، 191، 199، 200، 206، 208، 218، 222، 223، 224، 225، 236، 240، 243، 257، 259.

فوتا تور: 18، 37، 41، 42، 60، 61، 63، 64، 69، 86، 133، 244.

فوتا جالون: 21، 22، 24، 42، 61، 65، 241، 244.

فيتوغا:171،125،124، 227، .

فاكلا: 122، 123، 124، 197.

فاريماكي: 124.

فراعنة: 34.

فاس 64.

فزان: 32، 36.

فولتا العليا 32.

فرنسا: 24، 56، 222، 242، 247.

- ق-

القادرية: 29، 57، 67، 72، 74، 77، 206، 222، 240، 241، 245، 246، 253، 256، 257، 258، 259.

القاهرة 64.

القيروان 64.

القرويين 55.

قبائل النوبة:37.

قبائل بورو 42.

قوبير58.

- ك -

كنته: 33، 65، 77، 118، 128، 139، 205، 206، 207، 209، 210، 224، 227، 240، 246.

كارتا: 27، 28، 52، 64، 232، 233، 235، 241، 246، 259.

كوناري: 53، 81، 96، 105، 106، 119، 120، 122، 123، 127، 144، 171، 192، 195، 227، 239.

كاريري: 122.

كوكيا 29.

كيمو 52.

- ل -

ليبيا: 32.

- م -

مكة المكرمة: 64، 242.

المدينة المنورة:64، 242.

ماسينا: 15، 16، 17، 30، 31، 33، 36، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 51، 53، 64، 65، 66، 67، 69، 70، 72، 74، 75، 76، 77، 85، 86، 90، 91، 92، 94، 96، 97، 99، 101، 110، 111، 118، 120، 122، 125، 126، 127، 131، 139، 140، 141، 142، 144، 147، 149، 152، 157، 166، 168، 169، 170، 171، 172، 174، 175، 176، 177، 187، 192، 195، 196، 197، 200، 205، 206، 208، 209، 210، 216، 218، 219، 222، 227، 228، 231، 232، 233، 235، 236، 238، 241، 243، 244، 245، 246، 247، 249، 250، 253، 254، 255، 256، 259.

مالي: 15، 21، 22، 27، 28، 30، 31، 32، 33، 41، 42، 43، 44، 45، 49، 51، 57، 111، 140، 148، 205.

موريتانيا: 32، 33، 39، 41، 42.

مصر: 36، 37، 38، 56، 229، 241.

المحيط الاطلسي: 25،41.

المغرب: 37.

الموسي:31، 40، 45، 51، 52، 127، 196، 197، 225.

المرابطين: 60.

الماندينغ: 22، 25، 27، 28، 40، 160.

موبتي: 120، 123، 256.

- ن-

النيجر: 15، 16، 18، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 27، 29، 30، 31، 32، 33، 35، 36، 40، 42، 50، 56، 65، 69، 74، 87، 120، 123، 124، 125، 156، 177، 181، 186، 196، 197، 210، 211، 222، 224، 227، 228، 240، 243، 245، 246، 247، 256، 258.

نهر النيجر: 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 29، 30، 31، 35، 36، 51، 66، 69، 74، 87، 106، 120، 123، 125، 174، 177، 181، 186، 197، 210، 211، 222، 224، 227، 240، 247، 256، 258.

نهر باني: 15، 16، 22، 46، 47، 123، 124، 197.

نهر ديكا: 16.

نهر البنوى 22.

نهر جوليبا 46.

نهر الفولتا 22.

نهر الكازمانس 22.

نوكوما: 48، 53، 97، 98، 101، 102، 105، 106، 123، 143، 188، 196، 197، 200، 226، 232.

نيجيريا: 19، 22، 30، 41، 42، 57.

- هـ-

الهوسا: 30، 40، 41، 58، 59، 67، 68، 75، 76، 108،171.

هوسا كاتاوال: 124، 125.

- و-

واغادوغو: 31.

واهيغويا: 31.

الولوف: 28، 41، 160.

ورنو: 230.

واي ديبو: 122.

- ي-

يهود 34، 36، 37.

فهرس المحتويات:

المحتويات	الصفحة
الإهـــــــداء	
الشكر والامتنان	
المـقدمـــــــة	1ـــ13
الـفصـل الأول: دراسة جغرافية وتاريخية لمنطقة ماسينا وما جاورها	14
أولاً: منطقة ماسينا طبيعيا وبشريا.....	15
ثانياً: التعريف بقبائل الفلان	33
ثالثاً: الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة قبل نشأة الإمارة....	44
رابعاً: الحركات الإصلاحية الفلانية التي شهدها القرن التاسع عشر الميلادي.....	54
الفصل الثاني : الشيخ أحمدو لوبو (حياته وجهاده).....	68
أولاً: مولـده ونشأته.....	69
ثانياً: صفاته الخَلقية والخُلقية.....	78
ثالثاً: مراحل جهاد الشيخ	86
الفصل الثالث: الإصلاح السيـــاسي والاجتماعي.....	109

أولاً: الإصلاح السيـاسي.....	110
ثانياً: الإصلاح الاجتماعي.....	139
الفصل الرابع: الإصلاح الثقافي والاقتصادي والقضائي والعسكري	154
أولاً: الإصلاح الثقافي.....	155
ثانياً: الإصلاح الاقتصادي.....	172
ثالثا: الإصلاح القضائي.....	185
رابعاً: الجهاز العسكري.....	194
الفـصل الخامس: العلاقات الخارجية للإمارة.....	202
أولا: العلاقـة الكنتية الماسينية.....	203
ثانيا: الصـــراع مع الطوارق.....	220
ثالثا: العلاقـة مع الخلافة السكتية.....	223
رابعا: العلاقـة مع الممالك الوثنية.....	229
خامسا: انهيار الإمارة وزوالها.....	234
الخاتمة.....	257
الملاحق.....	261

المصادر والمراجع.....	288
الفهارس.....	308

الملخص:

تتناول هذه الأطروحة صفحة مجيدة من صفحات التاريخ الاسلامي في منطقة السودان الغربي، حيث ظهرت حركة إصلاحية فلانية في منطقة ماسينا خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، قادها الشيخ أحمدو لوبو الماسيني وخليفتاه من (1818-1862م)، وقد أحدثت هذه الحركة الإصلاحية تحولاً جذرياً ومنعطفاً حاسماً في توجيه المجتمعات الإفريقية في منطقة ماسينا بما أحدثته من ثورة دينية وفكرية واجتماعية وسياسية، وأسهمت في نشر الإسلام بين المجتمعات الوثنية، غير أن الصراع الصوفي القادري التيجاني أسهم في أفول إمارة ماسينا القادرية التي لم تعمر طويلا بالرغم من الرقي الحضاري الذي وصلت إليه وقامت على أنقاضها الخلافة العمرية التيجانية.

الكلمات المفتاحية: ماسينا؛ الشيخ أحمدو لوبو؛ حمد الله؛ نهر النيجر؛ الفلان؛ الشيخ أحمد البكاي؛ السودان الغربي؛ الطريقة القادرية.

Summary:

This thesis deals with a glorious page of the Islamic history in the Western Sudan region, where a fulanis reformist movement appeared in the Massina region during the thirteenth century AH and the nineteenth century AD, It was led by Sheikh Ahmadu Lobo Al-Masini and his two successors from (1818-1862 AD). This reform movement brought about a radical transformation. It was a decisive turning point in guiding the African societies in the Massina regionAs it brought about religious, intellectual, social and political revolution and contributed to the spread of Islam among the pagan societies. However, the Sufi Qadiri Tijani conflict contributed to the decline of the Massina al-Qadiri emirate, which did not last long despite the cultural advancement it achieved was established, Consequently, Umari Tijaniyya Caliphate.

Keywords: Massena; Sheikh Ahmadu Lobo;Praiseto Allah; Niger River; fulani; Sheikh Ahmed Al-Bakai; Western Sudan; The Qadiri method.